

من

﴿ رحلة ابن بطوطه ﴾

﴿ المسماة ﴾

تحفة النظار . فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار

طبع بالمطبعة الأزهرية بمصر

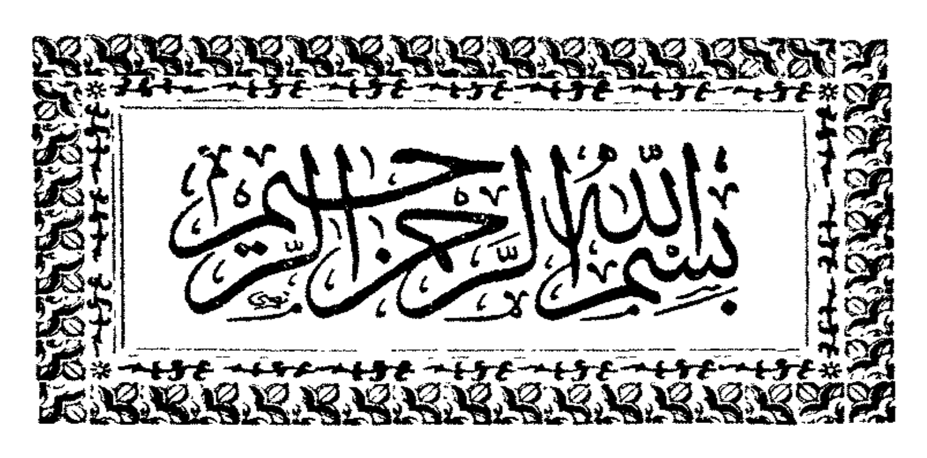
بشارع رقعة القمح رقم ٦ بجوار الأزهر الشريف بمصر

﴿ على نفقة أصحابها ﴾

ورثة المرحوم فضيلة الشيخ محمد عبد الخالق المهدي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

(سنة ١٣٤٦ هـ — سنة ١٩٢٨ م)



﴿ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطه رحمه الله تعالى

ولما كان بتاريخ الغرة من شهر الله المحرم مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبعمائة وصلنا الى وادى السند المعروف ببنج آب ومعنى ذلك المياه الخمسة وهذا الوادي من أعظم أودية الدنيا وهو يفيض فى أوان الحر فيزرع أهل تلك البلاد على فيضه كما يفعل أهل الديار المصرية فى فيض النيل وهذا الوادى هو أول عمالة السلطان المعظم محمد شاه ملك الهند والسند ولما وصلنا الى هذا النهر جاء الينا أصحاب الاخبار الموكلون بذلك وكتبوا بخبرنا الى قطب الملك أمير مدينة ملتان وكان أمير أمراء السند على هذا العهد مملوك للسلطان يسمي سرتيز وهو عرض المماليك وبين يديه تعرض عساكر السلطان ومعنى اسمه الحاد الرأس لان سر (بفتح السين المهملة وسكون الراء) هو الرأس وتيز (بتاء معلوة وياء مد وزاى) معناه الحاد وكان فى حين قدومنا بمدينة سيوستان من السند وبينها وبين ملتان مسيرة عشرة أيام وبين بلاد السند وحضرة السلطان مدينة دهلى مسيرة خمسين يوما واذا كتب المخبرون الى السلطان من بلاد السند يصل الكتاب اليه فى خمسة أيام بسبب البريد

ـــ ذكر البريد ـــ

والبريد ببلاد الهند صنفان فاما بريد الخيل فيسمونه الولاق (اولاق) (بضم الواو وآخره قاف) وهو خيل تكون للسلطان فى كل مسافة أربعة أميال وأما بريد الرجالة فيكون فى مسافة الميل الواحد منه ثلاث رتب ويسمونها الداوة (بالدال المهمل والواو) والداوة هي ثلث ميل والميل عندهم يسمى الكروة (بضم الكاف والراء) وترتيب ذلك ان يكون فى كل ثلث ميل قرية معمورة ويكون بخارجها ثلاث قباب يقعد فيها الرجال مستعدين

للحركة، قد شدوا أوساطهم وعند كل واحد منهم مقرعة مقدار ذراعين بأعلاها جلاجل نحاس فاذا خرج البريد من المدينة أخذ الكتاب بأعلى يده والمقرعة ذات الجلاجل باليد الاخرى وخرج يشتد بمنتهى جهده فاذا سمع الرجال الذين بالقباب صوت الجلاجل تأهبوا له فاذا وصلهم أخذ أحدهم الكتاب من يده ومر بأقصى جهده وهو يحرك المقرعة حتي يصل الى الداوة الأخرى ولا يزالون كذلك حتي يصل الكتاب الى حيث يراد منه وهذا البريد أسرع من بريد الخيل وربما حملوا علي هذا البريد الفواكه المستطرفة بالهند من فواكه خراسان يجعلونها في الاطباق و يشتدون بها حتى تصل الى السلطان وكذلك يحملون أيضا الكبار من ذوي الجنايات يجعلون الرجل منهم على سرير و يرفعونه فوق رؤسهم و يسيرون به شدا وكذلك يحملون الماء لشرب السلطان اذا كان بدولة أباد يحملونه من نهر الكنك الذي تحج الهنود اليه وهو على مسيرة أربعين يوما منها واذا كتب المخبرون الى السلطان بخبر من يصل الى بلاده استوعبوا الكتاب وأمعنوا في ذلك وعرفوه أنه ورد رجل صورته كذا ولباسه كذا وكتبوا عدد أصحابه وغلمانه وخدامه ودوابه وترتيب حاله في حركته وسكونه وجميع تصرفاته لا يغادرون من ذلك كله شيأ فاذا وصل الوارد الى مدينة ملتان وهي قاعدة بلاد السند أقام بها حتي ينفذ أمر السلطان بقدومه وما يجرى له من الضيافة وانما يكرم الانسان هنالك بقدر ما يظهر من أفعاله وتصرفاته وهمته اذ لا يعرف هنالك ما حسبه ولا آباؤه ومن عادة ملك الهند السلطان أبي المجاهد محمد شاه اكرام الغرباء ومحبتهم وتخصيصهم بالولايات والمراتب الرفيعة ومعظم خواصه وحجابه ووزرائه وقضاته واصهاره غرباء ونفذ أمره بان يسمي الغرباء في بلاده بالاعزة فصار لهم ذلك اسما علما ولا بد لكل قادم علي هذا الملك من هدية يهديها اليه و يقدمها وسيلة بين يديه فيكافئه السلطان عليها بأضعاف مضاعفة وسيمر من ذكر هدايا الغرباء اليه كثير ولما تعود الناس ذلك منه صار التجار الذين ببلاد السند والهند يعطون لكل قادم على السلطان الآلاف من الدنانير دينا و يجهزونه بما يريد أن يهديه اليه أو يتصرف فيه لنفسه من الدواب للركوب والجمال والامتعة و يخدمونه باموالهم وأنفسهم و يقفون بين يديه كالحشم فاذا وصل الى السلطان أعطاه العطاء الجزيل فقضى ديونهم ووفاهم حقوقهم فنفقت تجارتهم وكثرت أرباحهم وصار لهم ذلك عادة مستمرة ولما وصلت الى بلاد السند سلكت ذلك المنهج واشتريت من التجار الخيل والجمال والماليك وغير ذلك ولقد اشتريت من تاجر عراقي من أهل تكريت يعرف بمحمد الدورى بمدينة غزنة نحو ثلاثين فرسا وجملا عليه حمل من النشاب فانه مما يهدى الى السلطان وذهب التاجر المذكور الى خراسان ثم عاد

الى الهند وهنالك تقاضى مني ماله واستفاد بسببي فائدة عظيمة وعاد من كبار التجار ولقيته بمدينة حلب بعد سنين كثيرة وقد سلبني الكفار مما كان بيدى فلم ألق منه خيرا

— ذكر الكركدن —

ولما أجزنا نهر السند المعروف بپنج آب دخلنا غيضة قصب لسلوك الطريق لانه فى وسطها فخرج علينا الكركدن وصورته انه حيوان اسود اللون عظيم الجرم رأسه كبير متفاوت الضخامة ولذلك يضرب به المثل فيقال الكركدن رأس بلا بدن وهو دون الفيل ورأسه أكبر من رأس الفيل باضعاف وله قرن واحد بين عينيه طوله نحو ثلاثة اذرع وعرضه نحو شبر ولما خرج علينا عارضه بعض الفرسان فى طريقه فضرب الفرس الذى كان تحته بقرنه فانفذ فخذه وصرعه وعاد الى الغيضة فلم نقدر عليه وقد رأيت الكركدن مرة ثانية فى هذا الطريق بعد صلاة العصر وهو يرعي نبات الارض فلما قصدناه هرب منا ورأيته مرة اخرى ونحن مع ملك الهند دخلنا غيضة قصب وركب السلطان على الفيل وركبنا معه الفيلة ودخلت الرجالة والفرسان فاثاروه وقتلوه واستاقوا رأسه الى المحلة وسرنا من نهر السند يومين ووصلنا الى مدينة جناني (وضبط اسمها بفتح الجيم والنون الاولى وكسر الثانية) مدينة كبيرة حسنة على ساحل نهر السند لها اسواق مليحة وسكانها طائفة يقال لهم السامرة استوطنوها قديما واستقر بها اسلافهم حين فتحها على أيام الحجاج بن يوسف حسبما أثبت المؤرخون فى فتح السند وأخبرني الشيخ الامام العالم العامل الزاهد العابد ركن الدين ابن الشيخ الفقيه الصالح شمس الدين ابن الشيخ الامام العابد الزاهد بهاء الدين زكريا القرشي وهو أحد الثلاثة الذين أخبرنى الشيخ الولى الصالح برهان الدين الاعرج بمدينة الاسكندرية انى سالقاهم فى رحلتي فلقيتهم والحمد لله ان جده الاعلى كان يسمى بمحمد بن قاسم القرشي وشهد فتح السند فى العسكر الذى بعثه لذلك الحجاج بن يوسف أيام امارته على العراق وأقام بها وتكاثرت ذريته وهؤلاء الطائفة المعروفون بالسامرة لا ياكلون مع أحد ولا ينظر اليهم أحد حين ياكلون ولا يصاهرون أحدا من غيرهم ولا يصاهراليهم أحد وكان لهم فى هذا العهد أمير يسمى ونار (بضم الواو وفتح النون) وسنذكر خبره ثم سافرنا من مدينة جناني الى ان وصلنا الى مدينة سيوستان (وضبط اسمها بكسر السين الاول المهمل وياء مد وواو مفتوح وسين مكسور وتاء معلوة وآخره نون) وهي مدينة كبيرة وخارجها صحراء ورمال لا شجر بها الا شجر أم غيلان ولا يزرع على نهرها شيء ما عدا البطيخ وطعامهم الذرة والجلبان ويسمونه المشنك (بميم وشين معجم مضمومين ونون مسكن) ومنه يصنعون الخبز وهى كثيرة السمك والالبان الجاموسية

وأهلها يأكلون السقنقور وهي دويبة شبيهة بام حبين التي يسميها المغاربة حنيشة الجنة الا أنها لاذنب لها ورأيتهم يحتفرون الرمل ويستخرجونها منه ويشقون بطنها ويرمون بما فيه ويحشونه بالكركم وهم يسمونه زردشوبه ومعناه العود الاصفر وهو عندهم عوض الزعفران ولما رأيت تلك الدويبة وهم يأكلونها استقذرتها فلم آكلها ودخلنا هذه المدينة فى احتدام القيظ وحرها شديد فكان أصحابي يقعدون عريانين يجعل أحدهم فوطة على وسطه وفوطة على كتفيه مبلولة بالماء فما يمضى اليسير من الزمان حتى تيبس تلك الفوطة فيبلها مرة أخرى وهكذا أبدا ولقيت بهذه المدينة خطيبها المعروف بالشيبانى واراني كتاب أمير المؤمنين الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لجده الاعلى بخطابة هذه المدينة وهم يتوارثونها من ذلك العهد الى الآن

(ونص الكتاب) هذا ما أمر به عبد الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لفلان وتاريخه سنة تسع وتسعين وعليه مكتوب بخط أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الحمد لله وحده على ما أخبرني الخطيب المذكور ولقيت بها أيضا الشيخ المعمر محمد البغدادى وهو بالزاوية التي على قبر الشيخ الصالح عثمان المرندى وذكر ان عمره يزيد على مائة وأربعين سنة وانه حضر لقتل المستعصم بالله آخر خلفاء بنى العباس رضى الله عنهم لما قتله الكافر هلاون ابن تنكيز التترى وهذا الشيخ على كبر سنه قوى الجثة يتصرف على قدميه

— حكاية —

كان يسكن بهذه المدينة الامير ونار السامري الذى تقدم ذكره والامير قيصر الرومى وهما فى خدمة السلطان ومعهما نحو ألف وثمانمائة فارس وكان يسكن بها كافر من الهنود اسمه رتن (بفتح الراء وبفتح التاء المعلوة والنون) وهو من الحذاق بالحساب والكتابة فوفد على ملك الهند مع بعض الامراء فاستحسنه السلطان وسماه عظيم السند وولاه بتلك البلاد وأقطعه سيوستان وأعمالها وأعطاه المراتب وهي الاطبال والعلامات كما يعطى كبار الامراء فلما وصل الى تلك البلاد عظم على ونار وقيصر وغيرهم تقديم الكافر عليهم فاجمعوا على قتله فلما كان بعد أيام من قدومه أشاروا عليه بالخروج الى احواز المدينة ليتطلع على أمورها فخرج معهم فلما جن الليل أقاموا ضجة بالمحلة وزعموا ان السبع ضرب عليها وقصدوا مضرب الكافر فقتلوه وعادوا الى المدينة فاخذوا ما كان بها من مال السلطان وذلك اثنا عشر لكا واللك مائة ألف دينار وصرف اللك عشرة آلاف دينار من ذهب الهند وصرف الدينار الهندى ديناران ونصف دينار من ذهب المغرب وقدموه على أنفسهم ونار المذكور وسموه ملك فيروز وقسم الاموال على العسكر ثم خاف على نفسه لبعده

عن قبيلته فخرج فيمن معه من أقاربه وقصد قبيلته وقدم الباقون من العسكر على أنفسهم قيصر الرومي واتصل خبرهم بعماد الملك سرتيز مملوك السلطان وهو يومئذ أمير أمراء السند وسكناه بملتان فجمع العساكر وتجهز في البر وفي نهر السند وبين ملتان وسيوستان عشرة أيام وخرج اليه قيصر فوقع اللقاء وانهزم قيصر ومن معه اشنع هزيمة وتحصنوا بالمدينة فحصرهم ونصب المجانيق عليهم واشتد عليهم الحصار فطلبوا الامان بعد أربعين يوما من نزوله عليهم فاعطاهم الامان فلما نزلوا اليه غدرهم وأخذ أموالهم وأمر بقتلهم فكان كل يوم يضرب أعناق بعضهم ويوسط بعضهم ويسلخ آخرين منهم ويملأ جلودهم تبنا ويعلقها على السور فكان معظمه عليه تلك الجلود مصلوبة ترعب من ينظر اليها وجمع رؤسهم في وسط المدينة فكانت مثل التل هنالك ونزلت بتلك المدينة إثر هذه الوقيعة بمدرسة فيها كبيرة وكنت أنام على سطحها فاذا استيقظت من الليل أرى تلك الجلود المصلوبة فتشمئز النفس منها ولم تطب نفسي بالسكنى بالمدرسة فانتقلت عنها وكان الفقيه الفاضل العادل علاء الملك الخراساني المعروف بفصيح الدين قاضي هراة في متقدم التاريخ قد وفد على ملك الهند فولاه مدينة لاهري واعمالها من بلاد السند وحضر هذه الحركة مع عماد الملك سرتيز بمن معه من العساكر فعزمت على السفر معه الى مدينة لاهري وكان له خمسة عشر مركبا قدم بها في نهر السند تحمل اثقاله فسافرت

ذكر السفر في نهر السند وترتيب ذلك

وكان للفقيه علاء الملك في جملة مراكبه مركب يعرف بالاهورة (بفتح الهمزة والهاء وسكون الواو وفتح الراء) وهي نوع من الطريدة عندنا الا انها أوسع منها وأقصر وعلى نصفها معرش من خشب يصعد له على درج وفوقه مجلس مهيأ لجلوس الامير ويجلس اصحابه بين يديه ويقف المماليك يمنة ويسرة والرجال يقذفون وهم نحو اربعين ويكون مع هذه الاهورة أربعة من المراكب عن يمينها ويسارها اثنان منها فيهما مراتب الامير وهي العلامات والطبول والابواق والانفار والصرنايات وهي الغيطات والآخران فيهما اهل الطرب فتضرب الطبول والابواق نوبة ويغني المغنون نوبة ولا يزالون كذلك من أول النهار الى وقت الغداء فاذا كان وقت الغداء انضمت المراكب ووصل بعضها ببعض ووضعت بينهما الاصقالات وأتي أهل الطرب الى أهورة الامير فيغنون الى أن يفرغ من أكله ثم ياكلون واذا انقضى الاكل عادوا الى مركبهم وشرعوا أيضا في المسير على ترتيبهم الى الليل فاذا كان الليل ضربت المحلة على شاطىء النهر ونزل الامير الى مضاربه ومد

السماط وحضر الطعام معظم العسكر فاذا صلوا العشاء الاخيرة سمر السمار بالليل نوبا فاذا أتم أهل النوبة منهم نوبتهم نادى منادمنهم بصوت عال ياخوند ملك قد مضى من الليل كذا من الساعات ثم يسمر أهل النوبة الاخري فاذا أتموها نادي مناديهم أيضا معلما بما مر من الساعات فاذا كان الصبح ضربت الابواق والطبول وصليت صلاة الصبح وأتي بالطعام فاذا فرغ الا كل أخذوا في المسير فان أراد الامير ركوب النهر ركب على ماذكرناه من الترتيب وان أراد المسير في البر ضربت الاطبال والابواق وتقدم حجابه ثم تلاهم المشاؤون بين يديه ويكون بين أيدى الحجاب ستة من الفرسان عند ثلاثة منهم أطبال قد تقلدوها وعند ثلاثة صرنايات فاذا أقبلوا على قرية أوما هومن الارض مرتفع ضربوا تلك الاطبال والصرنايات ثم تضرب أطبال العسكر وأبواقه ويكون عن يمين الحجاب ويسارهم المغنون يغنون نوبا فاذا كان وقت الغداء نزلوا وسافرت مع علاء الملك خمسة أيام ووصلنا الى موضع ولايته وهو مدينة لاهرى (وضبط اسمها بفتح الهاء وكسر الراء) مدينة حسنة على ساحل البحر الكبير وبها يصب نهر السند في البحر فيلتقي بها بحران ولها مرسى عظيم ياتي اليه أهل اليمن وأهل فارس وغيرهم وبذلك عظمت جباياتها وكثرت أموالها أخبرني الامير علاء الملك المذكور ان مجبي هذه المدينة ستون لكا في السنة وقد ذكرنا مقدار اللك وللامير من ذلك ثم (نيم) ده يك ومعناه نصف العشر وعلى ذلك يعطى السلطان البلاد لعماله يا خذون منها لانفسهم نصف العشر

ـــ ذكر غريبة رأيتها بخارج هذه المدينة ـــ

وركبت يوما مع علاء الملك فانتهينا الى بسيط من الارض على مسافة سبعة أميال منها يعرف بتارنا فرأيت هنالك مالا يحصره العد من الحجارة على مثل صور الآدميين والبهايم وقد تغير كثير منها ودثرت أشكاله فيبقى منه صورة رأس اورجل أوسواها ومن الحجارة أيضا على صورة الحبوب من البر والحمص والفول والعدس وهنالك آثار سور وجدرات دور ثم رأينا رسم دار فيها بيت من حجارة منحوتة وفي وسطه دكانة حجارة منحوتة كانها حجر واحد عليها صورة آدمي الاان رأسه طويل وفمه في جانب من وجهه ويداه خلف ظهره كالمكتوف وهنالك مياه شديدة النتن وكتابة على بعض الجدرات بالهندى وأخبرنى علاء الملك ان أهل التاريخ يزعمون ان هذا الموضع كانت فيه مدينة عظيمة أكثر أهلها الفساد فمسخوا حجارة وان ملكهم هو الذى على الدكانة في الدار التي ذكرناها وهي الى الآن تسمى دار الملك وان الكتابة التى فى بعض الحيطان هنالك

بالهندي هى تاريخ هلاك أهل تلك المدينة وكان ذلك منذ ألف سنة أونحوها وأقمت بهذه المدينة مع علاء الملك خمسة أيام ثم احسن فى الزاد وانصرفت عنه الى مدينة بكار (بفتح الباء الموحدة) وهى مدينة حسنة يشقها خليج من نهر السندوفي وسط ذلك الخليج زاوية حسنة فيها الطعام للوارد والصادر عمرها كشلوخان ايام ولايته على بلاد السند وسيقع ذكره ولقيت بهذه المدينة الفقيه الامام صدر الدين الحنفى ولقيت بها قاضيها المسمى بابي حنيفة ولقيت بها الشيخ العابد الزاهد شمس الدين محمد الشيرازي وهو من المعمرين ذكرلى ان سنه يزيد على مائة وعشرين عاما ثم سافرت من مدينة بكار فوصلت الى مدينة اوجه (وضبط اسمها بضم الهمزة وفتح الجيم) وهي مدينة كبيرة على نهر السند لها اسواق حسنة وعمارة جيدة وكان الامير بها اذذاك الملك الفاضل الشريف جلال الدين الكيجي احد الشجعان الكرماء وبهذه المدينة توفي بعد سقطة سقطها عن فرسه

— مكرمة لهذا الملك —

ونشأت بينى وبين هذا الملك الشريف جلال الدين مودة وتاكدت بيننا الصحبة والمحبة واجتمعنا بحضرة دهلى فلما سافر السلطان الى دولة أبادكما سنذكره وأمرني بالاقامة بالحضرة قال لى جلال الدين انك تحتاج الى نفقة كبيرة والسلطان تطول غيبته فخذ قريتي واستغلها حتى أعود ففعلت ذلك واستغليت منها نحو خمسة آلاف دينار جزاه الله احسن جزائه ولقيت بمدينة اوجه الشيخ العابد الزاهد الشريف قطب الدين حيدر العلوى والبسني الخرقة وهو من كبار الصالحين ولم يزل الثوب الذي البسنيه معى الى ان سلبني كفار الهنود فى البحر ثم سافرت من اوجه الى مدينة ملتان (وضبط اسمها بضم الميم وتاء معلوة) وهى قاعدة بلاد السند ومسكن امير امرائه وفى الطريق اليها على مسافة عشرة اميال منها الوادى المعروف بخسرو آباد وهو من الاودية الكبار لايجاز الا فى المركب وبه يبحث عن امتعة المجتازين اشد البحث وتفتش رحالهم وكانت عادتهم فى حين وصولنا اليها ان ياخذوا الربع من كل مايجلبه التجار وياخذوا على كل فرس سبعة دنانير مغرما ثم بعد وصولنا للهند بسنتين رفع السلطان تلك المغارم وامران لايؤخذ من الناس الا الزكاة والعشر لما بايع للخليفة ابى العباس العباسى ولما اخذنا فى اجازة هذا الوادى وفتشت الرحال عظم علي تفتيش رحلى لانه لم يكن فيه طائل وكان يظهر فى اعين الناس كبيرا فكنت اكره ان يطلع عليه ومن لطف الله تعالى ان وصل احد كبار الاجناد من جهة قطب الملك صاحب ملتان فامر ان لا يعرض لى ببحث ولاتفتيش فكان كذلك فحمدت

الله على ماهياه لي من لطائفه وبتنا تلك الليلة على شاطىء الوادي وقدم علينا في صبيحتها
ملك البريد واسمه دهقان وهو سمرقندي الاصل وهو الذي يكتب للسلطان باخبار تلك
المدينة وعمالتها وما يحدث بها ومن يصل اليها فتعرفت به ودخلت في صحبته الى أمير ملتان

— ذكر أمير ملتان وترتيب حاله —

وأمير ملتان هو قطب الملك من كبار الامراء وفضلائهم لما دخلت عليه قام الي وصافحني
وأجلسني الى جانبه وأهديت له مملوكا وفرسا وشيئا من الزبيب واللوز وهو من أعظم
مايهدى اليهم لانه ليس ببلادهم وانما يجلب من خراسان وكان جلوس هذا الامير على
دكانة كبيرة عليها البسط وعلى مقربة منه القاضي ويسمي سالار والخطيب ولا أذكر اسمه
وعن يمينه ويساره أمراء الاجناد وأهل السلاح وقوف على رأسه والعساكر تعرض بين
يديه وهنالك قسي كثيرة فاذا أتى من يريد ان يثبت في العسكر راميا أعطي قوسا من
تلك القسي ينزع فيها وهي متفاوتة في الشدة فعلى قدر نزعه يكون مرتبه ومن أراد أن
يثبت فارسا فهنالك طبلة منصوبة فيجري فرسه ويرميها برمحه وهنالك أيضا خاتم معلق
في حائط صغير فيجري فرسه حتي يحاذيه فان رفعه برمحه فهو الجيد عندهم ومن أراد
أن يثبت راميا فارسا فهنالك كرة موضوعة في الارض فيجري فرسه ويرميها وعلى قدر
مايظهر من الانسان في ذلك من الاصابة يكون مرتبه ولما دخلنا على هذا الامير وسلمنا
عليه كما ذكرناه أمر بانزالنا في دار خارج المدينة هي لاصحاب الشيخ العابد ركن الدين الذى
تقدم ذكره وعادتهم أن لا يضيفوا أحدا حتى ياتي أمر السلطان بتضييفه

— ذكر من اجتمعت به في هذه المدينة من الغرباء الوافدين على حضرة ملك الهند —

فنهم خداوندزاده قوام الدين قاضي ترمذ قدم باهله وولده ثم ورد عليه بها اخوته عماد
الدين وضياء الدين وبرهان الدين ومنهم مبارك شاه أحد كبار سمرقند ومنهم أرن بغا
أحد كبار بخارى ومنهم ملك زاده ابن أخت خداوندزاده ومنهم بدر الدين الفصال
وكل واحد من هؤلاء معه أصحابه وخدامه وأتباعه ولما مضى من وصولنا الى ملتان شهران
وصل أحد حجاب السلطان وهو شمس الدين البوشنجي والملك محمد الهروي الكتوال
بعثهما السلطان لاستقبال خداوندزاده وقدم معهم ثلاثة من الفتيان بعثتهم المخدومة
جهان وهي أم السلطان لاستقبال زوجة خداوندزاده المذكور وأتوا بالخلع لهما ولاولادهما
ولتجهيز من قدم من الوفود وأتوا جميعا الي وسالوني لماذا قدمت فاخبرتهم اني قدمت
للاقامة في خدمة خوند عالم وهو السلطان وبهذا يدعي في بلاده وكان أمر أن لا يترك

أحد ممن ياتي من خراسان يدخل بلاد الهند الاان كان برسم الاقامة فلما أعلمتهم انى قدمت للاقامة استدعوا القاضي والعدول وكتبوا عقدا على وعلى من أراد الاقامة من أصحابي وأبى بعضهم من ذلك وتجهزنا للسفر الى الحضرة وبين ملتان وبينها مسيرة أربعين يوما فى عمارة متصلة وأخرج الحاجب وصاحبه الذى بعث معه مايحتاج اليه فى ضيافة قوام الدين واستصحبوا من ملتان نحو عشرين طباخا وكان الحاجب يتقدم ليلا الى كل منزل فيجهز الطعام وسواه فما يصل خداو ندزاده حتي يكون الطعام متيسرا وينزل كل واحد ممن ذكرناهم من الوفود على حدة بمضاربه وأصحابه وربما حضروا الطعام الذى يصنع لخداو ندزاده ولم أحضره انا الامرة واحدة وترتيب ذلك الطعام انهم يجعلون الخبز وخبزهم الرقاق وهو شبه الجراديق ويقطعون اللحم المشوى قطعا كبارا بحيث تكون الشاة اربع قطع أوستا ويجعلون أمام كل رجل قطعة ويجعلون اقراصا مصنوعة بالسمن تشبه الخبز المشرك ببلادنا ويجعلون فى وسطها الحلواء الصابونية ويغطون كل قرص منها برغيف حلواء يسمونه الخشتي ومعناه الاجري مصنوع من الدقيق والسكر والسمن ثم يجعلون اللحم المطبوخ بالسمن والبصل والزنجبيل الاخضر فى صحاف صينية ثم يجعلون شيا يسمونه سموسك وهو لحم مهروس مطبوخ باللوز والجوز والفستق والبصل والابازير موضوع فى جوف رقاقة مقلوة بالسمن يضعون أمام كل انسان خمس قطع من ذلك اوار بعا ثم يجعلون الارز المطبوخ بالسمن وعليه الدجاج ثم يجعلون لقيمات القاضي ويسمونها الهاشمي ثم يجعلون القاهرية ويقف الحاجب على السماط قبل الاكل ويخدم الى الجهة التى فيها السلطان ويخدم جميع من حضر لخدمته والخدمة عندهم حط الرأس نحو الركوع فاذا فعلوا ذلك جلسوا للأكل ويؤتى باقداح الذهب والفضة والزجاج مملوءة بماء النبات وهو الجلاب محلولا في الماء ويسمون ذلك الشربة ويشربونه قبل الطعام ثم يقول الحاجب بسم الله فعند ذلك يشرعون فى الأكل فاذا أكلوا أتوا باكواز الفقاع فاذا شربوه أتوا بالتنبول والفوفل وقد تقدم ذكرها فاذا أخذوا التنبول والفوفل قال الحاجب بسم الله فيقومون ويخدمون مثل خدمتهم أولا وينصرفون وسافرنا من مدينة ملتان وهم يجرون هذا الترتيب على حسب ماسطرناه الى ان وصلنا الى بلاد الهند وكان اول بلد دخلناه مدينة ابوهر (بفتح الهاء) وهى اول تلك البلاد الهندية صغيرة حسنة كثيرة العمارة ذات انهار واشجار وليس هنالك من اشجار بلادنا شيء ماعدا النبق لكنه عندهم عظيم الجرم تكون الحبة منه بمقدار حبة العفص شديد

الحلاوة ولهم اشجار كثيرة ليس يوجد منها شيء ببلادنا ولا بسواها

ذكر اشجار بلاد الهند وفواكهها

فمنها العنبة (بفتح العين وسكون النون وفتح الباء الموحدة) وهي شجرة تشبه أشجار النارنج الا أنها أعظم اجراما وأكثر أوراقا وظلها أكثر الظلال غير انه ثقيل فمن نام تحته وعك وثمرها على قدر الاجاص الكبير فاذا كان أخضر قبل تمام نضجه أخذوا ماسقط منه وجعلوا عليه الملح وصيروه كما يصير الليم والليمون ببلادنا وكذلك يصيرون أيضا الزنجبيل الاخضر وعناقيد الفلفل ويا كلون ذلك مع الطعام يأخذون بأثر كل لقمة يسيرا من هذه المملوحات فاذا نضجت العنبة فى أوان الخريف اصفرت حباتها فاكلوها كالتفاح فبعضهم يقطعها بالسكين وبعضهم يمصها مصا وهى حلوة يمازج حلاوتها يسير حموضة ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الاشجار كما تزرع نوى النارنج وغيرها ومنها الشكى والبركى (بفتح الشين المعجم وكسر الكاف وفتح الباء الموحدة وكسر الكاف أيضا) وهي أشجار عادية أوراقها كاوراق الجوز وثمرها يخرج من أصل الشجرة فما اتصل منه بالارض فهو البركى وحلاوته أشد ومطعمه أطيب وما كان فوق ذلك فهو الشكى وثمره يشبه القرع الكبار وجلوده تشبه جلود البقر فاذا اصفر فى أوان الخريف قطعوه وشقوه فيكون فى داخل كل حبة المائة والمائتان فما بين ذلك من حبات تشبه الخيار بين كل حبة وحبة صفاق أصفر اللون ولكل حبة نواة تشبه الفول الكبير واذا شويت تلك النواة أو طبخت يكون طعمها كطعم الفول اذ ليس يوجد هنالك ويدخرون هذه النوى فى التراب الاحمر فتبقى الى سنة أخرى وهذا الشكى والبركى هو خير فاكهة ببلاد الهند ومنها التندو (بفتح التاء المثناة وسكون النون وضم الدال) وهو ثمر شجر الآبنوس وحباته فى قدر حبات المشمش ولونها وهو شديد الحلاوة ومنها الجون (بضم الجيم المعقودة) وأشجاره عادية ويشبه ثمرة الزيتون وهو أسود اللون ونواه واحدة كالزيتون ومنها النارنج الحلو وهو عندهم كثير وأما النارنج الحامض فعزيز الوجود ومنه صنف ثالث يكون بين الحلو والحامض وثمره على قدر الليم وهو طيب جدا وكنت يعجبني أكله ومنها المهوا (بفتح الميم والواو) وأشجاره عادية وأوراقه كاوراق الجوز الا ان فيها حمرة وصفرة وثمره مثل الاجاص الصغير شديد الحلاوة وفى أعلى كل حبة منه حبة صغيرة بمقدار حبة العنب مجوفة وطعمها كطعم العنب الا أن الاكثار من أكلها يحدث فى الرأس صداعا ومن العجب ان هذه الحبوب اذا يبست فى الشمس كان مطعمها كطعم التين وكنت آكلها عوضا من التين اذ لا يوجد ببلاد

الهند وهم يسمون هذه الحبة الانكور (بفتح الهمزة وسكون النون وضم الكاف المعقودة والواو والراء) وتفسيره بلسانهم العنب والعنب بارض الهند عزيز جدا ولا يكون بها الا في مواضع بحضرة دهلى وببلاد أخر ويثمر مرتين في السنة ونوى هذا الثمر يصنعون منه الزيت ويستصبحون به ومن فواكههم فاكهة يسمونها كسيرا (بفتح الكاف وكسر السين المهمل وياء مد وراء) يحفرون عليها الارض وهي شديدة الحلاوة تشبه القسطل وببلاد الهند من فواكه بلادنا الرمان ويثمر مرتين في السنة ورأيته ببلاد جزائر ذيبة المهل لا ينقطع له ثمر وهم يسمونه أنار (بفتح الهمزة والنون) وأظن ذلك هو الاصل في تسمية الجلنار فان جل بالفارسية الزهر ونار الرمان

— ذكر الحبوب التي يزرعها أهل الهند ويقتاتون بها —

وأهل الهند يزدرعون مرتين في السنة فاذا نزل المطر عندهم في أوان القيظ زرعوا الزرع الخريفي وحصدوه بعد ستين يوما من زراعته ومن هذه الحبوب الخريفية عندهم الكذرو (بضم الكاف وسكون الذال المعجم وضم الراء وبعدها واو) وهو نوع من الدخن وهذا الكذرو هو أكثر الحبوب عندهم ومنها القال (بالقاف) وهو شبه انلى ومنها الشاماخ (بالشين والخاء المعجمتين) وهو أصغر حبا من القال وربما نبت هذا الشاماخ من غير زراعة وهو طعام الصالحين وأهل الورع والفقراء والمساكين يخرجون لجمع ما نبت منه من غير زراعة فيمسك أحدهم قفة كبيرة بيساره وتكون بيمناه مقرعة يضرب بها الزرع فيسقط في القفة فيجمعون منه ما يقتاتون به جميع السنة وحب هذا الشاماخ صغير جدا واذا جمع جعل في الشمس ثم يدق في مهاريس الخشب فيطير قشره ويبقى لبه أبيض ويصنعون منه عصيدة يطبخونها بحليب الجواميس وهي أطيب من خبزه وكنت آكلها كثيرا ببلاد الهند وتعجبني ومنها الماش وهو نوع من الجلبان ومنها المنج (بميم مضموم ونون وجيم) وهو نوع من الماش الا أن حبوبه مستطيلة ولونه صافي الخضرة ويطبخون المنج مع الارز ويأكلونه بالسمن ويسمونه كشرى (بالكاف والشين المعجم والراء) وعليه يفطرون في كل يوم وهو عندهم كالحريرة ببلاد المغرب ومنها اللوبيا وهي نوع من الفول ومنها الموت (بضم الميم) وهو مثل الكذرو الا أن حبوبه أصغر وهو من علف الدواب عندهم وتسمن الدواب بأكله والشعير عندهم لا قوة له وانما علف الدواب من هذا الموت أو الحمص يجرشونه ويبلونه بالماء ويطعمونه الدواب ويطعمونها عوضا من القصيل أوراق الماش بعد ان تسقى الدابة السمن عشرة أيام في كل يوم مقدار

ثلاثة أرطال أو أربعة ولا تركب فى تلك الايام وبعد ذلك يطعمونها أوراق الماش كما ذكرنا شهرا أو نحوه وهذه الحبوب التى ذكرناها هي الخريفية واذا حصدها بعد ستين يوما من زراعتها ازدرعوا الحبوب الربيعية وهي القمح والشعير والحمص والعدس وتكون زراعتها فى الارض التي كانت الحبوب الخريفية مزدرعة فيها وبلادهم كريمة طيبة التربة وأما الارز فانهم يزرعونه ثلاث مرات فى السنة وهو من أكبر الحبوب عندهم ويزدرعون السمسم وقصب السكر مع الحبوب الخريفية التي تقدم ذكرها ﴿ ولنعد ﴾ الى ما كنا بسبيله فاقول سافرنا من مدينة أبوهر فى صحراء مسيرة يوم فى أطرافها جبال منيعة يسكنها كفار الهنود وربما قطعوا الطريق وأهل بلاد الهند أكثرهم كفار فمنهم رعية تحت ذمة المسلمين يسكنون القرى ويكون عليهم حاكم من المسلمين يقدمه العامل أو الخديم الذى تكون القرية في اقطاعه ومنهم عصاة محاربون يمتنعون بالجبال ويقطعون الطريق

—— ذكر غزوة لنا بهذا الطريق وهي أول غزوة شهدتها ببلاد الهند ——

ولما أردنا السفر من مدينة أبوهر خرج الناس منها أول النهار وأقمت بها الى نصف النهار فى لمة من أصحابي ثم خرجنا ونحن اثنان وعشرون فارسا منهم عرب ومنهم أعاجم فخرج علينا فى تلك الصحراء ثمانون رجلا من الكفار وفارسان وكان أصحابي ذوى نجدة ومنعة فقاتلناهم أشد القتال فقتلنا أحد الفارسين منهم وغنمنا فرسه وقتلنا من رجالهم نحو اثني عشر رجلا واصابتني نشابة وأصابت فرسى نشابة ثانية ومن الله بالسلامة منها لان نشابهم لا قوة لها وجرح لاحد اصحابنا فرس عوضناه له بفرس الكافر وذبحنا فرسه المجروح فاكله الترك من أصحابنا وأوصلنا تلك الرؤس الى حصن أبى بكهر فعلقناها على سوره وكان وصولنا فى نصف الليل الى حصن أبى بكهر المذكور (وضبط اسمه بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وفتح الهاء وآخره راء) وسافرنا منه فوصلنا بعد يومين الى مدينة أجودهن (وضبط اسمها بفتح الهمزة وضم الجيم وفتح الدال المهمل والهاء وآخره نون) مدينة صغيرة هى للشيخ الصالح فريد الدين البذاوانى الذى أخبرنى الشيخ الصالح الولى برهان الدين الاعرج بالاسكندرية اني سالقاه فلقيته والحمد لله وهو شيخ ملك الهند وأنعم عليه بهذه المدينة وهذا الشيخ مبتلى بالوسواس والعياذ بالله فلا يصافح أحدا ولا يدنو منه واذا ألصق ثوبه بثوب أحد غسل ثوبه دخلت زاويته ولقيته وأبلغته سلام الشيخ برهان الدين فعجب وقال أنا دون ذلك ولقيت ولديه الفاضلين معز الدين وهو أكبرهما ولما مات أبوه تولى الشياخة بعده وعلم الدين وزرت قبر جده القطب الصالح فريد الدين البذاوانى منسوبة

الى مدينة بذاون بلد السنبل (وهي بفتح الباء الموحدة والذال المعجم وضم الواو وآخرها نون) ولما أردت الانصراف عن هذه المدينة قال لى علم الدين لا بد لك من رؤية والدي فرأيته وهو في أعلى سطح له وعليه ثياب بيض وعمامة كبيرة لها ذؤابة وهي مائلة الى جانب ودعا لى وبعث الى بسكر ونبات

—— ذكر أهل الهند الذين يحرقون أنفسهم بالنار ——

ولما انصرفت عن هذا الشيخ رأيت الناس يهرعون من عسكرنا ومعهم بعض أصحابنا فسألتهم ما الخبر فاخبروني ان كافرا من الهنود مات وأججت النار لحرقه وامرأته تحرق نفسها معه ولما احترقا جاء أصحابي وأخبروا أنها عانقت الميت حتى احترقت معه وبعد ذلك كنت في تلك البلاد أرى المرأة من كفار الهنود متزينة راكبة والناس يتبعونها من مسلم وكافر والاطبال والابواق بين يديها ومعها البراهمة وهم كبراء الهنود واذا كان ذلك ببلاد السلطان استاذنوا السلطان في إحراقها فيأذن لهم فيحرقونها ثم اتفق بعد مدة انى كنت بمدينة أكثر سكانها الكفار تعرف بابجري وأميرها مسلم من سامرة السند وعلى مقربة منها الكفار العصاة فقطعوا الطريق يوما وخرج الامير المسلم لقتالهم وخرجت معه رعية من المسلمين والكفار ووقع بينهم قتال شديد مات فيه من رعية الكفار سبعة نفر وكان الثلاثة منهم ثلاث زوجات فاتفقن على إحراق أنفسهن واحراق المرأة بعد زوجها عندهم أمر مندوب اليه غير واجب لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها احرز أهل بيتها شرفا بذلك ونسبوا الى الوفاء ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب وأقامت عند أهلها بائسة ممتهنة لعدم وفائها ولكنها لا تكره على احراق نفسها ولما تعاهدت النسوة الثلاث اللاتى ذكرناهن على احراق انفسهن أقمن قبل ذلك ثلاثة أيام في غناء وطرب وأكل وشرب كانهن يودعن الدنيا ويأتى اليهن النساء من كل جهة وفي صبيحة اليوم الرابع أتيت كل واحدة منهن بفرس فركبته وهي متزينة متعطرة وفي يمناها جوزة نارجيل تلعب بها وفي يسراها مرآة تنظر فيها وجهها والبراهمة يحفون بها وأقاربها معها وبين يديها الاطبال والابواق والانفار وكل انسان من الكفار يقول لها ابلغى السلام الى أبي أو أخي أو أمي أو صاحبي وهي تقول نعم وتضحك اليهم وركبت مع أصحابي لارى كيفية صنعهن في الاحتراق فسرنا معهن نحو ثلاثة أميال وانتهينا الى موضع مظلم كثير المياه والاشجار متكاثف الظلال وبين اشجاره أربع قباب في كل قبة صنم من الحجارة وبين القباب صهريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال وتزاحمت الاشجار فلا تتخللها

الشمس فكان ذالك الموضع بقعة من بقع جهنم اعاذنا الله منها ولما وصلن الى تلك القباب نزلن الى الصهريج وانغمسن فيه وجردن ماعليهن من ثياب وحلي فتصدقن به وأتيت كل واحدة منهن بثوب قطن خشن غير مخيط فربط بعضه على وسطها وبعضه على رأسها وكتفيها والنيران قد أضرمت على قرب من ذالك الصهريج في موضع منخفض وصب عليها روغن كنجت (كنجد) وهو زيت الجلجلان فزاد في اشتعالها وهنالك نحو خمسة عشر رجلا بايديهم حزم من الحطب الرقيق ومعهم نحو عشرة بايديهم خشب كبار وأهل الاطبال والابواق وقوف ينتظرون مجيء المرأة وقد حجبت النار بملحفة يمسكها الرجال بايديهم لئلا يدهشها النظر اليها فرأيت احداهن لما وصلت الى تلك الملحفة نزعتها من أيدي الرجال بعنف وقالت لهم مارا ميترسانى ازاطش (آتش) من ميدانم أواطش است رها كنى ماراوهي تضحك ومعني هذا الكلام أبالنار تخوفوني أنا اعلم انها نار محرقة ثم جمعت يديها على رأسها خدمة للنار ورمت بنفسها فيها وعند ذلك ضربت الاطبال والانفار والابواق ورمى الرجال مابايديهم من الحطب عليها وجعل الآخرون تلك الخشب من فوقها لئلا تتحرك وارتفعت الاصوات وكثر الضجيج ولما رأيت ذلك كدت اسقط عن فرسي لولا أصحابي تداركوني بالماء فغسلوا وجهي وانصرفت وكذلك يفعل أهل الهند أيضا في الغرق يغرق كثير منهم انفسهم في نهر الكنك وهو الذي اليه يحجون وفيه يرمى برماد هؤلاء المحرقين وهم يقولون انه من الجنة واذا أتى احدهم ليغرق نفسه يقول لمن حضره لاتظنوا انى اغرق نفسي لاجل شيء من امور الدنيا أو لقلة مال انما قصدي التقرب الى كساى وكساى (بضم الكاف والسين المهمل) اسم الله عز وجل بلسانهم ثم يغرق نفسه فاذا مات أخرجوه واحرقوه ورموا برماده في البحر المذكور ﴿ولنعد﴾ الى كلامنا الاول فنقول سافرنا من مدينة أجودهن فوصلنا بعد مسيرة اربعة أيام منها الى مدينة سرستي (وضبط اسمها بسينين مفتوحين بينهما راء ساكنة ثم تاء مثناة مكسورة وياء) مدينة كبيرة كثيرة الارز وأرزها طيب ومنها يحمل الى حضرة دهلى ولها مجبي كثير جدا اخبرنى الحاجب شمس الدين البوشنجي بمقداره وأنسيته ثم سافرنا منها الى مدينة حانسى (وضبط اسمها بفتح الحاء المهملة وألف ونون ساكن وسين مهمل مكسور وياء) وهي من احسن المدن وأتقنها واكثرها عمارة ولها سور عظيم ذكروا ان بانيه رجل من كبار سلاطين الكفار يسمى توره (بضم التاء المثلوة وفتح الراء) وله عندهم حكايات واخبار ومن هذه المدينة كمال الدين صدر الجهان

قاضي قضاة الهند وأخوه قطلوخان معلم السلطان واخواهما نظام الدين وشمس الدين الذى انقطع الى الله وجاور بمكة حتي مات ثم سافرنا من حانسى فوصلنا بعد يومين الى مسعود أباد وهى على عشرة أميال من حضرة دهلى وأقمنا بها ثلاثة أيام وحانسى ومسعود أبادها للملك المعظم هوشنج (بضم الهاء وفتح الشين المعجم وسكون النون وبعدها جيم) ابن الملك كمال كرك وكرك (بكافين معقودين أولاهما مضمومة) ومعناه الذئب وسياتي ذكره وكان سلطان الهند الذي قصدنا حضرته غائبا عنها بناحية مدينة قنوج وبينها وبين حضرة دهلى عشرة أيام وكانت بالحضرة والدته وتدعى المخدومة جهان وجهان اسم الدنيا وكان بها أيضا وزيره خواجه جهان المسمى باحمد بن اياس الرومي الاصل فبعث الوزير الينا أصحابه ليتلقونا وعين للقاء كل واحد منا من كان من صنفه فكان من الذين عينهم للقائي الشيخ البسطامى والشريف المازندرانى وهو حاجب الغرباء والفقيه علاء الدين الملتانى المعروف بقنره بضم القاف وفتح النون وتشديدها) وكتب الى السلطان بخبرنا وبعث الكتاب مع الدواة وهى بريد الرجالة حسبما ذكرناه فوصل الى السلطان وأتاه الجواب فى تلك الايام الثلاثة التي أقمناها بمسعود أباد وبعد تلك الايام خرج الى لقائنا القضاة والفقهاء والمشايخ وبعض الامراء وهم يسمون الامراء ملوكا فحيث يقول أهل ديار مصر وغيرها الامير يقولون هم الملك وخرج الى لقائنا الشيخ ظهير الدين الزنجاني وهو كبير المنزلة عند السلطان ثم رحلنا من مسعود أباد فنزلنا بمقربة من قرية تسمى بالم (بفتح الباء المعقودة وفتح اللام) وهي للسيد الشريف ناصر الدين مطهر الاوهرى أحد ندماء السلطان وممن له عنده الحظوة التامة وفى غد ذلك اليوم وصلنا الى حضرة دهلى قاعدة بلاد الهند (وضبط اسمها بكسر الدال المهمل وسكون الهاء وكسر اللام) وهى المدينة العظيمة الشان الضخمة الجامعة بين الحسن والحصانة وعليها السور الذى لا يعلم له فى بلاد الدنيا نظير وهى أعظم مدن الهند بل مدن الاسلام كلها بالمشرق

— ذكر وصفها —

ومدينة دهلى كبيرة الساحة كثيرة العمارة وهى الآن اربع مدن متجاورات متصلات احداها المسماة بهذا الاسم دهلى وهى القديمة من بناء الكفار وكان افتتاحها سنة أربع وثمانين وخمسمائة والثانية تسمى سيرى (بكسر السين المهمل والراء وبينهما ياء مد) وتسمى أيضا دار الخلافة وهى التي أعطاها السلطان لغياث الدين حفيد الخليفة المستنصر العباسى لما قدم عليه وبها كان سكنى السلطان علاء الدين وابنه قطب الدين وسنذكرهما والثالثة

تسمي تغلق أباد باسم بانيها السلطان تغلق والد سلطان الهند الذى قدمنا عليه وكان سبب بنائه لها انه وقف يوما بين يدى السلطان قطب الدين فقال له ياخوند عالم كان ينبغي ان تبني هنا مدينة فقال له السلطان متهكما اذا كنت سلطانا فابنها فكان من قدر الله أن كان سلطانا فبناها وسماها باسمه والرابعة تسمى جهان بناه وهي مختصة بسكنى السلطان محمد شاه ملك الهند الآن الذى قدمنا عليه وهو الذى بناها وكان أراد ان يضم هذه المدن الاربع تحت سور واحد فبني منه بعضا و ترك بناء باقيه لعظم ما يلزم فى بنائه

— ذكر سور دهلي وابوابها —

والسور المحيط بمدينة دهلى لا يوجد له نظير عرض حائطه أحد عشر ذراعا وفيه بيوت يسكنها السمار وحفاظ الابواب وفيها مخازن للطعام ويسمونها الانبارات ومخازن للعدد ومخازن للمجانيق والرعادات ويبقى الزرع بها مدة طائلة لا يتغير ولا تطرقه آفة ولقد شاهدت الارز يخرج من بعض تلك المخازن ولونه قد اسود ولكن طعمه طيب ورأيت أيضا الكذرو يخرج منها وكل ذلك من اختزان السلطان بلبن منذ تسعين سنة ويمشي فى داخل السور الفرسان والرجال من أول المدينة الى آخرها وفيه طيقان مفتحة الى جهة المدينة يدخل منها الضوء وأسفل هذا السور مبنى بالحجارة وأعلاه بالآجر وابراجه كثيرة متقاربة ولهذه المدينة ثمانية وعشرون بابا وهم يسمون الباب دروازة فمنها دروازة بذاون وهى الكبرى ودروازة المندوى وبها رحبة الزرع ودروازة جل (بضم الجيم) وهى موضع البساتين ودروازة شاه اسم رجل ودروازة بالم اسم قرية قد ذكرناها ودروازة نجيب اسم رجل ودروازة كمال كذلك ودروازة غزنة نسبة الى مدينة غزنة التى فى طرف خراسان وبخارجها مصلى العيد وبعض المقابر ودروازة البجالصة (بفتح الباء والجيم والصاد المهمل) وبخارج هذه الدروازة مقابر دهلى وهى مقبرة حسنة يبنون بها القباب ولا بد عند كل قبر من محراب وان كان لا قبة له ويزرعون بها الاشجار المزهرة مثل قل شنبه (كل شنبو) وريبول (راي بيل) والنسرين وسواها والازاهير هنالك لا تنقطع فى فصل من الفصول

— ذكر جامع دهلى —

وجامع دهلى كبير الساحة حيطانه وسقفه وفرشه كل ذلك من الحجارة البيض المنحوتة أبدع نحت ملصقة بالرصاص أتقن الصاق ولا خشبة به أصلا وفيه ثلاث عشرة قبة من حجارة ومنبره أيضا من الحجر وله أربعة من الصحون وفى وسط الجامع العمود الهائل الذى لا يدري من أى المعادن هو وذكر لى بعض حكمائهم انه يسمى هفت جوش (بفتح الهاء وسكون

الفاء وتاء معلوة وجيم مضموم وآخره شين معجم) ومعنى ذلك سبعة معادن وانه مؤلف منها وقد جلى من هذا العمود مقدار السبابة ولذلك المجلو منه بريق عظيم ولا يؤثر فيه الحديد وطوله ثلاثون ذراعا وادرنا به عمامة فكان الذى أحاط بدائرته منها ثمان أذرع وعند الباب الشرقي من أبواب المسجد صنمان كبيران جدا من النحاس مطروحان بالارض قد ألصقا بالحجارة ويطأ عليهما كل داخل الى المسجد أو خارج منه وكان موضع هذا المسجد بدخانة وهو بيت الاصنام فلما افتتحت جعل مسجدا وفى الصحن الشمالى من المسجد الصومعة التى لا نظير لها فى بلاد الاسلام وهي مبنية بالحجارة الحمر خلافا لحجارة سائر المسجد فانها بيض وحجارة الصومعة منقوشة وهى سامية الارتفاع وفحلها من الرخام الابيض الناصع وتفافيحها من الذهب الخالص وسعة ممرها بحيث تصعد فيه الفيلة حدثني من أثق به انه رأى الفيل حين بنيت يصعد بالحجارة الى أعلاها وهي من بناء السلطان معز الدين بن ناصر الدين ابن السلطان غياث الدين بلبن وأراد السلطان قطب الدين أن يبني بالصحن الغربي صومعة أعظم منها فبنى مقدار الثلث منها واخترم دون تمامها وأراد السلطان محمد اتمامها ثم ترك ذلك تشاؤما وهذه الصومعة من عجائب الدنيا فى ضخامتها وسعة ممرها بحيث تصعده ثلاثة من الفيلة متقارنة وهذا الثلث المبنى منها مساو لارتفاع جميع الصومعة التى ذكرنا انها بالصحن الشمالى وصعدتها مرة فرأيت معظم دور المدينة وعاينت الاسوار على ارتفاعها وسموها منحطة وظهر لى الناس في أسفلها كانهم الصبيان الصغار ويظهر لناظرها من أسفلها ان ارتفاعها ليس بذلك لعظم جرمها وسعتها وكان السلطان قطب الدين أراد أن يبني أيضا مسجدا جامعا بسيرى المسماة دار الخلافة فلم يتم منه غير الحائط القبلى والمحراب وبناؤه بالحجارة البيض والسود والحمر والخضر ولو كمل لم يكن له مثل فى البلاد وأراد السلطان محمد اتمامه وبعث عرفاء البناء ليقدروا النفقة فيه فزعموا انه ينفق فى اتمامه خمسة وثلاثون لكا فترك ذلك استكثارا له وأخبرني بعض خواصه انه لم يتركه استكثارا لكنه تشاءم به لما كان السلطان قطب الدين قد قتل قبل تمامه

ذكر الحوضين العظيمين بخارجها

وبخارج دهلى الحوض العظيم المنسوب الى السلطان شمس الدين للمش ومنه يشرب أهل المدينة وهو بالقرب من مصلاها وماؤها يجتمع من ماء المطر وطوله نحو ميلين وعرضه على النصف من طوله والجهة الغربية منه من ناحية المصلى مبنية بالحجارة مصنوعة أمثال الدكاكين بعضها أعلى من بعض وتحت كل دكان درج ينزل عليها الى الماء وبجانب كل دكان

قبة حجارة فيها مجالس للمتنزهين والمتفرجين وفى وسط الحوض قبة عظيمة من الحجارة المنقوشة مجعولة طبقتين فاذا كثر الماء فى الحوض لم يكن سبيل اليها الا فى القوارب فاذا قل الماء دخل اليها الناس وداخلها مسجد وفى أكثر الاوقات يقيم بها الفقراء المنقطعون الى الله المتوكلون عليه واذا جف الماء فى جوانب هـذا الحوض زرع فيها قصب السكر والخيار والقثاء والبطيخ الاخضر والاصفر وهو شديد الحلاوة صغير الجرم وفيما بين دهلى ودار الخلافة حوض الخاص وهـو أكبر من حوض السلطان شمس الدين وعلى جوانبه نحو أربعين قبة ويسكن حوله أهـل الطرب وموضعهم يسمي طرب آباد ولهم سوق هنالك من أعظم الاسواق ومسجد جامع ومساجد سواه كثيرة وأخبرت أن النساء المغنيات الساكنات هنالك يصلين التراويح فى شهر رمضان بتلك المساجد مجتمعات ويؤمهن الائمة وعدد هن كثير وكذلك الرجال المغنون ولقد شاهدت الرجال أهل الطرب فى عرس الامير سيف الدين غدا بن مهنى لكل واحد منهم مصلى تحت ركبته فاذا سمع الاذان قام فتوضا وصلى

— ذ كر بعض مزاراتها —

فمنها قبر الشيخ الصالح قطب الدين بختيار الكعكى وهـو ظاهر البركة كثير التعظيم وسبب تسمية هـذا الشيخ بالكعكى أنه كان اذا أتاه الذين عليهم الديون شاكين من الفقر أو القلة أو الذين لهم البنات ولا يجدون مايجهزوهن به الى أزواجهن يعطى من أتاه منهم كعكة من الذهب أو من الفضة حتي عرف من أجل ذلك بالكعكى رحمه الله ومنها قبر الفقيه الفاضل نور الدين الكرلانى (بضم الكاف وسكون الراء والنون) ومنها قبر الفقيه علاء الدين الكرمانى نسبة الى كرمان وهـو ظاهر البركة ساطع النور ومكانه يظهر قبلة المصلي وبذلك الموضع قبور رجال صالحين كثير نفع الله تعالى بهم

— ذ كر بعض علمائها وصلحائها —

فمنهم الشيخ الصالح العالم محمود الكبا (بالباء الموحدة) وهو من كبار الصالحين والناس يزعمون انه ينفق من الكون لانه لامال له ظاهر وهـو يطعم الوارد والصادر ويعطى الذهب والدراهم والاثواب وظهرت له كرامات كثيرة واشتهـر بها رأيته مرات كثيرة وحصلت لى بركته ومنهم الشيخ الصالح العالم علاء الدين النيلى كانه منسوب الى نيل مصر والله اعلم كان من اصحاب الشيخ العالم الصالح نظام الدين البزوانى وهـو يعظ النـاس فى كل يوم جمعة فيتوب كثير منهم بين يديه ويحلقون رؤسهم ويتواجدون ويغشى على بعضهم

— حكاية —

شاهدته فى بعض الايام وهـو يعظ فقرأ القارىء بين يديه (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة

الساعةشيءعظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وتري الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) ثم كررها الفقيه علاء الدين فصاح أحد الفقراء من ناحية المسجد صيحة عظيمة فاعاد الشيخ الآية فصاح الفقير ثانية ووقع ميتا وكنت فيمن صلى عليه وحضر جنازته ومنهم الشيخ الصالح العابد صدر الدين الكهرانى (بضم الكاف وسكون الهاء وراء ونون) وكان يصوم الدهر ويقوم الليل وتجرد عن الدنيا جميعا ونبذها ولباسه عباءة ويزوره السلطان وأهل الدولة وربما احتجب عنهم فرغب السلطان منه أن يقطعه قرى يطعم منها الفقراء والواردين فابى ذلك وزاره يوما وأتي اليه بعشرة آلاف دينار فلم يقبلها وذكروا انه لا يفطر الا بعد ثلاث وانه قيل له في ذلك فقال لا أفطر حتي أضطر فتحل لى الميتة ومنهم الامام الصالح العالم العابد الورع الخاشع فريد دهره ووحيد عصره كمال الدين عبد الله الغارى (بالغين المعجم والراء) نسبة الى غار كان يسكنه خارج دهلى بمقربة من زاوية الشيخ نظام الدين البذاوني زرته بهذا الغار ثلاث مرات

— كرامة له —

كان لى غلام فابق منى وألفيته بيد رجل من الترك فذهبت الى انتزاعه من يده فقال لى الشيخ ان هذا الغلام لا يصلح لك فلا تاخذه وكان التركى راغبا فى المصالحة فصالحته بمائة دينار أخذتها منه وتركته له فلما كان بعد ستة أشهر قتل سيده وأتى به الى السلطان فامر بتسليمه لاولاد سيده فقتلوه ولما شاهدت لهذا الشيخ هذه الكرامة انقطعت اليه ولازمته وتركت الدنيا ووهبت جميع ما كان عندي للفقراء والمساكين وأقمت عنده مدة فكنت أراه يواصل عشرة أيام وعشرين يوما ويقوم أكثر الليل ولم أزل معه حتي بعث عني السلطان ونشبت فى الدنيا ثانية والله تعالى يختم بالخير وساذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى وكيفية رجوعى الى الدنيا

— ذكر فتح دهلى ومن تداولها من الملوك —

حدثني الفقيه الامام العلامة قاضي القضاة بالهند والسند كمال الدين محمد بن البرهان الغزنوى الملقب بصدر الجهان ان مدينة دهلى افتتحت من أيدى الكفار فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة وقد قرأت أنا ذلك مكتوبا على محراب الجامع الاعظم بها وأخبرني أيضا انها افتتحت على يد الامير قطب الدين ايبك (واسمه بفتح الهمزة وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة) وكان يلقب سياه (سالار) ومعناه مقدم الجيوش وهو أحد مماليك السلطان المعظم شهاب الدين محمد بن سنام الغوري ملك غزنة وخراسان المتغلب على ملك

ابراهيم ابن السلطان الغازي محمود بن سبكتكين الذى ابتدأ فتح الهند وكان السلطان شهاب الدين المذكور بعث الامير قطب الدين بعسكر عظيم ففتح الله عليه مدينة لاهور وسكنها وعظم شانه وسعي به الى السلطان والقي اليه جلساؤه انه يريد الانفراد بملك الهند وانه قد عصي وخالف وبلغ هذا الخبر الى قطب الدين فبادر بنفسه وقدم على غزنة ليلا ودخل على السلطان ولا علم عند الذين وشوا به اليه فلما كان بالغد قعد السلطان على سريره وأقعد ايبك تحت السرير بحيث لا يظهر وجاء الندماء والخواص الذين سعوا به فلما استقر بهم الجلوس سالهم السلطان عن شان ايبك فذكروا له انه عصى وخالف وقالوا قد صح عندنا انه ادعي الملك لنفسه فضرب السلطان سريره برجله فصفق بيديه وقال يا ايبك قال لبيك وخرج عليهم فسقط فى أيديهم وفزعوا الى تقبيل الارض فقال لهم السلطان قد غفرت لكم هذه الزلة واياكم والعودة الى الكلام في ايبك وأمره ان يعود الى بلاد الهند فعاد اليها وفتح مدينة دهلى وسواها واستقر بها الاسلام الى هذا العهد وأقام قطب الدين بها الى ان توفى

— ذكر السلطان شمس الدين لمش —

(وضبط اسمه بفتح اللام الاولى وسكون الثانية وكسر الميم وشين معجم) وهو أول من ولى الملك بمدينة دهلى مستقلا به وكان قبل تملكه مملوكا للامير قطب الدين أيبك وصاحب عسكره نائبا عنه فلما مات قطب الدين استبد بالملك وأخذ الناس بالبيعة فاتاه الفقهاء يقدمهم قاضي القضاة اذذاك وجيه الدين الكاسانى فدخلوا عليه وقعدوا بين يديه وقعد القاضى الى جانبه على العادة وفهم السلطان عنهم ما ارادوا أن يكلموه به فرفع طرف البساط الذي هو قاعد عليه وأخرج لهم عقدا يتضمن عتقه فقرأه القاضى والفقهاء وبايعوه جميعا واستقل بالملك وكانت مدته عشرين سنة وكان عادلا صالحا فاضلا ومن مآثره انه اشتد في رد المظالم وانصاف المظلومين وامران يلبس كل مظلوم ثوبا مصبوغا وأهل الهند جميعا يلبسون البياض فكان متي قعد للناس اوركب فرأى احدا عليه ثوب مصبوغ نظر فى قضيته وانصفاه ممن ظلمه ثم انه أعيا في ذلك فقال ان بعض الناس تجري عليهم المظالم بالليل واريد تعجيل انصافهم فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام موضوعين على برجين هنالك وفي أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير فكان المظلوم ياتي ليلا فيحرك الجرس فيسمعه السلطان وينظر فى أمره للحين وينصفه ولما توفى السلطان شمس الدين خلف من الاولاد الذكور ثلاثة وهم ركن الدين الوالى بعده ومعز الدين وناصر الدين وبنتا تسمي رضية هي شقيقة معز الدين منهم فتولى بعده ركن الدين كما ذكرناه*

— ذكر السلطان ركن الدين ابن السلطان شمس الدين —

ولما بويع ركن الدين بعد موت أبيه افتتح أمره بالتعدى على أخيه معز الدين فقتله وكانت رضية شقيقته فانكرت ذلك عليه فاراد قتلها فلما كان فى بعض أيام الجمع خرج ركن الدين الى الصلاة فصعدت رضية على سطح القصر القديم المجاور للجامع الاعظم وهو يسمى دولة خانة ولبست عليها ثياب المظلومين وتعرضت للناس وكلمتهم من أعلى السطح وقالت لهم ان أخى قتل أخاه وهو يريد قتلى معه وذكرتهم أيام أبيها وفعله الخير واحسانه اليهم فثاروا عند ذلك الى السلطان ركن الدين وهو فى المسجد فقبضوا عليه وأتوا به اليها فقالت لهم القاتل يقتل فقتلوه قصاصا باخيه وكان أخوهما ناصر الدين صغيرا فاتفق الناس على تولية رضية

— ذكر السلطانة رضية —

ولما قتل ركن الدين اجتمعت العساكر على تولية أخته رضية الملك فولوها واستقلت بالملك أربع سنين وكانت تركب بالقوس والتركش والقربان كما يركب الرجال ولا تستر وجهها ثم انها اتهمت بعبد لها من الحبشة فاتفق الناس على خلعها وتزويجها فخلعت وزوجت من بعض أقاربها وولى الملك أخوها ناصر الدين

— ذكر السلطان ناصر الدين ابن السلطان شمس الدين —

ولما خلعت رضية ولى ناصر الدين اخوها الاصغر واستقل بالملك مده ثم ان رضيه وزوجها خالفا عليه وركبا فى مماليكهما ومن تبعهما من أهل الفساد وتهيا لقتاله وخرج ناصر الدين ومعه مملوكه النائب عنه غياث الدين بلبن متولى الملك بعده فوقع اللقاء وانهزم عسكر رضية وفرت بنفسها فادركها الجوع واجهدها الاعياء فقصدت حراثا رأته يحرث الارض فطلبت منه ما تأكله فاعطاها كسرة خبز فاكلتها وغلب عليها النوم وكانت فى زى الرجال فلما نامت نظر اليها الحراث وهى نائمة فرأى تحت ثيابها قباء مرصعا فعلم انها امراة فقتلها وسلبها وطرد فرسها ودفنها فى فدانه وأخذ بعض ثيابها فذهب الى السوق ليبيعها فانكر أهل السوق شانه وأتوا به الشحنة وهو الحاكم فضربه فاقر بقتلها ودلهم على مدفنها فاستخرجوها وغسلوها وكفنوها ودفنت هنالك وبنى عليها قبة وقبرها الآن يزار ويتبرك به وهو على شاطىء النهر الكبير المعروف بنهر الجون على مسافة فرسخ واحد من المدينة واستقل ناصر الدين بالملك بعدها واستقام له الامر عشرين سنة وكان ملكا صالحا ينسخ نسخا من الكتاب العزيز ويبيعها فيقتات بثمنها وقد وقفنى القاضى كمال الدين على مصحف بخطه متقن محكم الكتابة ثم ان نائبه غياث الدين بلبن قتله وملك بعده ولبلبن هذا خبر ظريف نذكره

— ذكر السلطان غياث الدين بلبن —

(وضبط اسمه بباءين موحدتين بينهما لام والجميع مفتوحات وآخره نون) ولما قتل بلبن مولاه السلطان ناصر الدين استقل بالملك بعده عشرين سنة وقد كان قبلها نائبا له عشرين سنة أخرى وكان من خيار السلاطين عادلا حليما فاضلا ومن مكارمه أنه بني دارا وسماها دار الأمن فمن دخلها من أهل الديون قضى دينه ومن دخلها خائفا أمن ومن دخلها وقد قتل أحدا أرضى عنه أولياء المقتول ومن دخلها من ذوى الجنايات أرضي أيضا من يطلبه وبتلك الدار دفن لما مات وقد زرت قبره

— حكاية —

يذكر ان أحد الفقراء ببخاري رأى بها بلبن هذا وكان قصيرا حقيرا دميما فقال له يا تركك وهي لفظة تعرب عن الاحتقار فقال له لبيك ياخوند فاعجبه كلامه فقال له اشترلى من هذا الرمان وأشار الى رمان يباع بالسوق فقال نعم وأخرج فليسات لم يكن عنده سواها واشتري له من ذلك الرمان فلما أخذها الفقير قال له وهبنا لك ملك الهند فقبل بلبن يد نفسه وقال قبلت ورضيت واستقر ذلك في ضميره واتفق ان بعث السلطان شمس الدين للمش تاجرا يشترى له المماليك بسمرقند وبخارى وترمذ فاشترى مائة مملوك كان من جملتهم بلبن فلما دخل بالمماليك على السلطان أعجبه جميعهم الا بلبن لما ذكرناه من دمامته فقال لا أقبل هذا فقال له بلبن ياخوند عالم لمن اشتريت هؤلاء المماليك فضحك منه وقال اشتريتهم لنفسى فقال له اشترني أنا لله عزوجل فقال نعم وقبله وجعله في جملة المماليك فاحتقر شانه وجعل فى السقائين وكان أهل المعرفة بعلم النجوم يقولون للسلطان شمس الدين ان أحد مماليكك ياخذ الملك من يد ابنك ويستولى عليه ولا يزالون يلقون له ذلك وهو لا يلتفت الى أقوالهم لصلاحه وعدله الى أن ذكروا ذلك للخاتون الكبرى أم أولاده فذكرت له ذلك واثر فى نفسه وبعث على المنجمين فقال أتعرفون المملوك الذى ياخذ ملك ابني اذا رأيتموه فقالوا له نعم عندنا علامة نعرفه بها فامر السلطان بعرض مماليكه وجلس لذلك فعرضوا بين يديه طبقة طبقة والمنجمون ينظرون اليهم ويقولون لم نره بعد وحان وقت الزوال فقال السقاؤون بعضهم لبعض انا قد جعنا فلنجمع شيئا من الدراهم ونبعث أحدنا الى السوق ليشتري لنا ما ناكله فجمعوا الدراهم وبعثوا بها بلبن اذ لم يكن فيهم أحقر منه فلم يجد بالسوق ما أرادوه فتوجه الى سوق أخرى وأبطا وجاءت نوبة السقائين فى العرض وهو لم يات بعد فاخذوا زقه وماعونه وجعلوه على كاهل صبي وعرضوه على انه بلبن فلما نودى باسمه جاز الصبي بين أيديهم وانقضى العرض ولم ير المنجمون الصورة التى تطلبوها

وجاء بلبن بعد تمام العرض لما أراد الله من انفاذ قضائه ثم انه ظهرت نجابته فجعل أمير السقائين ثم صار من جملة الاجناد ثم من الامراء ثم تزوج السلطان ناصر الدين بنته قبل ان يلي الملك فلما ولى الملك جعله نائبا عنه مدة عشرين سنة ثم قتله بلبن واستولى على ملكه عشرين سنة أخرى كما تقدم ذكر ذلك وكان للسلطان بلبن ولدان أحدهما الخان الشهيد ولى عهده وكان واليا لابيه ببلاد السند ساكنا بمدينة ملتان وقتل فى حرب له مع التتر وترك ولدين كى قباد وكى خسرو وولد السلطان بلبن الثانى يسمى ناصر الدين وكان واليا لابيه ببلاد اللكنوتي وبنجالة فلما استشهد الخان الشهيد جعل السلطان بلبن العهد الى ولده كى خسرو وعدل به عن ابن نفسه ناصر الدين وكان لناصر الدين أيضا ولد ساكن بحضرة دهلي مع جده يسمى معز الدين وهو الذى تولى الملك بعد جده فى خبر عجيب نذكره وأبوه اذ ذاك حى كما ذكرناه

— ذكر السلطان معز الدين بن ناصر الدين ابن السلطان غياث الدين بلبن —

ولما توفى السلطان غياث الدين ليلا وابنه ناصر الدين غائب ببلاد اللكنوتى وجعل العهد لابن ابنه الشهيد كى خسرو حسبما قصصناه كان ملك الامراء نائب السلطان غياث الدين عدوا لكى خسرو فادار عليه حيلة تمت له وهى انه كتب بيعة دلس فيها على خطوط الامراء الكبار بانهم بايعوا معز الدين حفيد السلطان بلبن ودخل على كى خسرو كالمتنصح له فقال له ان الامراء قد بايعوا ابن عمك وأخاف عليك منهم فقال له كى خسرو فما الحيلة قال أنج بنفسك هاربا الى بلاد السند فقال وكيف الخروج والابواب مسدودة فقال له ان المفاتيح بيدى وأنا أفتح لك فشكره على ذلك وقبل يده فقال اركب الآن فركب فى خاصته ومماليكه وفتح له الباب وأخرجه وسد فى أثره واستاذن على معز الدين فبايعه فقال كيف لى بذلك وولاية العهد لابن عمي فاعلمه بما أدار عليه من الحيلة وباخراجه فشكره على ذلك ومضي به الى دار الملك وبعث الى الامراء والخواص فبايعوا ليلا فلما أصبح بايعه سائر الناس واستقام له الملك وكان أبوه حيا ببلاد بنجالة واللكنوتي فاتصل به الخبر فقال أنا وارث الملك وكيف يلي ابني الملك ويستقل به وأنا بقيد الحياة فتجهز في جيوشه قاصدا حضرة دهلي وتجهز ولده فى جيوشه أيضا قاصدا المدافعة عنها فتوافيا معا بمدينة كرا وهى على ساحل نهر الكنك الذي تحج الهنود اليه فنزل ناصر الدين على شاطئه مما يلى كرا ونزل ولده السلطان معز الدين مما يلي الجهة الاخري والنهر بينهما وعزما على القتال ثم ان الله تعالى أراد حقن دماء المسلمين فالقى فى قلب ناصر الدين الرحمة لابنه وقال اذا ملك ولدي فذلك شرف وأنا أحق أن أرغب فى ذلك والقى فى قلب السلطان معز الدين الضراعة لابيه

فركب كل واحد منهما فى مركب منفردا عن جيوشه والتقيا فى وسط النهر فقبل السلطان رجل أبيه واعتذر له فقال له أبوه قد وهبتك ملكى وولّيتك وبايعه وأراد الرجوع لبلاده فقال له ابنه لا بد لك من الوصول الى بلادى فمضى معه الى دهلى ودخل القصر وأقعده أبوه على سرير الملك ووقف بين يديه وسمي ذلك اللقاء الذى كان بينهما بالنهر لقاء السعدين لما كان فيه من حقن الدماء وتواهب الملك والتجافى عن المنازعة واكثرت الشعراء فى ذلك وعاد ناصر الدين الى بلاده فمات بها بعد سنين وترك بها ذرية منهم غياث الدين بهادور الذى أسره السلطان تغلق وأطلقه ابنه محمد بعد وفاته واستقام الملك لمعز الدين أربعة أعوام بعد ذلك وكانت كالاعياد رأيت بعض من أدركها يصفه خيراتها ورخص أسعارها وجود معز الدين وكرمه وهو الذى بنى الصومعة بالصحن الشمالى من جامع دهلى ولا نظير لها فى البلاد وحكى لى بعض أهل الهندان معز الدين كان يكثر النكاح والشرب فاعترته علة أعجز الاطباء دواؤها ويبس احد شقيه فقام عليه نائبه جلال الدين فيروزشاه الخلجى (بفتح الخاء المعجم واللام والجيم)

ذكر السلطان جلال الدين

ولما اعترى السلطان معز الدين ماذكرناه من يبس أحد شقيه خالف عليه نائبه جلال الدين وخرج الى ظاهر المدينة فوقف على تل هنالك بجانب قبة تعرف بقبة الجيشانى فبعث معز الدين الامراء لقتاله فكان كل من يبعثه منهم يبايع جلال الدين ويدخل فى جملته ثم دخل المدينة وحصره في القصر ثلاثة أيام وحدثنى من شاهد ذلك ان السلطان معز الدين أصابه الجوع فى تلك الايام فلم يجد مايا كله فبعث اليه احد الشرفاء من جيرانه ما أقام أوده ودخل عليه القصر فقتل وولى بعده جلال الدين وكان حليما فاضلا وحلمه اداه الى القتل كما سنذكره واستقام له الملك سنين وبنى القصر المعروف باسمه وهو الذى أعطاه السلطان محمد لصهره الامير غدا ابن مهنى لما زوجه باخته وسيذكر ذلك فكان للسلطان جلال الدين ولد اسمه ركن الدين وابن أخ اسمه علاء الدين زوجه بابنته وولاه مدينة كراومانكبور ونواحيها وهي من أخصب بلاد الهند كثيرة القمح والارز والسكر وتصنع بها الثياب الرفيعه ومنها تجلب الى دهلى وبينهما مسيرة ثمانية عشر يوما وكانت زوجة علاء الدين تؤذيه فلا يزال يشكوها الى عمه السلطان جلال الدين حتي وقعت الوحشة بينهما بسببها وكان علاء الدين شهما شجاعا مظفرا منصورا وحب الملك ثابت فى نفسه الا انه لم يكن له مال الا مايستفيده بسيفه من غنائم الكفار فاتفق انه ذهب مرة الى

الغزو ببلاد الدويقير وتسمى بلاد الكتكة أيضا وسنذكرها وهي كرسى بلاد المالوة والمرهتة وكان سلطانها أكبر سلاطين الكفار فعثرت بعلاء الدين فى تلك الغزوة دابته عند حجر فسمع له طنينا فامر بالحفر هنالك فوجد تحته كنزا عظيما ففرقه فى أصحابه ووصل الى الدويقير فاذعن له سلطانها بالطاعة ومكنه من المدينة من غير حرب وأهدى له هدايا عظيمة فرجع الى مدينة كرا ولم يبعث الى عمه شيا من الغنائم فاغرى الناس عمه به فبعث اليه فامتنع من الوصول اليه فقال السلطان جلال الدين أنا أذهب اليه وآتي به فانه محل ولدى فتجهز فى عساكره وطوى المراحل حتى حل بساحل مدينة كرا حيث نزل السلطان معز الدين لما خرج الي لقاء ابيه ناصر الدين وركب النهر برسم الوصول الى ابن أخيه وركب ابن أخيه أيضا فى مركب ثان عازما علي الفتك به وقال لاصحابه اذا انا عانقته فاقتلوه فلما التقيا وسط النهر عانقه ابن أخيه وقتله أصحابه كما وعدهم واحتوى على ملكه وعساكره

— ذكر السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي —

ولما قتل عمه استقل بالملك وفر اليه اكثر عساكر عمه وعاد بعضهم الى دهلى واجتمعوا على ركن الدين وخرج الى دفاعه فهربوا جميعا الى السلطان علاء الدين وفر ركن الدين الى السند ودخل علاء الدين دار الملك واستقام له الامر عشرين سنة وكان من خيار السلاطين وأهل الهند يثنون عليه كثيرا وكان يتفقد امور الرعية بنفسه ويسال عن اسعارهم ويحضر المحتسب وهم يسمونه الرئيس فى كل يوم برسم ذلك ويذكر انه ساله يوما عن سبب غلاء اللحم فاخبره ان ذلك لكثرة المغرم على البقر فى الرتب فامر برفع ذلك وامر باحضار التجار واعطاهم الاموال وقال لهم اشتروا بها البقر والغنم وبيعوها ويرتفع ثمنها لبيت المال ويكون لكم أجرة على بيعها ففعلوا ذلك وفعل مثل هذا فى الاثواب التي يؤتي بها من دولة اباد وكان اذا غلا ثمن الزرع فتح المخازن وباع الزرع حتى يرخص السعر ويذكر ان السعر ارتفع ذات مرة فامر ببيع الزرع بثمن عينه فامتنع الناس من بيعه بذلك الثمن فامر أن لا يبيع أحد زرعا غير زرع المخزن وباع للناس ستة أشهر فخاف المحتكرون فساد زرعهم بالسوس فرغبوا أن يؤذن لهم فى البيع فاذن لهم على أن يبيعوه باقل من القيمة الاولى التى امتنعوا من بيعه بها وكان لا يركب لجمعة ولا لعيد ولا سواهما وسبب ذلك انه كان له ابن اخ يسمى سليمان شاه وكان يحبه ويعظمه فركب يوما الى الصيد وهو معه وأضمر فى نفسه ان يفعل به مافعل هو بعمه جلال الدين من الفتك فلما نزل

للغداء رماه بنشابة فصرعه وغطاه بعض عبيده بترس وأتي ابن أخيه ليجهز عليه فقال له العبيد انه قد مات فصدقهم وركب فدخل القصر على الحرم وأفاق السلطان علاء الدين من غشيته وركب واجتمعت العساكر عليه وفر ابن اخيه فادرك وأتي به اليه فقتله وكان بعد ذلك لا يركب وكان له من الاولاد خضر خان وشادى خان وأبو بكر خان ومبارك خان وهو قطب الدين الذي ولي الملك وشهاب الدين وكان قطب الدين مهتضما عنده ناقص الحظ قليل الحظوة وأعطى جميع اخوته المراتب وهي الاعلام والاطبال ولم يعطه شيئا وقال له يوما لا بد أن أعطيك مثل ما أعطيت اخوتك فقال له الله هو الذي يعطيني فهال أباه هذا الكلام وفزع منه ثم ان السلطان أصابه المرض الذي مات منه وكانت زوجته أم ولده خضر خان وتسمى ماه حق والماه القمر بلسانهم لها أخ يسمى سنجر فعاهدت أخاها على تمليك ولدها خضر خان وعلم بذلك ملك نائب أكبر أمراء السلطان وكان يسمي الالفى لان السلطان اشتراه بالف تنكة وهي الفان وخمسمائة من دنانير المغرب فوشى الى السلطان بما اتفقوا عليه فقال لخواصه اذا دخل على سنجر فاني معطيه ثوبا فاذا لبسه فامسكوا باكمامه واضربوا به الارض واذبحوه فلما دخل عليه فعلوا ذلك وقتلوه وكان خضر خان غائبا بموضع يقال له سندبت على مسيرة يوم من دهلي توجه لزيارة شهداء مدفونين به لنذر كان عليه ان يمشي تلك المسافة راجلا ويدعو لوالده بالراحة فلما بلغه ان أباه قتل خاله حزن عليه حزنا شديدا ومزق جيبه وتلك عادة لاهل الهند يفعلونها اذا مات لهم من يعز عليهم فبلغ والده ما فعله فكره ذلك فلما دخل عليه عنفه ولامه وأمر به فقيدت يداه ورجلاه وسلمه لملك نائب المذكور وأمره أن يذهب به الى حصن كاليور وضبطه (بفتح الكاف المعقودة وكسر اللام وضم الياء آخر الحروف وآخره راء) ويقال له أيضا كيالير بزيادة ياء ثانية وهو حصن منقطع بين كفار الهنود منيع على مسيرة عشر من دهلي وقد سكنته أنا مدة فلما أوصله الى هذا الحصن سلمه للكتوال وهو أمير الحصن وللمفردين وهم الزماميون وقال لهم لا تقولوا هذا ابن السلطان فتكرموه انما هو اعدي عدو له فاحفظوه كما يحفظ العدو ثم ان المرض اشتد بالسلطان فقال لملك نائب ابعث من ياتي بابني خضر خان لاوليه العهد فقال له نعم وماطله بذلك فمتي ساله عنه قال هو ذا يصل الى أن توفى السلطان رحمه الله

ذكر ابنه السلطان شهاب الدين

ولما توفى السلطان علاء الدين أقعد ملك نائب ابنه الاصغر شهاب الدين على سرير الملك وبايعه الناس وتغلب ملك نائب عليه وسمل أعين أبي بكر خان وشادى خان وبعث بهما

الى كاليور وأمر بسمل عيني أخيهما خضر خان المسجون هنالك وسجنوا وسجن قطب الدين لكنه لم تسمل عينيه وكان للسلطان علاء الدين مملوكان من خواصه يسمي أحدهما بشيرو الآخر بمبشر فبعثت اليهما الخاتون الكبري زوجة علاء الدين وهي بنت السلطان معز الدين فذكرتهما بنعمة مولاهما وقالت ان هذا الفتى نائب ملك قد فعل فى أولادي ما تعلمانه وأنه يريد ان يقتل قطب الدين فقال لها سترين ما نفعل وكانت عادتهما ان يبيتا عند نائب ملك ويدخلا عليه بالسلاح فدخلا عليه تلك الليلة وهو فى بيت من الخشب مكسو بالملف يسمونه الخرمقة ينام فيه أيام المطر فوق سطح القصر فاتفق انه أخذ السيف من يد أحدهما فقلبه ورده اليه فضربه به المملوك وثنى عليه صاحبه واحتزا رأسه واتيا به الى مجلس قطب الدين فرمياه بين يديه وأخرجاه فدخل على أخيه شهاب الدين وأقام بين يديه أياما كأنه نائب له ثم عزم على خلعه فخلعه

—— ذكر السلطان قطب الدين بن السلطان علاء الدين ——

وخلع قطب الدين أخاه شهاب الدين وقطع أصبعه وبعث به الى كاليور فحبس مع اخوته واستقام الملك لقطب الدين ثم انه بعد ذلك خرج من حضرة دهلي الى دولة اباد وهي على مسيرة اربعين يوما منها والطريق بينهما تكتنفه الاشجار من الصفصاف وسواه فكان الماشي به فى بستان وفى كل ميل منه ثلاث داوات وهي البريد وقد ذكرنا ترتيبه وفى كل داوة جميع مايحتاج المسافر اليه فكانه يمشي فى سوق مسيرة الاربعين يوما وكذلك يتصل الطريق الى بلاد التلنك والمعبر مسيرة ستة أشهر وفى كل منزلة قصر للسلطان وزاوية للوارد والصادر فلا يفتقر الفقير الى حمل زاد فى ذلك الطريق ولما خرج السلطان قطب الدين فى هذه الحركة اتفق بعض الامراء على الخلاف عليه وتولية ولد أخيه خضر خان المسجون وسنه نحو عشرة أعوام وكان مع السلطان فبلغ السلطان ذلك فاخذ ابن أخيه المذكور وأمسك برجليه وضرب برأسه الى الحجارة حتي نثر دماغه وبعث احد الامراء ويسمي ملك شاه الى كاليور حيث أبو هذا الولد وأعمامه وأمره بقتلهم جميعا فحدثني القاضي زين الدين مبارك قاضي هذا الحصن قال قدم علينا ملك شاه ضحوة يوم وكنت عند خضر خان بمحبسه فلما سمع بقدومه خاف وتغير لونه ودخل عليه الامير فقال له فيما جئت قال فى حاجة خوند عالم فقال له نفسي سالمة فقال نعم وخرج عنه واستحضر الكتوال وهو صاحب الحصن والمفردين وهم الزماميون وكانوا ثلاثمائة رجل وبعث عني وعن العدول واستظهر بامر السلطان فقرؤه واتوا الى شهاب الدين المخلوع فضربوا عنقه

وهو متثبت غير جزع ثم ضربوا عنق أبي بكر خان وشادي خان ولما أتوا ليضربوا عنق خضر خان فزع وذهل وكانت أمه معه فسدوا الباب دونها وقتلوه وسحبوهم جميعا فى حفرة بدون تكفين ولا غسل وأخرجوا بعد سنين فدفنوا بمقابر آبائهم وعاشت أم خضر خان مدة ورأيتها بمكة سنة ثمان وعشرين وحصن كاليور هذا في رأس شاهق كانه منحوت من الصخر لا يحاذيه جبل وبداخله جباب الماء ونحو عشرين بئرا عليها الاسوار مضافة الى الحصن منصوبا عليها المجانيق والرعادات ويصعد الى الحصن في طريق متسعة يصعدها الفيل والفرس وعند باب الحصن صورة فيل منحوت من الحجر وعليه صورة فيال واذا رآه الانسان على البعد لم يشك انه فيل حقيقة وأسفل الحصن مدينة حسنة مبنية كلها بالحجارة البيض المنحوتة مساجدها ودورها ولا خشب فيها ماعدا الابواب وكذلك دار الملك بها والقباب والمجالس وأكثر سوقتها كفار وفيها ستمائة فارس من جيش السلطان لا يزالون فى جهاد لانها بين الكفار ولما قتل قطب الدين اخوته واستقل بالملك فلم يبق من ينازعه ولا من يخالف عليه بعث الله تعالى عليه خاصته الحظي لديه أكبر أمرائه وأعظمهم منزلة عنده ناصر الدين خسرو خان ففتك به وقتله واستقل بملكه الا ان مدته لم تطل فى الملك فبعث الله عليه أيضا من قتله بعد خلعه وهو السلطان تغلق حسبما يشرح ذلك كله مستوفى ان شاء الله تعالى أثر هذا ونسطره

— ذكر السلطان خسرو خان ناصر الدين —

وكان خسرو خان من أكبر أمراء قطب الدين وهو شجاع حسن الصورة وكان فتح بلاد جنديرى وبلاد المعبر وهي من أخصب بلاد الهند وبينهما وبين دهلى مسيرة ستة أشهر وكان قطب الدين يحبه حبا شديدا ويؤثره فجر ذلك حتفه على يديه وكان لقطب الدين معلم يسمى قاضي خان صدر الجهان وهو أكبر أمرائه وكليت (كليد) دار وهو صاحب مفاتيح القصر وعادته ان يبيت كل ليلة على باب السلطان ومعه أهل النوبة وهم الف رجل يبيتون مناوبة بين أربع ليال ويكونون صفين فيما بين ابواب القصر وسلاح كل واحد منهم بين يديه فلا يدخل أحد الا فيما بين سماطيهم واذا تم الليل أتي أهل نوبة النهار ولاهل النوبة أمراء وكتاب يتطوفون عليهم ويكتبون من غاب منهم أو حضر وكان معلم السلطان قاضي خان يكره أفعال خسرو خان ويسوءه مايراه من ايثاره لكفار الهنود وميله اليهم وأصله منهم ولا يزال يلقي ذلك الى السلطان فلا يسمع منه ويقول له دعه ومايريد لما اراد الله من قتله على يديه فلما كان فى بعض الايام قال خسرو خان للسلطان ان جماعة

من الهنود يريدون ان يسلموا ومن عادتهم بتلك البلاد ان الهندي اذا اراد الاسلام أدخل الى السلطان فيكسوه كسوة حسنة ويعطيه قلادة وأساور من ذهب على قدره فقال له السلطان ائتني بهم فقال انهم يستحيون ان يدخلوا اليك نهارا لاجل اقربائهم وأهل ملتهم فقال له ائتني بهم ليلا فجمع خسروخان جماعة من شجعان الهنود وكبرائهم فيهم أخوه خان خانان وذلك أوان الحر والسلطان ينام فوق سطح القصر ولا يكون عنده فى ذلك الوقت الا بعض الفتيان فلما دخلوا الابواب الاربعة وهم شاكون فى السلاح ووصلوا الى الباب الخامس وعليه قاضى خان أنكر شأنهم وأحس بالشر فمنعهم من الدخول وقال لا بد أن أسمع من خوند عالم بنفسى الاذن في دخولهم وحينئذ يدخلون فلما منعهم من الدخول هجموا عليه فقتلوه وعلت الضجة بالباب فقال السلطان ما هذا فقال خسروخان هم الهنود الذين أتوا ليسلموا فمنعهم قاضى خان من الدخول وزاد الضجيج فخاف السلطان وقام يريد الدخول الى القصر وكان بابه مسدودا والفتيان عنده فقرع الباب واحتضنه خسرو خان من خلفه وكان السلطان أقوى منه فصرعه ودخل الهنود فقال لهم خسروخان هو ذا فوقى فاقتلوه فقتلوه وقطعوا رأسه ورموا به من سطح القصر الى صحنه وبعث خسرو خان من حينه عن الامراء والملوك وهم لا يعلمون بما اتفق فكلما دخلت طائفة وجدوه على سرير الملك فبايعوه ولما أصبح أعلن بامره وكتب المراسم وهى الاوامر الى جميع البلاد وبعث لكل أمير خلعة فطاعوا له جميعا واذعنوا الا تغلق شاه والد السلطان محمد شاه وكان اذ ذاك أميرا بديبالبور من بلاد السند فلما وصلته خلعة خسروخان طرحها بالارض وجلس فوقها وبعث اليه اخاه خان خانان فهزمه ثم آل أمره الى ان قتله كما سنشرحه فى اخبار تغلق ولما ملك خسروخان آثر الهنود وأظهر امورا منكرة منها النهي عن ذبح البقر على قاعدة كفار الهنود فانهم لا يجيزون ذبحها وجزاء من ذبحها عندهم ان يخاط فى جلدها ويحرق وهم يعظمون البقر ويشربون ابوالها للبركة وللاستشفاء اذا مرضوا ويلطخون بيوتهم وحيطانهم بأرواثها وكان ذلك مما بغض خسروخان الى المسلمين وأمالهم عنه الى تغلق فلم تطل مدة ولايته ولا امتدت ايام ملكه كما سنذكره

ذكر السلطان غياث الدين تغلق شاه

(وضبط اسمه بضم التاء المعلوة وسكون الغين المعجم وضم اللام وآخره قاف) حدثني الشيخ الامام الصالح العالم العامل العابد ركن الدين بن الشيخ الصالح شمس الدين أبى عبدالله ابن الولى الامام العالم العابد بهاء الدين زكريا القرشي الملتاني بزاويته منها ان السلطان تغلق كان

من الا تراك المعروفين بالقرونة (بفتح القاف والراء وسكون الواو وفتح النون) وهم قاطنون بالجبال التي بين بلاد السند والترك وكان ضعيف الحال فقدم بلاد السند في خدمة بعض التجار وكان كلوا نياله والكلوانى (بضم الكاف المعقودة) هو راعى الخيل (جلوبان) وذلك على أيام السلطان علاء الدين وأمير السند اذذاك أخوه أولوخان (بضم الهمزة واللام) نخدمه تغلق وتعلق بجانبه فرتبه فى البياة (بكسر الباء الموحدة وفتح الياء آخر الحروف) وهم الرجالة ثم ظهرت نجابته فاثبت في الفرسان ثم كان من الامراء الصغار وجعله أولوخان أمير خيله ثم كان بعد من الامراء الكبار وسمى بالملك الغازى ورأيت مكتوبا على مقصورة الجامع بملتان وهو الذي أمر بعملها انى قاتلت التتر تسعا وعشرين مرة فهزمتهم فحينئذ سميت بالملك الغازي ولما ولي قطب الدين ولاه مدينة ديال بور وعمالتها (وهى بكسر الدال المهمل وفتح الباء الموحدة) وجعل ولده الذى هو الآن سلطان الهند أمير خيله وكان يسمى جونة (بفتح الجيم والنون) ولما ملك تسمي بمحمد شاه ثم لما اقتل قطب الدين وولى خسروخان أبقاه على امارة الخيل فلما أراد تغلق الخلاف كان له ثلاثمائة من أصحابه الذين يعتمد عليهم فى القتال وكتب الى كشلو خان وهو يومئذ بملتان وبينهما وبين ديال بور ثلاثة أيام يطلب منه القيام بنصرته ويذكره نعمة قطب الدين ويحرضه على طلب ثاره وكان ولد كشلوخان بدهلى فكتب الى تغلق انه لوكان ولدي عندى لاعنتك على ماتريد فكتب تغلق الى ولده محمد شاه يعلمه بما عزم عليه ويامره أن يفر اليه ويستصحب معه ولد كشلوخان دار ولده الحيلة على خسروخان وتمت له كما أراد فقال له ان الخيل قد سمنت وتبدنت وهى تحتاج البراق وهو التضمير فاذن له فى تضميرها فكان يركب كل يوم فى أصحابه فيسير بها الساعة والساعتين والثلاث واستمر الى اربع ساعات الى أن غاب يوما الى وقت الزوال وذلك وقت طعامهم فامر السلطان بالركوب في طلبه فلم يوجد له خبر ولحق بابيه واستصحب معه ولد كشلوخان وحينئذ أظهر تغلق الخلاف وجمع العساكر وخرج معه كشلوخان فى أصحابه وبعث السلطان أخاه خان خانان لقتالهما فهزماه شر هزيمة وفر عسكره اليهما ورجع خان خانان الى أخيه وقتل أصحابه وأخذت خزائنه وأمواله وقصد تغلق حضرة دهلى وخرج اليه خسروخان فى عساكره ونزل بخارج دهلى بموضع يعرف باصيا اباد (آسيا باد) ومعنى ذلك رحي الريح وأمر بالخزائن ففتحت وأعطي الاموال بالبدر لا بوزن ولاعد ووقع اللقاء بينه وبين تغلق وقاتلت الهنود أشد قتال وانهزمت عساكر تغلق ونهبت محلته وانفرد فى أصحابه الاقدمين الثلاثمائة فقال لهم الى أين الفرار حيثما أدركنا قتلنا

واشتغلت عساكر خسروخان بالنهب وتفرقوا عنه ولم يبق معه الا قليل فقصد تغلق وأصحابه موقفه والسلطان هنالك يعرف بالشطر (جتر) الذي يرفع فوق رأسه وهو الذي يسمي بديار مصر القبة والطير ويرفع بها في الاعياد وأما بالهند والصين فلا يفارق السلطان في سفر ولا حضر فلما قصده تغلق وأصحابه حمي القتال بينهم وبين الهنود وانهزم أصحاب السلطان ولم يبق معه أحد وهرب فنزل عن فرسه ورمي بثيابه وسلاحه وبقي في قميص واحد وارسل شعره بين كتفيه كما يفعل فقراء الهند ودخل بستانا هنالك واجتمع الناس على تغلق وقصد المدينة فاتاه الكتوال بالمفاتيح ودخل القصر ونزل بناحية منه وقال لكشلوخان أنت تكون السلطان فقال كشلوخان بل أنت تكون السلطان وتنازعا فقال له كشلوخان فان أبيت أن تكون سلطانا فيتولى ولدك فكره هذا وقبل حينئذ وقعد على سرير الملك وبايعه الخاص والعام ولما كان بعد ثلاث اشتد الجوع بخسروخان وهو مختف بالبستان فخرج وطاف به فوجد القيم فساله طعاما فلم يكن عنده فاعطاه خاتمه وقال اذهب فارهنه في طعام فلما ذهب بالخاتم الى السوق أنكر الناس أمره ورفعوه الى الشحنة وهو الحاكم فادخله على السلطان تغلق فاعلمه بمن دفع اليه الخاتم فبعث ولده محمدا لياتي به فقبض عليه وأتاه به راكبا على تتو (بتائين مثناتين أولاها مفتوحة والثانية مضمومة) وهو البرذون فلما مثل بين يديه قال له اني جائع فاتني بالطعام فامر له بالشربة ثم بالطعام ثم بالفقاع ثم بالتنبول فلما أكل قام قائما وقال ياتغلق افعل معي فعل الملوك ولا تفضحني فقال له لك ذلك وأمر به فضربت رقبته وذلك في الموضع الذي قتل هو به قطب الدين ورمي برأسه وجسده من أعلى السطح كما فعل هو برأس قطب الدين وبعد ذلك أمر بغسله وتكفينه ودفن في مقبرته واستقام الملك لتغلق أربعة أعوام وكان عادلا فاضلا

— ذكر مارامه ولده من القيام عليه فلم يتم له ذلك —

ولما استقر تغلق بدار الملك بعث ولده ليفتح بلاد التلنك (وضبطها بكسر التاء المعلوة واللام وسكون النون وكاف معقودة) وهي على مسيرة ثلاثة اشهر من مدينة دهلى وبعث معه عسكرا عظيما فيه كبار الامراء مثل الملك تمور (بفتح التاء المعلوة وضم الميم وآخره راء) ومثل الملك تكين (بكسر التاء المعلوة والكاف وآخره نون) ومثل ملك كافور المهردار (بضم الميم) ومثل ملك بيرم (بالباء الموحدة مفتوحة والياء آخر الحروف والراء مفتوحة) وسواهم فلما بلغ الى أرض التلنك اراد المخالفة وكان له نديم من الفقهاء الشعراء يعرف بعبيد فامره أن يلقي الى الناس ان السلطان تغلق توفي وظنه أن الناس يبايعونه مسرعين

اذا سمعوا ذلك فلما التي ذلك الى الناس أنكره الامراء وضرب كل واحد منهم طبله وخالف فلم يبق معه من أحد وأرادوا قتله فمنعهم منه ملك تمور وقام دونه ففر الى أبيه في عشرة من الفرسان سماهم ياران موافق معناه الاصحاب الموافقون فاعطاه أبوه الاموال والعساكر وأمره بالعود الى تلنك فعاد اليها وعلم أبوه بما كان أراد فقتل الفقيه عبيدا وأمر بملك كافور المهردار فضرب له عمود في الارض محدود الطرف وركز في عنقه حتى خرج من جنبه طرفه ورأسه الى أسفل وترك على تلك الحال وفر من بقي من الامراء الى السلطان شمس الدين ابن السلطان ناصر الدين ابن السلطان غياث الدين بلبن واستقروا عنده

—— ذكر مسير تغلق الى بلاد اللكنوتي وما اتصل بذلك الى وفاته ——

وأقام الامراء الهاربون عند السلطان شمس الدين ثم ان شمس الدين توفي وعهد لولده شهاب الدين فجلس مجلس أبيه ثم غلب عليه أخوه الاصغر غياث الدين بهادور بورة ومعناه بالهندية الاسود واستولى على الملك وقتل أخاه قطلوخان وسائر إخوته وفر شهاب الدين وناصر الدين منهم الى تغلق فتجهز معهما بنفسه لقتال أخيهما وخلف ولده محمدا نائبا عنه في ملكه وجد السير الى بلاد اللكنوتي فتغلب عليها واسر سلطانها غياث الدين بهادور وقدم به أسيرا الى حضرته وكان بمدينة دهلي الولي نظام الدين البذاوني ولا يزال محمد شاه ابن السلطان يتردد اليه ويعظم خدامه ويسأله الدعاء وكان يأخذ الشيخ حال تغلب عليه فقال ابن السلطان لخدامه اذا كان الشيخ في حاله التي تغلب عليه فاعلموني بذلك فلما أخذته الحال أعلموه فدخل عليه فلما رآه الشيخ قال وهبنا لك الملك ثم توفي الشيخ في أيام غيبة السلطان فحمل ابنه محمد نعشه على كاهله فبلغ ذلك اباه فانكره وتوعده وكان قد رابته منه أمور ونقم عليه استكثاره من شراء المماليك واجزاله العطايا واستجلابه قلوب الناس فزاد حنقه عليه وبلغه ان المنجمين زعموا انه لا يدخل مدينة دهلي بعد سفره ذلك فيتوعدهم ولما عاد من سفره وقرب من الحضرة أمر ولده أن يبني له قصرا وهم يسمونه الكشك (بضم الكاف وشين معجم مسكن) على واد هنالك يسمي أفغان بور فبناه في ثلاثة أيام وجعل أكثر بنائه بالخشب مرتفعا على الارض قائما على سواري خشب وأحكمه بهندسة تولى النظر فيها الملك زاده المعروف بعد ذلك بخواجة جهان واسمه أحمد بن اياس كبير وزراء السلطان محمد وكان اذ ذاك شحنة العمارة وكانت الحكمة التي اخترعوها فيه انه متى وطئت الفيلة جهة منه وقع ذلك القصر وسقط ونزل السلطان بالقصر وأطعم الناس وتفرقوا واستاذنه ولده في أن يعرض الفيلة بين يديه وهي مزينة فاذن له وحدثني الشيخ ركن الدين

انه كان يومئذ مع السلطان ومعهما ولد السلطان المؤثر لديه محمود فجاء محمد ابن السلطان فقال للشيخ ياخوند هذا وقت العصر انزل فصل قال لي الشيخ فنزلت وأتى بالافيال من جهة واحدة حسبما دبروه فلما وطئتها سقط الكشك على السلطان وولده محمود قال الشيخ فسمعت الضجة فعدت ولم أصل فوجدت الكشك قد سقط فامر ابنه أن يؤتي بالفوس والمساحي للحفر عنه وأشار بالابطاء فلم يؤت بهما الا وقد غربت الشمس فحفروا ووجدوا السلطان قد حنا ظهره على ولده ليقيه الموت فزعم بعضهم انه أخرج ميتا وزعم بعضهم أنه أخرج حيا فاجهز عليه وحمل ليلا الى مقبرته التي بناها بخارج البلدة المسماة باسمه تغلق أباد فدفن بها وقد ذكرنا السبب في بنائه لهذه المدينة وبها كانت خزائن تغلق وقصوره وبها القصر الاعظم الذي جعل قراميده مذهبة فاذا اطلعت الشمس كان لها نور عظيم وبصيص يمنع البصر من ادامة النظر اليها واختزن بها الاموال الكثيرة ويذكرانه بنى صهريجا وأفرغ فيه الذهب افراغا فكان قطعة واحدة فصرف جميع ذلك ولده محمد شاه لما ولي وبسبب ماذكرناه من هندسة الوزير خواجة جهان في بناء الكشك الذى سقط على تغلق كانت حظوته عند ولده محمد شاه وإيثاره اديه فلم يكن أحد يدانيه في المنزلة لديه ولا يبلغ مرتبته عنده من الوزراء ولا غيرهم

— ذكر السلطان أبي المجاهد محمد شاه ابن السلطان غياث الدين تغلق شاه ملك الهند والسند الذى قدمنا عليه —

ولما مات السلطان تغلق استولى ابنه محمد على الملك من غير منازع له ولا مخالف عليه وقد قدمنا انه كان اسمه جونة فلما ملك تسمي بمحمد واكتني بابي المجاهد وكل ماذكرت من شان سلاطين الهند فهو مما أخبرت به وتلقيته أو معظمه من الشيخ كمال الدين بن البرهان الغزنوى قاضي القضاة وأما أخبار هذا الملك فمعظمها مما شاهدته أيام كوني ببلاده — ذكر وصفه —

وهذا الملك أحب الناس في إسداء العطايا وإراقة الدماء فلايخلو بابه عن فقير يغني أوحي يقتل وقد شهرت في الناس حكاياته في الكرم والشجاعة وحكاياته في الفتك والبطش بذوى الجنايات وهو أشد الناس مع ذلك تواضعا وأكثرهم اظهارا للعدل والحق وشعائر الدين عنده محفوظة وله اشتداد في أمر الصلاة والعقوبة على تركها وهو من الملوك الذين اطردت سعادتهم وخرق المعتاد يمن نقيبتهم ولكن الاغلب عليه الكرم وسنذكر من أخباره في عجائب لم يسمع بمثلها عمن تقدمه وأنا اشهد بالله وملائكته ورسله ان جميع ماأنقله عنه من الكرم الخارق للعادة حق يقين وكفى بالله شهيدا واعلم ان بعض ماآثره من ذلك لا يسع في عقل كثير من الناس ويعدونه من قبيل المستحيل عادة ولكنه شيء عاينته وعرفت

صحته واخذت بحظ وافر منه لا يسعني الا قول الحق فيه واكثر ذلك ثابت بالتواتر فى بلاد المشرق

— ذكر ابوابه ومشوره وترتيب ذلك —

ودار السلطان بدهلى تسمي دار سرى (بفتح السين المهمل والراء) ولها ابواب كثيرة فاما الباب الاول فعليه جملة من الرجال موكلون به ويقعد به أهل الانفار والابواق والصرنايات فاذا جاء أمير او كبير ضربوها ويقولون فى ضربهم جاء فلان جاء فلان وكذلك ايضا فى البابين الثانى والثالث وبخارج الباب الاول دكاكين يقعد عليها الجلادون وهم الذين يقتلون الناس فان العادة عندهم انه متى أمر السلطان بقتل أحد قتل على باب المشور ويبقى هنالك ثلاثا وبين البابين الاول والثاني دهليز كبير فيه دكاكين مبنية من جهتيه يقعد عليها أهل النوبة من حفاظ الابواب واما الباب الثانى فيقعد عليه البوابون الموكلون به وبينه وبين الباب الثالث دكانة كبيرة يقعد عليها نقيب النقباء وبين يديه عمود ذهب يمسكه بيده وعلى رأسه كلاة من الذهب مجوهرة فى أعلاها ريش الطواويس والنقباء بين يديه على رأس كل واحد منهم شاشية مذهبة وفى وسطه منطقة وبيده سوط نصابه من ذهب او فضة ويفضى هذا الباب الثانى الى مشور كبير متسع يقعد به الناس وأما الباب الثالث فعليه دكاكين يقعد فيها كتاب الباب ومن عوائدهم ان لا يدخل على هذا الباب أحد الا من عينه السلطان لذلك ويعين لكل انسان عددا من أصحابه وناسه يدخلون معه وكل من ياتى الى هذا الباب يكتب الكتاب ان فلانا جاء فى الساعة الاولى او الثانية اوما بعدها من الساعات الى آخر النهار ويطالع السلطان بذلك بعد العشاء الآخرة ويكتبون ايضا بكل مايحدث بالباب من الامور وقد عين من أبناء الملوك من يوصل كل مايكتبونه الى السلطان ومن عوائدهم ايضا انه من غاب عن دار السلطان ثلاثة ايام فصاعدا لعذر او لغير عذر فلا يدخل هذا الباب بعدها الا باذن من السلطان فان كان له عذر من مرض اوغيره قدم بين يديه هدية مما يناسب اهداءها الى السلطان وكذلك أيضا القادمون من الاسفار فالفقيه يهدي المصحف والكتاب وشبهه الفقير يهدي المصلي والسبحة والمسواك ونحوها والامراء ومن أشبههم يهدون الخيل والجمال والسلاح وهذا الباب الثالث يفضى الى المشور الهائل الفسيح الساحة المسمي هزار اسطون (بفتح الهاء والزاى وألف وراء) ومعني ذلك ألف سارية وهو سوارى من خشب مدهونة عليها سقف خشب منقوشة أبدع نقش يجلس الناس تحتها وبهذا المشور يجلس السلطان الجلوس العام

— ذكر ترتيب جلوسه للناس —

واكثر جلوسه بعد العصر وربما جلس اول النهار وجلوسه على مصطبة مفروشة بالبياض

فوقها مرتبة ويجعل خلف ظهره مخدة كبيرة وعن يمينه متكا وعن يساره مثل ذلك وقعوده كجلوس الانسان للتشهد فى الصلاة وهو جلوس أهل الهند كلهم فاذا جلس وقف أمامه الوزير ووقف الكتاب خلف الوزير وخلفهم الحجاب وكبير الحجاب هو فيروز ملك ابن عم السلطان و نائبه وهو أدنى الحجاب من السلطان ثم يتلوه خاص حاجب ثم يتلوه نائب خاص حاجب ووكيل الدار و نائبه وشرف الحجاب و سيد الحجاب وجماعة تحت ايديهم ثم يتلوا الحجاب النقباء وهم نحو مائة وعند جلوس السلطان ينادى الحجاب والنقباء باعلى أصواتهم بسم الله ثم يقف علي رأس السلطان الملك الكبير قبوله و بيده المذبة يشرد بها الذباب ويقف مائة من السلحدارية عن يمين السلطان ومثلهم عن يساره بايديهم الدرق والسيوف والقسى ويقف فى الميمنة والميسرة بطول المشور قاضي القضاة ويليه خطيب الخطباء ثم سائر القضاة ثم كبار الفقهاء ثم كبار الشرفاء المشايخ ثم اخوة السلطان واصهاره ثم الامراء الكبار ثم كبار الاعزة وهم الغرباء ثم القواد ثم يؤتى بستين فرسا مسرجة ملجمة بجهازات سلطانية فنها ماهو بشعار الخلافة وهى التى لجمها ودوائرها من الحرير الاسود المذهب ومنها مايكون ذلك من الحرير الابيض المذهب ولا يركب بذلك غير السلطان فيوقف النصف من هذه الخيل عن اليمين والنصف عن الشمال بحيث يراها السلطان ثم يؤتى بخمسين فيلا مزينة بثياب الحرير والذهب مكسوة أنيابها بالحديد اعدادا لقتل اهل الجرائم وعلى عنق كل فيل فياله وبيده شبه الطبرزين من الحديد يؤدبه به ويقومه لما يراد منه وعلى ظهر كل فيل شبه الصندوق العظيم يسع عشرين من المقاتلة واكثر من ذلك ودونه على حسب ضخامة الفيل وعظم جرمه ويكون فى أركان ذلك الصندوق أربعة أعلام مركوزة وتلك الفيلة معلمة أن تخدم السلطان وتحط رؤسها فاذا خدمت قال الحجاب بسم الله باصوات عالية ويوقف ايضا نصفها عن اليمين ونصفها عن الشمال خلف الرجال الواقفين وكل من ياتي من الناس المعينين للوقوف فى الميمنة أو الميسرة يخدم عند موقف الحجاب ويقول الحجاب بسم الله ويكون ارتفاع أصواتهم بقدر ارتفاع صوت الذي يخدم فاذا خدم انصرف الى موقفه من الميمنة أو الميسرة لا يتعداه ابدا ومن كان من كفار الهنود يخدم ويقول له الحجاب والنقباء هداك الله ويقف عبيد السلطان من وراء الناس كلهم بايديهم الترسة والسيوف فلا يمكن احد الدخول بينهم الا بين يدى الحجاب القائمين بين يدى السلطان

ذكر دخول الغرباء وأصحاب الهدايا اليه

وان كان بالباب أحد ممن قدم على السلطان بهدية دخل الحجاب الى السلطان على ترتيبهم

يقدمهم أمير حاجب ونائبه خلفه ثم خاص حاجب ونائبه خلفه ثم وكيل الدار ونائبه خلفه ثم سيد الحجاب وشرف الحجاب ويخدمون فى ثلاثة مواضع ويعلمون السلطان بمن فى الباب فاذا أمرهم أن ياتوا به جعلوا الهدية التى ساقها بايدى الرجال يقومون بها امام الناس بحيث يراها السلطان ويستدعي صاحبها فيخدم قبل الوصول الى السلطان ثلاث مرات ثم يخدم عند موقف الحجاب فان كان رجلا كبيرا وقف فى صف أمير حاجب والا وقف خلفه ويخاطبه السلطان بنفسه ألطف خطاب ويرحب به وان كان ممن يستحق التعظيم فانه يصافحه أو يعانقه ويطلب بعض هديته فتحضر بين يديه فان كانت من السلاح أو الثياب قلبها بيده وأظهر استحسانها جبرا لخاطر مهديها وإيناسا له ورفقا به وخلع عليه وأمر له بمال لغسل رأسه على عادتهم فى ذلك بمقدار ما يستحقه المهدى

—— ذكر دخول هدايا عماله اليه ——

واذا أتي العمال بالهدايا والاموال المجتمعة من مجابى البلاد صنعوا الاواني من الذهب والفضة مثل الطسوت والاباريق وسواها وصنعوا من الذهب والفضة قطعا شبه الآجر يسمونها الخشت (بكسر الخاء المعجمة وسكون الشين المعجم وتاء معلوة) ويقف الفراشون وهم عبيد السلطان صفا والهدية بايديهم كل واحد منهم ممسك قطعة ثم يقدم الفيلة ان كان فى الهدية شىء منها ثم الخيل المسرجة الملجمة ثم البغال ثم الجمال عليها الاموال ولقد رأيت الوزير خواجه جهان قدم هديته ذات يوم حين قدم السلطان من دولة آباد ولقيه بها فى ظاهر مدينة بيانة فادخلت الهدية اليه على هذا الترتيب ورأيت فى جملتها صينية مملوءة باحجار الياقوت وصينية مملوءة باحجار الزمرد وصينية مملوءة باللؤلؤ الفاخر وكان حاجى كاون ابن عم السلطان أبي سعيد ملك العراق حاضرا عنده حين ذلك فاعطاه حظا منها وسنذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى

—— ذكر خروجه للعيدين وما يتصل بذلك ——

واذا كانت ليلة العيد بعث السلطان الى الملوك والخواص وأرباب الدولة والاعزة والكتاب والحجاب والنقباء والقواد والعبيد وأهل الاخبار الخلع التي تعمهم جميعا فاذا كانت صبيحة العيد زينت الفيلة كلها بالحرير والذهب والجواهر ويكون منها ستة عشر فيلا لا يركبها احد انما هي مختصة بركوب السلطان ويرفع عليها ستة عشر شطرا (جترا) من الحرير مرصعة بالجوهر قائمة كل شطر منها ذهب خالص وعلى كل فيل مرتبة حرير مرصعة بالجواهر ويركب السلطان فيلا منها وترفع امامه الغاشية وهي ستارة سرجه وتكون مرصعة بانفس الجواهر ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه وكل واحد منهم تكون على رأسه شاشية ذهب وعلى وسطه

منطقة ذهب وبعضهم يرصعها بالجوهر ويمشي بين يديه أيضا النقباء وهم نحو ثلثمائة وعلى رأس كل واحد منهم أقروف ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب وفي يده مقرعة نصابها ذهب ويركب قاضي القضاة صدر الجهان كمال الدين الغزنوي وقاضي القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزمي وسائر القضاة وكبار الاعزة من الخراسانيين والعراقيين والشاميين والمصريين والمغاربة كل واحد منهم على فيل وجميع الغرباء عندهم يسمون الخراسانيين ويركب المؤذنون ايضا على الفيلة وهم يكبرون ويخرج السلطان من باب القصر على هذا الترتيب والعساكر تنتظره كل أمير بفوجه على حدة معه طبوله واعلامه فيقدم السلطان وامامه من ذكرناه من المشاة وأمامهم القضاة والمؤذنون يذكرون الله تعالى وخلف السلطان مراتبه وهي الاعلام والطبول والابواق والانفار والصرنايات وخلفهم جميع أهل دخلته ثم يتلوهم أخو السلطان مبارك خان بمراتبه وعساكره ثم يليه ابن أخ السلطان بهرام خان بمراتبه وعساكره ثم يليه ابن عمه ملك فيروز بمراتبه وعساكره ثم يليه الوزير بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك مجير ابن ذى الرجا بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك الكبير قبولة بمراتبه وعساكره وهذا الملك كبير القدر عنده عظيم الجاه كثير المال اخبرني صاحب ديوانه ثقة الملك علاء الدين على المصرى المعروف بابن الشرايشي ان نفقته ونفقة عبيده ومرتباتهم ستة وثلاثون لكا فى السنة ثم يليه الملك نكبية بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك بغرة بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك مخلص بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك قطب الملك بمراتبه وعساكره وهؤلاء هم الامراء الكبار الذين لايفارقون السلطان وهم الذين يركبون معه يوم العيد بالمراتب ويركب غيرهم من الامراء دون مراتب وجميع من يركب فى ذلك اليوم يكون مدرعا هو وفرسه وأكثرهم مماليك السلطان فاذا وصل السلطان الى باب المصلى وقف على بابه وأمر بدخول القضاة وكبار الامراء وكبار الاعزة ثم نزل السلطان ويصلي الامام ويخطب فان كان عيد الاضحي أتي السلطان بجمل فنحره برمح يسمونه النيزة (بكسر النون وفتح الزاى) بعد أن يجعل على ثيابه فوطة حرير توقيا من الدم ثم يركب الفيل ويعود الى قصره

ــــ ذكر جلوس يوم العيد وذكر السرير الاعظم والمبخرة العظمى ــــ

ويفرش القصر يوم العيد ويزين بابدع الزينة وتضرب الباركة على المشوركله وهي شبه خيمة عظيمة تقوم على أعمدة ضخام كثيرة وتحفها القباب من كل ناحية ويصنع شبه أشجار من حرير ملون فيها شبه الازهار ويجعل منها ثلاثة صفوف بالمشور ويجعل بين كل شجرتين كرسي ذهب عليه مرتبة مغطاة وينصب السرير الاعظم فى صدر المشور وهو

من الذهب الخالص كله مرصع القوائم بالجواهر وطوله ثلاثة وعشرون شبرا وعرضه نحو النصف من ذلك وهو منفصل وتجمع قطعه فتتصل وكل قطعة منها يحملها جملة رجال لثقل الذهب وتجعل فوق المرتبة ويرفع الشطر المرصع بالجواهر على رأس السلطان وعند ما يصعد على السرير ينادي الحجاب والنقباء باصوات عالية بسم الله ثم يتقدم الناس للسلام فاولهم القضاة والخطباء والعلماء والشرفاء والمشايخ وإخوة السلطان وأقاربه واصهاره ثم الاعزة ثم الوزير ثم أمراء العساكر ثم شيوخ المماليك ثم كبار الاجناد يسلم واحد اثر واحد من غير تزاحم ولا تدافع ومن عوائدهم في يوم العيد ان كل من بيده قرية منعم بها عليه ياتى بدنانير ذهب مصرورة في خرقة مكتوب عليها اسمه فيلقيها في طست ذهب هنالك فيجتمع منها مال عظيم يعطيه السلطان لمن شاء فاذا فرغ الناس من السلام وضع لهم الطعام على حسب مراتبهم وينصب في ذلك اليوم المبخرة العظمى وهي شبه برج من خالص الذهب منفصلة فاذا أرادوا اتصالها وصلوها وتحمل القطعة الواحدة منها جملة من الرجال وفي داخلها ثلاثة بيوت يدخل فيها المبخرون يوقدون العود القماري والقاقلي والعنبر الاشهب والجاوى حتي يعم دخانها المشور كله ويكون بايدى الفتيان براميل الذهب والفضة مملوءة بماء الورد وماء الزهر يصبونه على الناس صبا وهذا السرير وهذه المبخرة لا يخرجان الا في العيدين خاصة ويجلس السلطان في بقية أيام العيد على سرير ذهب دون ذلك وتنصب باركة بعيدة لها ثلاثة أبواب يجلس السلطان في داخلها ويقف على الباب الاول منها عماد الملك سرتيز وعلى الباب الثاني الملك نكبية وعلى الباب الثالث يوسف بغرة ويقف على اليمين امراء المماليك السلحدارية وعن اليسار كذلك ويقف الناس على مراتبهم وشحنة الباركة ملك طغي بيده عصا ذهب وبيد نائبه عصا فضة يرتبان الناس ويسويان الصفوف ويقف الوزير والكتاب خلفه ويقف الحجاب والنقباء ثم ياتى أهل الطرب فاولهم بنات الملوك الكفار من الهنود المسبيات في تلك السنة فيغنين ويرقصن ويهبهن السلطان للامراء والاعزة ثم ياتى بعدهن سائر بنات الكفار فيغنين ويرقصن ويهبهن لاخوانه وأقاربه وأصهاره وأبناء الملوك ويكون جلوس السلطان لذلك بعد العصر ثم يجلس في اليوم الذى بعده بعد العصر أيضا على ذلك الترتيب ويؤتي بالمغنيات فيغنين ويرقصن ويهبهن لامراء المماليك وفي اليوم الثالث يزوج أقاربه وينعم عليهم وفي اليوم الرابع يعتق العبيد وفي اليوم الخامس يعتق الجوارى وفي اليوم السادس يزوج العبيد بالجوارى وفي اليوم السابع يعطي الصدقات ويكثر منها

— ذكر ترتيبه اذا قدم من سفره —

واذا قدم السلطان من أسفاره زينت الفيلة ورفعت على ستة عشر فيلا منها ستة عشر شطرا منها مزركش ومنها مرصع وحملت امامه الغاشية وهي الستارة المرصعة بالجوهر النفيس وتصنع قباب الخشب مقسومة على طبقات وتكسى بثياب الحرير ويكون فى كل طبقة الجوارى المغنيات عليهن أجمل لباس وأحسن حليه ومنهن رواقص ويجعل في وسط كل قبة حوض كبير مصنوع من الجلود مملوء بماء الجلاب محلولا بالماء يشرب منه جميع الناس من وارد وصادر وبلدى أو غريب وكل من يشرب منه يعطي التنبول والفوفل ويكون ما بين القباب مفروشا بثياب الحرير يطا عليها مركب السلطان وتزين حيطان الشارع الذى يمر به من باب المدينة الى باب القصر بثياب الحرير ويمشي امامه المشاة من عبيده وهم آلاف وتكون الافواج والعساكر خلفه ورأيته فى بعض قدماته على الحضرة وقد نصبت ثلاث أو أربع من الرعادات الصغار على الفيلة ترمى بالدنانير والدراهم على الناس فيلتقطونها من حين دخوله الى المدينة حتي وصل الى قصره

— ذكر ترتيب الطعام الخاص —

والطعام بدار السلطان على صنفين طعام الخاص وطعام العام فاما الخاص فهو طعام السلطان الذي ياكل منه وعادته أن ياكل فى مجلسه مع الحاضرين ويحضر لذلك الامراء الخواص وأمير حاجب ابن عم السلطان وعماد الملك سرتيز وأمير مجلس ومن شاء السلطان تشريفه أو تكريمه من الاعزة أو كبار الامراء دعاه فاكل معهم وربما أراد أيضا تشريف أحد من الحاضرين فاخذ احدى الصحاف بيده وجعل عليها خبزة ويعطيه اياها فيأخذها المعطى ويجعلها على كفه اليسري ويخدم بيده اليمنى الى الارض وربما بعث من ذلك الطعام الى من هو غائب عن المجلس فيخدم كما يصنع الحاضر وياكله مع من حضره وقد حضرت مرات لهذا الطعام الخاص فرأيت جملة الذين يحضرون له نحو عشرين رجلا

— ذكر ترتيب الطعام العام —

وأما الطعام العام فيؤتى به من المطبخ وامامه النقباء يصيحون بسم الله ونقيب النقباء امامهم بيده عمود ذهب ونائبه معه بيده عمود فضة فاذا دخلوا من الباب الرابع وسمع من بالمشور أصواتهم قاموا قياما أجمعين ولا يبقى أحد قاعدا الا السلطان وحده فاذا وضع الطعام بالارض اصطفت النقباء صفا ووقف أميرهم امامهم وتكلم بكلام يمدح فيه السلطان ويثني عليه ثم يخدم ويخدم النقباء لخدمته ويخدم جميع من بالمشور من كبير وصغير وعادتهم انه من سمع كلام نقيب النقباء حين ذلك وقف ان كان ماشيا ولزم موقفه ان كان واقفا ولا

يتحرك أحد ولا يتزحزح عن مقامه حتى يفرغ ذلك الكلام ثم يتكلم أيضا نائبه كلاما نحو ذلك ويخدم ويخدم النقباء وجميع الناس مرة ثانية وحينئذ يجلسون ويكتب كتاب الباب معرفين بحضور الطعام وان كان السلطان قد علم بحضوره ويعطى المكتوب لصبي من ابناء الملوك موكل بذلك فياتي به الى السلطان فاذا قرأه عين من شاء من كبار الامراء لترتيب الناس واطعامهم وطعامهم الرقاق والشواء والاقراص ذات الجوانب المملوءة بالحلواء والارز والدجاج والسمك وقد ذكرنا ذلك وفسرنا ترتيبهم وعادتهم ان يكون فى صدر سماط الطعام القضاة والخطباء والفقهاء والشرفاء والمشايخ ثم أقارب السلطان ثم الامراء الكبار ثم سائر الناس ولا يقعد أحد الا فى موضع معين له فلا يكون بينهم تزاحم البتة فاذا جلسوا أتى الشربدارية وهم السقاة بايديهم اوانى الذهب والفضة والنحاس والزجاج مملوءة بالنبات المحلول بالماء فيشربون ذلك قبل الطعام فاذا شربوا قال الحجاب بسم الله ثم يشرعون فى الاكل ويجعل امام كل انسان من جميع مايحتوى عليه السماط ياكل منه وحده ولا ياكل أحد مع أحد فى صحفة واحدة فاذا فرغوا من الاكل أتوا بالفقاع فى اكواز القصدير فاذا أخذوه قال الحجاب بسم الله ثم يؤتى باطباق التنبول والفوفل فيعطى كل انسان غرفة من الفوفل المهشوم وخمس عشرة ورقة من التنبول مجموعة مربوطة بخيط حرير أحمر فاذا أخذ الناس التنبول قال الحجاب بسم الله فيقومون جميعاً ويخدم الامير المعين للاطعام ويخدمون لخدمته ثم ينصرفون وطعامهم مرتان فى اليوم احداهما قبل الظهر والاخرى بعد العصر

ذكر بعض اخباره فى الجود والكرم

وانما أذكر منها ماحضرته وشاهدته وعاينته ويعلم الله تعالى صدق ما أقول وكفى به شهيدا مع ان الذي احكيه مستفيض متواتر والبلاد التى تقرب من أرض الهند كاليمن وخراسان وفارس مملوءة باخباره يعلمونها حقيقة ولا سيما جوده على الغرباء فانه يفضلهم على اهل الهند ويؤثرهم ويجزل لهم الاحسان ويسبغ عليهم الانعام ويوليهم الخطط الرفيعة ويوليهم المواهب العظيمة ومن إحسانه اليهم أن سماهم الاعزة ومنع من ان يدعوا الغرباء وقال ان الانسان اذا دعى غريبا انكسر خاطره وتغير حاله وساذكر بعضا ممالا يحصى من عطاياه الجزيلة ومواهبه ان شاء الله تعالى

ذكر عطائه لشهاب الدين الكازرونى التاجر وحكايته

كان شهاب الدين هذا صديقا لملك التجار الكازرونى الملقب ببرويز وكان السلطان قد أقطع ملك التجار مدينة كنباية ووعده ان يوليه الوزارة فبعث الى صديقه شهاب الدين ليقدم

عليه فاتاه وأعد هدية للسلطان وهي سراجة من الملف المقطوع المزين بورقة الذهب وصيوان مما يناسبها وخباء وتابع وخباء راحة كل ذلك من الملف المزين وبغال كثيرة فلما قدم شهاب الدين بهذه الهدية على صاحبه ملك التجار وجده آخذا في القدوم على الحضرة بما اجتمع عنده من مجابي بلاده وبهدية للسلطان وعلم الوزير خواجه جهان بما وعده به السلطان من ولاية الوزارة فغار من ذلك وقلق بسببه وكانت بلاد كنباية والجزرات قبل تلك المدة في ولاية الوزير ولاهلها تعلق بجانبه وانقطاع اليه وتخدم له واكثرهم كفار وبعضهم عصاة يمتنعون بالجبال فدس الوزير اليهم ان يضربوا على ملك التجار اذا خرج الى الحضرة فلما خرج بالخزائن والاموال ومعه شهاب الدين بهديته نزلوا يوما عند الضحى على عادتهم وتفرقت العساكر وناما كثرهم فضرب عليهم الكفار في جمع عظيم فقتلوا ملك التجار وسلبوا الاموال والخزائن وهدية شهاب الدين ونجا هو بنفسه وكتب المخبرون الى السلطان بذلك فامر ان يعطي شهاب الدين من مجبي بلاد نهروالة ثلاثين ألف دينار ويعود الى بلاده فعرض عليه ذلك فابى من قبوله وقال ماقصدي الا رؤية السلطان وتقبيل الارض بين يديه فكتبوا الى السلطان بذلك فاعجبه قوله وامر بوصوله الى الحضرة مكرما وصادف يوم دخوله على السلطان يوم دخولنا نحن عليه فخلع علينا جميعا وأمر بانزالنا وأعطى شهاب الدين عطاء جزلا فلما كان بعد ذلك أمر لى السلطان بستة آلاف تنكة كما سنذكره وسال في ذلك اليوم عن شهاب الدين اين هو فقال له بهاء الدين ابن الفلكي ياخوند عالم نميدانم معناه ما ندري ثم قال له شنيدم زحمت دارد (دار) معناه سمعت ان به مرضا فقال له السلطان بروهمين زمان در خزانة يك لك تنكه زر بكرى أو بيش أو ببرى تادل أو خش (خوش) شود معناه امش الساعة الى الخزانة وخذ منها مائة الف تنكة من الذهب واحملها اليه حتى يبقى خاطره طيبا ففعل ذلك فاعطاه اياها وامر السلطان ان يشترى بها ما أحب من السلع الهندية ولا يشترى أحد من الناس شيئا حتي يتجهز هو وأمر له بثلاثة مراكب مجهزة من آلاتها ومن مرتب البحرية وزادهم ليسافر فيها فسافر ونزل بجزيرة هرمز وبني بها دارا عظيمة رأيتها بعد ذلك ورأيت أيضا شهاب الدين وقد فني جميع ما كان عنده وهو بشيراز يستجدى سلطانها أبا اسحاق وهكذا مال هذه البلاد الهندية قلما يخرج أحد به منها الا النادر واذا خرج به ووصل الى غيرها من البلاد بعث الله عليه آفة تفنى ما بيده كمثل ما اتفق لشهاب الدين هذا فانه أخذ له في الفتنة التي كانت بين ملك هرمز وابني أخيه جميع ما عنده وخرج سليبا من ماله

— ذكر عطائه لشيخ الشيوخ ركن الدين —

وكان السلطان قد بعث هدية الى الخليفة بديار مصر أبي العباس وطلب منه أن يبعث له أمر التقدمة على بلاد الهند والسند اعتقادا منه في الخلافة فبعث اليه الخليفة أبو العباس ماطلبه مع شيخ الشيوخ بديار مصر ركن الدين فلما قدم عليه بالغ في اكرامه وأعطاه عطاء جزلا وكان يقوم له متى دخل عليه ويعظمه ثم صرفه وأعطاه أموالا طائلة وفي جملة ما أعطاه جملة من صفائح الخيل ومساميرها كل ذلك من الذهب الخالص وقال له اذا نزلت من البحر فانعل افراسك بها فتوجه الى كنباية ليركب البحر منها الى بلاد اليمن فوقعت قضية خروج القاضي جلال الدين وأخذه مال ابن الكولمي فاخذ أيضا ما كان لشيخ الشيوخ وفر بنفسه مع ابن الكولمي الى السلطان فلما رآه السلطان قال له ممازحا مدى كزر (كه زر) برى بادكري (دلرباى) صنم خرى زر نبيري وسر نهي معناه جئت لتحمل الذهب تأكله مع الصور الحسان فلا تحمل ذهبا ورأسك تخليه هاهنا قال له ذلك على معنى الانبساط ثم قال له اجمع خاطرك فها أنا سائر الى المخالفين وأعطيك اضعاف ما اخذوه لك وبلغني بعد الانفصال عن بلاد الهند انه وفى له بما وعده وأخلف له جميع ما ضاع منه وانه وصل بذلك الى ديار مصر

— ذكر عطائه للواعظ الترمذي ناصر الدين —

وكان هذا الفقيه الواعظ قدم على السلطان وأقام تحت احسانه مدة عام ثم أحب الرجوع الى وطنه فاذن له في ذلك ولم يكن سمع كلامه ووعظه فلما خرج السلطان يقصد بلاد المعبر أحب سماعه قبل انصرافه فامر أن يهيأ له منبر من الصندل الابيض المقاصري وجعلت مساميره وصفائحه من الذهب وألصق باعلاه حجر ياقوت عظيم وخلع على ناصر الدين خلعة عباسية سوداء مذهبة مرصعة بالجوهر وعمامة مثلها ونصب له المنبر بداخل السراجة وهي افراج وقعد السلطان على سريره والخواص عن يمينه ويساره وأخذ القضاة والفقهاء والامراء مجالسهم فخطب خطبة بليغة ووعظ وذكر ولم يكن فيما فعله طائل لكن سعادته ساعدته فلما نزل عن المنبر قام السلطان اليه وعانقه واركبه على فيل وأمر جميع من حضر أن يمشوا بين يديه وكنت في جملتهم الى سراجة ضربت له مقابلة سراجة السلطان جميعها من الحرير الملون وصيوانها من الحرير وخباؤها أيضا كذلك فجلس وجلسنا معه وكان بجانب من السراجة أواني الذهب التي أعطاه السلطان إياها وذلك تنور كبير بحيث يسع في جوفه الرجل القاعد وقدران اثنان وصحاف لا أذكر عددها وجملة اكواز وركوة وتميسندة ومائدة لها أربعة أرجل ومحمل للكتب كل ذلك من ذهب خالص ورفع

عماد الدين السمناوي وتدين من أوتاد السراجة أحدهما نحاس والآخر مقصدر يوهم بذلك انهما من ذهب وفضة ولم يكونا الا كما ذكرنا وقد كان اعطاه حين قدومه مائة ألف دينار دراهم ومئين من العبيد سرح بعضهم وحمل بعضهم

— ذكر عطائه لعبد العزيز الاردويلي —

وكان عبد العزيز هذا فقيها محدثا قرأ بدمشق على تقي الدين بن تيمية وبرهان الدين بن البركح وجمال الدين المزي وشمس الدين الذهبي وغيرهم ثم قدم على السلطان فاحسن اليه واكرمه واتفق يوما انه سرد عليه أحاديث في فضل العباس وابنه رضي الله عنهما وشيئا من مآثر الخلفاء أولادهما فاعجب ذلك السلطان لحبه في بني العباس وقبل قدمي الفقيه وأمر أن يؤتي بصينية ذهب فيها الفا تنكه فصبها عليه بيده وقال هي لك مع الصينية وقد ذكرناهذه الحكاية فيما تقدم

— ذكر عطائه لشمس الدين الاندكاني —

وكان الفقيه شمس الدين الاندكاني حكيما شاعرا مطبوعا فمدح السلطان بقصيدة باللسان الفارسي وكان عدد أبياتها سبعة وعشرين بيتا فاعطاه لكل بيت منها الف دينار دراهم وهذا عظم مما يحكي عن المتقدمين الذين كانوا يعطون على بيت شعر الف درهم وهو عشر عطاء السلطان

— ذكر عطائه لعضد الدين الشونكاري —

وكان عضد الدين فقيها اماما فاضلا كبير القدر عظيم الصيت شهير الذكر ببلاده فبلغت السلطان أخباره وسمع بمآثره فبعث اليه الى بلده شونكارة عشرة آلاف دينار دراهم ولم يره قط ولا وفد عليه

— ذكر عطائه للقاضي مجد الدين —

ولما بلغه ايضا خبر القاضي العالم الصالح ذي الكرامة الشهيرة مجد الدين قاضي شيراز الذي سطرنا أخباره في السفر الاول وسيمر بعض خبره بعد هذا أيضا بعث اليه الى مدينة شيراز صحبة الشيخ زاده الدمشقي عشرة آلاف دينار دراهم

— ذكر عطائه لبرهان الدين الصاغرجي —

وكان برهان الدين أحد الوعاظ الائمة كثير الايثار باذلا لما يملكه حتى أنه كثيرا ما ياخذ الديون ويؤثر على الناس فبلغ خبره الى السلطان فبعث اليه أربعين ألف دينار وطلب منه أن يصل الى حضرته فقبل الدنانير وقضي دينه منها وتوجه الى بلاد الخطا وأبي أن يصل اليه وقال لا أمضي الى سلطان يقف العلماء بين يديه

— ذكر عطائه لحاجي كاون وحكايته —

وكان حاجي كاون ابن عم السلطان أبي سعيد ملك العراق وكان أخوه موسى ملكا ببعض

بلاد العراق فوفد حاجي كاون على السلطان فاكرم مثواه وأعطاه العطاء الجزل ورأيته يوما وقد أتى الوزير خواجه جهان بهديته وكان منها ثلاث صينيات احداها مملوءة يواقيت والاخرى مملوءة زمردا والاخري مملوءة جواهر وكان حاجي كاون حاضرا فأعطاه من ذلك حظا جزيلا ثم انه أعطاه أيضا مالا عريضا ومضى يريد العراق فوجد أخاه قد توفى وولى مكانه سليمان خان فطلب ارث أخيه وادعى الملك وبايعه العساكر وقصد بلاد فارس ونزل بمدينة شونكارة التي بها الامام عضد الدين الذى تقدم ذكره آنفا فلما نزل بخارجها تأخر شيوخها عن الخروج اليه ساعة ثم خرجوا فقال لهم ما منعكم عن تعجيل الخروج الى مبايعتنا فاعتذروا له فلم قبل منهم وقال لاهل سلاحه قلاج تخار (جفار) معناه جردوا السيوف فجردوها وضربوا أعناقهم وكانوا جماعة كبيرة فسمع من يجاور هذه المدينة من الامراء بما فعله فغضبوا لذلك وكتبوا الى شمس الدين السمناني وهو من الامراء الفقهاء الكبار فاعلموه بما جري على أهل شونكارة وطلبوا منه الاعانة على قتاله فتجرد فى عساكره واجتمع أهل البلاد طالبين بثار من قتله حاجي كاون من المشايخ وضربوا على عسكره ليلا فهزموه وكان هو بقصر المدينة فأحاطوا به فاختفى فى بيت الطهارة فعثروا عليه وقطعوا رأسه وبعثوا به الى سليمان خان وفرقوا اعضاءه على البلاد تشفيا منه

—— ذكر قدوم ابن الخليفة عليه واخباره ——

وكان الامير غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد العزيز بن الخليفة المستنصر بالله العباسى البغدادي قد وفد على السلطان علاء الدين طرمشيرين ملك ماوراء النهر فأكرمه وأعطاه الزاوية التى على قبر قثم بن العباس رضى الله عنهما واستوطن بها أعواما ثم لما سمع بمحبة السلطان فى بني العباس وقيامه بدعوتهم أحب القدوم عليه وبعث له برسولين أحدهما صاحبه القديم محمد بن أبي الشرقى الحرباوى والثاني محمد الهمدانى الصوفى فقدما على السلطان وكان ناصر الدين الترمذى الذي تقدم ذكره قد لقي غياث الدين ببغداد وشهد لديه البغداديون بصحة نسبه فشهد هو عند السلطان بذلك فلما وصل رسولاه الى السلطان أعطاهما خمسة آلاف دينار وبعث معهما ثلاثين ألف دينار الى غياث الدين ليتزود بها اليه وكتب له كتابا بخط يده يعظمه فيه ويسأل منه القدوم عليه فلما وصله الكتاب رحل اليه فلما وصل الى بلاد السند وكتب المخبرون بقدومه بعث السلطان من يستقبله على العادة ثم لما وصل الى سرستى بعث أيضا لاستقباله صدر الجهان قاضي القضاة كمال الدين الغزنوى وجماعة من الفقهاء ثم بعث الامراء لاستقباله فلما نزل

بمسعود آباد خارج الحضرة خرج السلطان بنفسه لاستقباله فلما التقيا ترجل غياث الدين فترجل له السلطان وخدم فخدم له السلطان وكان قد استصحب هدية فى جملتها ثياب فأخذ السلطان أحد الاثواب وجعله على كتفه وخدم كما يفعل الناس معه ثم قدمت الخيل فاخذ السلطان أحدها بيده وقدمه له وحلف أن يركب وأمسك بركابه حتي ركب ثم ركب السلطان وسايره والشطر يظلهما معا وأخذ التنبول بيده وأعطاه اياه وهذا أعظم ماأكرمه به فانه لايفعله مع أحد وقال له لولا انى بايعت الخليفة أباالعباس لبايعتك فقال له غياث الدين وأنا أيضا علي تلك البيعة وقال له غياث الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما من أحيا أرضا مواتا فهى له وأنت احييتنا فجاوبه السلطان بألطف جواب وابره ولما وصلا الى السراجة المعدة لنزول السلطان انزله فيها وضرب للسلطان غيرها وباتا تلك الليلة بخارج الحضرة فلما كان بالغد دخلا الى دار الملك وانزله بالمدينة المعروفة بسيرى وبدار الخلافة ايضا فى القصر الذي بناه علاء الدين الخلجى وابنه قطب الدين وأمر السلطان جميع الامراء أن يمضوا معه اليه وأعدله فيه جميع مايحتاج اليه من أواني الذهب والفضة حتى كان من جملتها مغتسل يغتسل فيه من ذهب وبعث له أربعمائة ألف دينار لغسل رأسه على العادة وبعث له جملة من الفتيان والخدم والجواري وعين له عن نفقته فى كل يوم ثلاثمائة دينار وبعث له زيادة اليها عدداً من الموائد بالطعام الخاص وأعطاه جميع مدينة سيرى اقطاعا وجميع مااحتوت عليه من الدور ومايتصل بها من بساتين المخزن وأرضه واعطاه مائة قرية وأعطاه حكم البلاد الشرقية المضافة لدهلى واعطاه ثلاثين بغلة بالسروج المذهبة ويكون علفها من المخزن وأمره ان لاينزل عن دابته اذا أتى دار السلطان الا في موضع خاص لايدخله احد راكبا سوي السلطان. وأمر الناس جميعا من كبير وصغير أن يخدموا له كما يخدمون للسلطان واذا دخل على السلطان ينزل له عن سريره وان كان على الكرسى قام قائما وخدم كل واحد منهما لصاحبه ويجلس مع السلطان علي بساط واحد واذا قام قام السلطان لقيامه وخدم كل واحد منهما لصاحبه واذا انصرف الى خارج المجلس جعل له بساط يقعد عليه ماشاء ثم ينصرف يفعل هذا مرتين في اليوم

—— حكاية من تعظيمه إياه ——

وفى اثناء مقامه بدهلى قدم الوزير من بلاد بنجالة فأمر السلطان كبار الامراء ان يخرجوا الى استقباله ثم خرج بنفسه الى استقباله وعظمه تعظيما كثيراً وصنعت القباب بالمدينة كما تصنع للسلطان اذا قدم وخرج ابن الخليفة للقائه ايضا والفقهاء والقضاة والاعيان فلما

عاد السلطان لقصره قال للوزير امض الى دار المخدوم زاده وبذلك يدعوه ومعنى ذلك ابن المخدوم فسار الوزير اليه واهدى له الفى تنكة من الذهب وأثوابا كثيرة وحضر الامير قبولة وغيره من كبار الامراء وحضرت انا كذلك

— حكاية نحوها —

وفد على السلطان ملك غزنة المسمى ببهرام وكان بينه وبين ابن الخليفة عداوة قديمة فامر السلطان بانزاله ببعض دور مدينة سيري التي لابن الخليفة وأمر أن يبني له بها دار فبلغ ذلك ابن الخليفة فغضب منه ومضى الى دار السلطان فجلس على البساط الذي عادته الجلوس عليه وبعث الى الوزير فقال له سلم على خوند عالم وقل له ان جميع ما أعطانيه هو بمنزلة لم أتصرف في شيء منه بل زاد عندي ونما وأنا لا أقيم معكم وقام وانصرف فسال الوزير بعض أصحابه عن سبب هذا فاعلمه ان سببه أمر السلطان ببناء الدار لملك غزنة في مدينة سيرى فدخل الوزير على السلطان فاعلمه بذلك فركب من حينه في عشرة من ناسه وأتى منزل ابن الخليفة فاستاذن له ونزل عن فرسه خارج القصر حيث ينزل الناس فتلقاه واعتذر له فقبل عذره وقال له السلطان والله ما أعلم انك راض عني حتي تضع قدمك على عنقي فقال له هذا مالا أفعله ولو قتلت فقال له السلطان وحق رأسي لا بد لك من ذلك ثم وضع رأسه في الارض وأخذ الملك الكبير قبولة رجل ابن الخليفة بيده فوضعها على عنق السلطان ثم قام وقال الآن علمت انك راض علي وطاب قلبي وهذه حكاية غريبة لم يسمع بمثلها عن ملك ولقد حضرته يوم عيد وقد جاءه الملك الكبير بثلاث خلع من عند السلطان مفرجة قد جعل مكان عقد الحرير التي تعلق بها حبات جوهر قدر البندق الكبير وقام الملك الكبير ببابه حتي نزل من قصره فكساه اياها والذي أعطاه هو مالا يحصره العد ولا يحيط به الحد وابن الخليفة مع ذلك كله أبخل خلق الله تعالى وله في البخل أخبار عجيبه يعجب منها سامعها وكانه كان من البخل بمنزلة السلطان من الكرم ولنذكر بعض أخباره في ذلك

— حكاية من بخل ابن الخليفة —

وكانت بيني وبينه مودة وكنت كثير التردد الى منزله وعنده تركت ولدا لي سميته أحمد لما سافرت ولا أدري ما فعل الله بهما فقلت له يوما لم تاكل وحدك ولا تجمع أصحابك على الطعام فقال لي لا أستطيع أن أنظر اليهم على كثرتهم وهم ياكلون طعامي فكان ياكل وحده ويعطي صاحبه محمد بن أبي الشرفي من الطعام لمن أحب ويتصرف في باقيه وكنت أتردد اليه فاري دهليز قصره الذي يسكن به مظلما لا سراج به ورأيته مرارا يجمع الاعواد الصغار من الحطب بداخل بستانه وقد ملأ منها مخازن فكلمته في ذلك فقال

لي يحتاج اليها وكان يخدم أصحابه ومماليكه وفتيانه في خدمة البستان وبنائه ويقول لا أرضى أن يأكلوا طعامي وهم لا يخدمون وكان علي مرة دين فطلبت به فقال لي في بعض الايام والله لقد هممت أن أؤدي عنك دينك فلم تسمح نفسي بذلك ولا ساعدتني عليه — حكاية — حدثني مرة قال خرجت عن بغداد وأنا رابع أربعة أحدهم محمد بن أبي الشرف صاحبه ونحن على أقدامنا ولا زاد عندنا فنزلنا على عين ماء ببعض القرى فوجد أحدنا في العين درهما فقلنا وما نصنع بدرهم فاتفقنا على أن نشتري به خبزا فبعثنا أحدنا لشرائه فأبى الخباز بتلك القرية أن يبيع الخبز وحده وانما يبيع خبزا بقيراط وتبنا بقيراط فاشترى منه الخبز والتبن فطرحنا التبن اذ لا دابة لنا تأكله وقسمنا الخبز لقمة لقمة وقد انتهى حالي اليوم الى ما تراه فقلت له ينبغي لك أن تحمد الله على ما أولاك وتؤثر الفقراء والمساكين بالتصدق فقال لا أستطيع ذلك ولم أره قط يجود بشيء ولا يفعل معروفا ونعوذ بالله من الشح — حكاية — كنت يوما ببغداد بعد عودتي من بلاد الهند وأنا قاعد على باب المدرسة المستنصرية التي بناها جده أمير المؤمنين المستنصر رضي الله عنه فرأيت شابا ضعيف الحال يشتد خلف رجل خارج عن المدرسة فقال لي بعض الطلبة هذا الشاب الذي تراه هو ابن الامير محمد حفيد الخليفة المستنصر الذي ببلاد الهند فدعوته فقلت له اني قدمت من بلاد الهند واني أعرفك بخبر أبيك فقال قد جاءني خبره في هذه الايام ومضى يشتد خلف الرجل فسألت عن الرجل فقيل لي هو الناظر في الحبس وهذا الشاب هو امام ببعض المساجد وله على ذلك أجرة درهم واحد في اليوم وهو يطلب اجرته من الرجل فطال عجبي منه والله لو بعث اليه جوهرة من الجواهر التي في الخلع الواصلة اليه من السلطان لأغناه بها ونعوذ بالله من مثل هذه الحال

— ذكر ما أعطاه السلطان للامير سيف الدين غدا بن هبة الله بن مهنى أمير عرب الشام —

ولما قدم هذا الامير على السلطان أكرم مثواه وانزله بقصر السلطان جلال الدين داخل مدينة دهلي ويعرف بكشك لعل معناه القصر الاحمر وهو قصر عظيم فيه مشور كبير جدا ودهليز هائل على بابه قبة تشرف على هذا المشور وعلى المشور الثاني الذي يدخل منه الى القصر وكان السلطان جلال الدين يقعد بها وتلعب الكرة بين يديه في هذا المشور وقد دخلت هذا القصر عند نزوله به فرأيته مملوأ أثاثا وفرشا وبسطا وغيرها وذلك كله متمزق لا منتفع فيه فان عادتهم بالهند أن يتركوا قصر السلطان اذا مات بجميع ما فيه لا يتعرضون له ويبني المتولي بعده قصرا لنفسه ولما دخلته طفت به وصعدت الى أعلاه فكانت لي فيه عبرة نشأت عنها عبرة وكان معي الفقيه الطبيب الاديب جمال الدين المغربي الغرناطي الاصل البجائي

المولد مستوطن بلاد الهند قدمها مع أبيه وله بها أولاد فانشدنى عند ما عاينناه (خفيف)

وسلاطينهم سل الطين عنهم * فالرؤوس العظام صارت عظاما

وبهذا القصر كانت وليمة عرسه كما نذكره وكان السلطان شديد المحبة فى العرب مؤثرا لهم معترفا بفضائلهم فلما وصله هذا الامير أجزل له العطاء واحسن اليه احسانا عظيما واعطاه مرة وقد قدمت عليه هدية أعظم ملك البايزيدي من بلاد منكبور أحد عشر فرسا من عتاق الخيل وأعطاه مرة أخري عشرة من الخيل مسرجة بالسروج المذهبة عليها اللجم المذهبة ثم زوجه بعد ذلك باخته فيروزخوندة

— ذكر تزويج الامير سيف الدين باخت السلطان —

ولما أمر السلطان بتزويج اخته للامير غدا عين للقيام بشان الولية ونفقاتها الملك فتح الله المعروف بشونويس (بشين معجم مفتوح وواوين أولهما مسكن والآخر مكسور بينهما نون آخره سين مهمل) وعينني للملازمة الامير غدا والكون معه فى تلك الايام فاتى الملك فتح الله بالصيوانات فظلل بها المشورين بالقصر الاحمر المذكور وضرب فى كل واحد منهما قبة ضخمة جدا وفرش ذلك بالفرش الحسان وأتى شمس الدين التبريزى أمير المطربين ومعه الرجال المغنون والنساء المغنيات والرواقص وكلهن مماليك السلطان واحضر الطباخين والخبازين والشوائين والحلوانيين والشربدارية والتنبول داران وذبحت الانعام والطيور وأقاموا يطعمون الناس خمسة عشر يوما ويحضر الامراء الكبار والاعزة ليلا ونهارا فلما كان قبل ليلة الزفاف بليلتين جاء الخواتين من دار السلطان ليلا الى هذا القصر فزينه وفرشته باحسن الفرش واستحضر الامير سيف الدين وكان عربيا غريبا لا قرابة له فحففن به واجلسنه على مرتبة معينة له وكان السلطان قد أمر ان تكون ربيبته أم أخيه مبارك خان مقام أم الامير غدا وان تكون امرأة أخرى من الخواتين مقام أخته وأخري مقام عمته وأخرى مقام خالته حتى يكون كانه بين أهله ولما أجلسنه علي المرتبة جعلن له الحناء فى يديه ورجليه وأقام باقيهن على رأسه يغنين ويرقصن وانصرفن الى قصر الزفاف وأقام هو مع خواص أصحابه وعين السلطان جماعة من الامراء يكونون من جهته وجماعة يكونون من جهة الزوجة وعادتهم ان تقف الجماعة التي من جهة الزوجة على باب الموضع الذى تكون به جلوتها على زوجها ويأتى الزوج بجماعته فلا يدخلون إلا ان غلبوا أصحاب الزوجة أو يعطونهم الآلاف من الدنانير ان لم يقدروا عليهم ولما كان بعد المغرب أتي اليه بخلعة حرير زرقاء مزركشة مرصعة قد غلبت الجواهر عليها فلا يظهر لونها مما عليها من الجوهر وبشاشية مثل

ذلك ولم أر قط خلعة اجمل من هذه الخلعة وقد رأيت ما خلعه السلطان على سائر اصهاره مثل ابن ملك الملوك عماد الدين السمناني وابن ملك العلماء وابن شيخ الاسلام وابن صدر جهان البخاري فلم يكن فيها مثل هذه ثم ركب الامير سيف الدين في اصحابه وعبيده وفي يد كل واحد منهم عصى قد اعدها وصنعوا شبه اكليل من الياسمين والنسرين والريبول وله رفرف يغطي وجه المتكلل به وصدره واتوا به الامير ليجعله على رأسه فابى من ذلك وكان من عرب البادية لا عهد له بامور الملك والحضر فحاولته وحلفت عليه حتي جعله على رأسه واتي باب الصرف ويسمونه باب الحرم وعليه جماعة الزوجة فحمل عليهم باصحابه حملة عربية وصرعوا كل من عارضهم فغلبوا عليهم ولم يكن لجماعة الزوجة من ثبات وبلغ ذلك السلطان فاعجبه فعله ودخل الى المشور وقد جعلت العروس فوق منبر عال مزين بالديباج مرصع بالجوهر والمشور ملآن بالنساء والمطربات قد أحضرن أنواع الآلات المطربة وكلهن وقوف على قدم إجلالا له وتعظيما فدخل بفرسه حتي قرب من المنبر فنزل وخدم عند أول درجة منه وقامت العروس قائمة حتى صعد فاعطته التنبول بيدها فاخذه وجلس تحت الدرجة التي وقفت بها ونثرت دنانير الذهب على رؤوس الحاضرين من أصحابه ولقطتها النساء والمغنيات يغنين حينئذ والاطبال والابواق والانفار تضرب خارج الباب ثم قام الامير وأخذ بيد زوجته ونزل وهي تتبعه فركب فرسه يطأ به الفرش والبسط ونثرت الدنانير عليه وعلي أصحابه وجعلت العروس في محفة وحملها العبيد على أعناقهم الى قصره والخواتين بين يديها راكبات وغيرهن من النساء ماشيات واذا مروا بدار أمير أو كبير خرج اليهم ونثر عليهم الدنانير والدراهم على قدر همته حتى أوصلوها الى قصره ولما كان بالغد بعثت العروس الى جميع اصحاب زوجها الثياب والدنانير والدراهم واعطي السلطان لكل واحد منهم فرسا مسرجا ملجما وبدرة داهم من الف دينار الى مائتي دينار واعطي الملك فتح الله للخواتين ثياب الحرير المنوعة والبدر وكذلك لاهل الطرب وعادتهم ببلاد الهند أن لا يعطي أحد شيئا لاهل الطرب انما يعطيهم صاحب العرس واطعم الناس جميعا ذلك اليوم وانقضي العرس وأمر السلطان أن يعطى للامير غدا بلاد المالوة والجزرات وكنباية ونهروالة وجعل فتح الله المذكور نائباً عنه عليها وعظمه تعظيما شديدا وكان عربيا جافياً فلم يقدر قدر ذلك وغلب عليه جفاء البادية فاداه ذلك الى النكبة بعد عشرين ليلة من زفافه

ـــ ذكر سجن الامير غدا ـــ

ولما كان بعد عشرين يوما من زفافه اتفق انه وصل الى دار السلطان فاراد الدخول فمنعه

أمير البرد (البرده) دارية وهم الخواص من البوابين فلم يسمع منه وأراد التقحم فامسك البواب بذ بوقته وهي الضفيرة ورده فضربه الامير بعصى كانت هنالك حتي أدماه وكان هذا المضروب من كبار الامراء يعرف أبوه بقاضي غزنة وهو من ذرية السلطان محمود بن سبكتكين والسلطان يخاطبه بالادب ويخاطب ابنه هذا بالاخ فدخل على السلطان والدم على ثيابه فاخبره بما صنع الامير غدا فتفكر السلطان هنيهة ثم قال له القاضي يفصل بينكما وتلك جريمة لا يغفرها السلطان لاحد من ناسه ولا بد من الموت عليها وانما احتمله لغربته وكان القاضي كمال الدين بالمشور فامر السلطان الملك تتر أن يقف معهما عند القاضي وكان تتر حاجا مجاورا يحسن العربية فحضر معهما وقال للامير انت ضربته أو قل لا لقصد أن يعلمه الحجة وكان سيف الدين جاهلا مغترا فقال نعم انا ضربته واتى والد المضروب فرام الاصلاح بينهما فلم يقبل سيف الدين فامر القاضي بسجنه تلك الليلة فوالله ما بعثت له زوجته فراشا ينام عليه ولا سألت عنه خوفا من السلطان وخاف اصحابه فودعوا أموالهم واردت زيارته بالسجن فلقيني بعض الامراء وفهم عني اني أريد زيارته فقال لي او نسيت وذكرني بقضية اتفقت لي فى زيارة الشيخ شهاب الدين بن شيخ الجام وكيف أراد السلطان قتلي على ذلك حسبما يقع ذكره فرجعت ولم ازره وتخلص الامير غدا عند الظهر من سجنه فاظهر السلطان اهماله وأضرب عما كان أمر له بولايته وأراد نفيه وكان للسلطان صهر يسمي بمغيث بن ملك الملوك وكانت اخت السلطان تشكوه لاخيها الى ان ماتت فذكر جواريها انها ماتت بسبب قهره لها وكان فى نسبه مغمز فكتب السلطان بخطه يجلى اللقيط يعنيه ثم كتب ويجلى موش خوار معناه آكل الفيران يعني بذلك الامير غدا لان عرب البادية يأكلون اليربوع وهو شبه الفار وأمر باخراجهما فجاءه النقباء ليخرجوه فاراد دخول داره ووداع اهله فترادف النقباء فى طلبه فخرج باكيا وتوجهت حين ذلك الى دار السلطان فبت بها فسألني عن مبيتي بعض الامراء فقلت له جئت لاتكلم فى الامير سيف الدين حتى يرد ولا ينفى فقال لا يكون ذلك فقلت له والله لابيتن بدار السلطان ولو بلغ مبيتي مائة ليلة حتى يرد فبلغ ذلك السلطان فامر برده وامره ان يكون فى خدمة الامير ملك قبولة اللاهوري فاقام أربعة اعوام فى خدمته يركب لركوبه ويسافر لسفره حتى تادب وتهذب ثم أعاده السلطان الى ما كان عليه اولا واقطعه البلاد وقدمه على العساكر ورفع قدره

﴿ ذكر تزويج السلطان بنت وزيره لابن خداوندزاده قوام الدين الذى قدم معنا عليه ﴾

ولما قدم خداوندزاده أعطاه السلطان عطاء جزلا واحسن اليه احسانا عظيما وبالغ فى

اكرامه ثم زوج ولديه في بنتى الوزير خواجه جهان وكان الوزير اذذاك غائبا فاتي السلطان الي داره ليلا وحضر عقد النكاح كانه نائب عن الوزير ووقف حتي قرأ قاضى القضاة الصداق والقضاة والامراء والمشايخ قعود واخذ السلطان بيده الاثواب والبدر فجعلها بين يدى القاضي وولدى خداوندزاده وقام الامراء وابوان يجعل السلطان ذلك بين ايديهم بنفسه فامرهم بالجلوس وامر بعض كبار الامراء ان يقوم مقامه وانصرف

— حكاية في تواضع السلطان وانصافه —

ادعى عليه رجل من كبار الهنود انه قتل اخاه من غير موجب ودعاه الى القاضى فمضى على قدميه ولا سلاح معه الى مجلس القاضي فسلم وخدم وكان قد امر القاضى قبل ذلك انه اذا جاءه الى مجلسه فلا يقوم له ولا يتحرك فصعد الى المجلس ووقف بين يدى القاضى فحكم عليه ان يرضي خصمه من دم أخيه فارضاه

— حكاية مثلها —

وادعى على السلطان مرة رجل من المسلمين انه له قبله حقا ماليا فتخاصما فى ذلك عند القاضى فتوجه الحكم على السلطان باعطاء المال فاعطاه

— حكاية مثلها —

وادعى عليه صبي من أبناء الملوك انه ضربه من غير موجب ورفعه الي القاضي فتوجه الحكم عليه أن يرضيه بالمال ان قبل ذلك والا امكنه من القصاص فشاهدته يومئذ وقد عاد لمجلسه واستحضر الصبي وأعطاه عصا وقال له وحق رأسي لتضربني كما ضربتك فاخذ الصبي العصا وضربه بها احدي وعشرين ضربة حتى رأيت الكلا (الكلاه) قد طارت عن رأسه

— ذكر اشتداده فى اقامة الصلاة —

وكان السلطان شديدا فى اقامة الصلاة آمرا بملازمتها فى الجماعات يعاقب على تركها أشد العقاب ولقد قتل فى يوم واحد تسعة نفر على تركها كان أحدهم مغنيا وكان يبعث الرجال الموكلين بذلك الى الاسواق فمن وجد بها عند اقامة الصلاة عوقب حتى انتهي الى عقاب الستائريين الذين يمسكون دواب الخدام علي باب المشور اذا ضيعوا الصلاة وأمر ان يطلب الناس بعلم فرائض الوضوء والصلاة وشروط الاسلام فكانوا يسالون عن ذلك فمن لم يحسنه عوقب وصار الناس يتدارسون ذلك بالمشور والاسواق ويكتبونه

— ذكر اشتداده فى اقامة أحكام الشرع —

وكان شديدا فى أقامة الشرع ومما فعل فى ذلك ان أمر اخاه مبارك خان أن يكون قعوده بالمشور مع قاضى القضاة كمال الدين فى قبة مرتفعة هنالك مفروشة بالبسط وللقاضى بها مرتبة تحف بها المخاد كمرتبة السلطان ويقعد اخو السلطان عن يمينه فمن كان عليه حق من

كبار الامراء وامتنع من ادائه لصاحبه يحضره رجال أخي السلطان عند القاضي لينصف منه

— ذكر رفعه المغارم والمظالم وقعوده لانصاف المظلومين —

ولما كان في سنة احدي وأربعين أمر السلطان برفع المكوس عن بلاده وأن لا يؤخذ من الناس الا الزكاة والعشر خاصة وصار يجلس بنفسه للنظر في المظالم في كل يوم اثنين وخميس برحبة امام المشور ولا يقف بين يديه في ذلك اليوم الا أمير حاجب وخاص حاجب وسيد الحجاب وشرف الحجاب لا غير ولا يمنع أحد ممن أراد الشكوى من الوقوف بين يديه وعين أربعة من كبار الامراء يجلسون في الابواب الاربعة من المشور لاخذ القصص من المشتكين والرابع منهم هو ابن عمه ملك فيروز فان أخذ صاحب الباب الاول الرفع من الشاكي فحسن والا أخذه الثاني أو الثالث أو الرابع وان لم يأخذوه منه مضى به الى صدر الجهان قاضي المماليك فان أخذه منه والا شكى الى السلطان فان صح عنده أنه مضى به الى أحد منهم فلم يأخذه منه ادبه وكل ما يجتمع من القصص في سائر الايام يطالع به السلطان بعد العشاء الآخرة

— ذكر اطعامه في الغلاء —

ولما استولى القحط على بلاد الهند والسند واشتد الغلاء حتي بلغ من القمح الي ستة دنانير أمر السلطان أن يعطى لجميع أهل دهلي نفقة ستة أشهر من المخزن بحساب رطل ونصف من ارطال المغرب لكل انسان في اليوم صغير أو كبير حر أو عبد وخرج الفقهاء والقضاة يكتبون الازمة باهل الحارات ويحضرون الناس ويعطى لكل واحد عولة ستة أشهر يقتات بها

— ذكر فتكات هذا السلطان وما نقم من افعاله —

وكان على ما قدمنا من تواضعه وانصافه ورفقه بالمساكين وكرمه الخارق للعادة كثير التجاسر على اراقة الدماء لا يخلو بابه عن مقتول الا في النادر وكنت كثيرا ما أرى الناس يقتلون على بابه ويطرحون هنالك ولقد جئت يوما فنفر بي الفرس ونظرت الى قطعة بيضاء في الارض فقلت ما هذه فقال بعض أصحابي هي صدر رجل قطع ثلاث قطع وكان يعاقب على الصغيرة والكبيرة ولا يحترم أحدا من أهل العلم والصلاح والشرف وفي كل يوم يرد على المشور من المسلسلين والمغلولين والمقيدين مؤون فمن كان للقتل قتل أو للعذاب عذب أو للضرب ضرب وعادته أن يؤتى كل يوم بجميع من في سجنه من الناس الى المشور ما عدا يوم الجمعة فانهم لا يخرجون فيه وهو يوم راحتهم يتنظفون فيه ويستريحون أعاذنا الله من البلاء

— ذكر قتله لاخيه —

وكان له أخ اسمه مسعود خان وأمه بنت السلطان علاء الدين وكان من أجمل صورة رأيتها

في الدنيا فاتهمه بالقيام عليه وساله عن ذلك فاقر خوفا من العذاب فانه من أنكر ما يدعيه عليه السلطان من مثل ذلك يعذب فيرى الناس ان القتل أهون عليهم من العذاب فامر به فضربت عنقه في وسط السوق وبقي مطروحا هنالك ثلاثة أيام على عادتهم وكانت أم هذا المقتول قد رجمت في ذلك الموضع قبل ذلك بسنتين لاعترافها بالزنا فرجمها القاضي كمال الدين

— ذكر قتله لثلاثمائة وخمسين رجلا في ساعة واحدة —

وكان مرة عين حصة من العسكر تتوجه مع الملك يوسف بغرة الى قتال الكفار ببعض الجبال المتصلة بحوز دهلي فخرج يوسف وخرج معه معظم العسكر وتخلف قوم منهم فكتب يوسف الى السلطان يعلمه بذلك فامر أن يطاف بالمدينة ويقبض على من وجد من أولائك المتخلفين ففعل ذلك وقبض على ثلاثمائة وخمسين منهم فامر بقتلهم أجمعين فقتلوا

— ذكر تعذيبه للشيخ شهاب الدين وقتله —

وكان الشيخ شهاب الدين ابن شيخ الجام الخراساني الذي تنسب مدينة الجام بخراسان الى جده حسبما قصصنا ذلك من كبار المشايخ الصلحاء الفضلاء وكان يواصل أربعة عشر يوما وكان السلطانان قطب الدين وتغلق يعظمانه ويزورانه ويتبركان به فلما ولي السلطان محمد أراد أن يخدم الشيخ في بعض خدمته فان عادته أن يخدم الفقهاء والمشايخ والصلحاء محتجا ان الصدر الاول رضي الله عنهم لم يكونوا يستعملون إلا أهل العلم والصلاح فامتنع الشيخ شهاب الدين من الخدمة وشافهه السلطان بذلك في مجلسه العام فاظهر الاباية والامتناع فغضب السلطان من ذلك وأمر الشيخ الفقيه المعظم ضياء الدين السمناني أن ينتف لحيته فابى ضياء الدين من ذلك وقال لا أفعل هذا فامر السلطان بنتف لحية كل واحد منهما فنتفت ونفى ضياء الدين الى بلاد التلنك ثم ولاه بعد مدة قضاء ورنكل فمات بها ونفى شهاب الدين الى دولة آباد فاقام بها سبعة أعوام ثم بعث عنه فاكرمه وعظمه وجعله على ديوان المستخرج وهو ديوان بقايا العمال يستخرجها منهم بالضرب والتنكيل ثم زاد في تعظيمه وأمر الامراء أن ياتوا للسلام عليه ويمتثلوا أقواله ولم يكن أحد في دار السلطان فوقه ولما انتقل السلطان الى السكنى على نهر الكنك وبني هنالك القصر المعروف بسرك دوار معناه شبه الجنة وأمر الناس بالبناء هنالك طلب منه الشيخ شهاب الدين أن ياذن له في الاقامة بالحضرة فاذن له الى أرض موات على مسافة ستة أميال من دهلي فحفر بها كهفا كبيرا صنع في جوفه البيوت والمخازن والفرن والحمام وجلب الماء من نهر جون وعمر تلك الارض وجمع مالا كثيرا من مستغلها لانها كانت السنون قاحطة وأقام هنالك عامين ونصف عام مدة مغيب السلطان وكان عبيده يخدمون تلك

الارض نهارا و يدخلون الغار ليلا و يستدونه على انفسهم وانعامهم خوف سراق الكفار لانهم فى جبل منيع هنالك ولما عاد السلطان الى حضرته استقبله الشيخ ولقيه على سبعة أميال منها فعظمه السلطان وعانقه عند لقائه وعاد الى غاره ثم بعث عنه بعد ايام فامتنع من اتيانه فبعث اليه مخلص الملك النذرباري وكان من كبراء الملوك فتلطف له فى القول وحذره بطش السلطان فقال له لا أخدم ظالما ابدا فعاد مخلص الملك الى السلطان فاخبره بذلك فامر ان ياتى به فاتي به فقال له انت القائل انى ظالم فقال نعم انت ظالم ومن ظلمك كذا وكذا وعدد أمورا منها تخريبه لمدينة دهلى واخراجه اهلها فاخذ السلطان سيفه ودفعه لصدر الجهان وقال يثبت هذا انى ظالم واقطع عنقى بهذا السيف فقال له شهاب الدين ومن يريد ان يشهد بذلك فيقتل ولكن انت تعرف ظلم نفسك وامر بتسليمه للملك نكبية رأس الدويدارية فقيده باربعة قيود وغل يديه وأقام كذلك اربعة عشر يوما مواصلا لا يأكل ولا يشرب وفى كل يوم منها يؤتى به الى المشور ويجمع الفقهاء والمشايخ ويقولون له ارجع عن قولك فيقول لا أرجع عنه واريد ان اكون فى زمرة الشهداء فلما كان اليوم الرابع عشر بعث اليه السلطان بطعام مع مخلص الملك فابى ان ياكل وقال قد رفع رزقى من الارض ارجع بطعامك اليه فلما اخبر بذلك السلطان امر عند ذلك ان يطعم الشيخ خمسة استار (اساتير) من العذرة وهى رطلان و نصف من ارطال المغرب فاخذ ذلك الموكلون بمثل هذه الامور وهم طائفة من كفار الهنود فمدوه على ظهر وفتحوا فمه بالكلبتين وحلوا العذرة بالماء وسقوه ذلك وفى اليوم بعده اتى به الى دار القاضى صدر الجهان وجمع الفقهاء والمشايخ ووجوه الاعزة فوعظوه وطلبوا منه ان يرجع عن قوله فابي ذلك فضربت عنقه رحمه الله تعالى

ـــ ذكر قتله للفقيه المدرسى عفيف الدين الكاساني وفقيهين معه ـــ

وكان السلطان فى سنى القحط قد أمر بحفر آبار خارج دار الملك وان يزرع هنالك زرع وأعطي الناس البذر وما يلزم على الزراعة من النفقة وكلفهم زرع ذلك للمخزن فبلغ ذلك الفقيه عفيف الدين فقال هذا الزرع لا يحصل المراد منه فوشي به الى السلطان فسجنه وقال له لاى شيء تدخل نفسك فى أمور الملك ثم انه سرحه بعد مدة فذهب الى داره ولقيه في طريقه اليها صاحبان له من الفقهاء فقالا له الحمد لله على خلاصك فقال الفقيه الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وتفرقوا فلم يصلوا الى دورهم حتى بلغ ذلك السلطان فامر بهم فاحضر ثلاثتهم بين يديه فقال اذهبوا بهذا يعنى عفيف الدين فاضربوا عنقه حمائل وهو

ان يقطع الرأس مع الذراع وبعض الصدر واضربوا أعناق الآخرين فقال له أما هو فيستحق العقاب بقوله وأما نحن فباى جريمة تقتلنا فقال لها انكما سمعتما كلامه فلم تنكراه فكانكما وافقتما عليه فقتلوا جميعا رحمهم الله تعالى

— ذكر قتله أيضا لفقيهين من أهل السند كانا فى خدمته —

وأمر السلطان هذين الفقيهين السنديين ان يمضيا مع أمير عينه الى بعض البلاد وقال لهما انما سلمت أحوال البلاد والرعية لكما ويكون هذا الامير معكما يتصرف بما تامرانه به فقالا له انما نكون كالشاهدين عليه ونبين له وجه الحق ليتبعه فقال لهما انما قصدكما أن تاكلا أموالى وتضيعاها وتنسبا ذلك الى هذا التركى الذي لا معرفة له فقالا له حاشا لله ياخوند عالم ماقصدنا هذا فقال لهما لم تقصدا غير هذا اذهبوا بهما الى الشيخ زاده النهاوندى وهو الموكل بالعذاب فذهب بهما اليه فقال لهما السلطان يريد قتلكما فاقرا بما قولكما اياه ولا تعذبا أنفسكما فقالا والله ماقصدنا الا ماذكرنا فقال لزبانيته ذوقهما بعض شيء يعنى من العذاب فبطحا على أقفائهما وجعل على صدر كل واحد منهما صفيحة حديد محماة ثم قلعت بعد هنيهة فذهب بلحم صدورهما ثم اخذ البول والرماد فجعل على تلك الجراحات فاقرا على أنفسهما انهما لم يقصدا الا ما قاله السلطان وانهما مجرمان مستحقان للقتل فلا حق لهما ولا دعوى فى دمائهما دنيا ولا أخري وكتبا خطهما بذلك واعترفا به عند القاضي فسجل على العقد وكتب فيه ان اعترافهما كان عن غير اكراه ولا اجبار ولو قال اكرهنا لعذبا اشد العذاب ورأيا ان تعجيل ضرب العنق خير لهما من الموت بالعذاب الاليم فقتلا رحمهما الله تعالى

— ذكر قتله للشيخ هود —

وكان الشيخ زاده المسمي بهود حفيد الشيخ الصالح الولى ركن الدين بن بهاء الدين بن أبي زكرياء الملتاني وجده الشيخ ركن الدين معظما عند السلطان وكذلك أخوه عماد الدين الذى كان شبيها بالسلطان وقتل قوم وقيعة كشلوخان وسنذكره ولما قتل عماد الدين اعطي السلطان لاخيه ركن الدين مائة قرية ليأكل منها ويطعم الصادر والوارد بزاويته فتوفى الشيخ ركن الدين واوصى بمكانه من الزاوية لحفيده الشيخ هود ونازعه فى ذلك ابن اخي الشيخ ركن الدين وقال أنا أحق بميراث عمى فقدما على السلطان وهو بدولة آباد وبينها وبين ملتان ثمانون يوما فاعطى السلطان المشيخة لهود حسبما اوصي له الشيخ وكان كهلا وكان ابن اخى الشيخ فتي واكرامه السلطان وامر بتضييفه فى كل منزل يحله وان يخرج الى لقائه اهل كل بلد يمر به الى ملتان وتصنع له فيه دعوة فلما وصل الامر للحضرة خرج الفقهاء والقضاة والمشايخ

والاعيان للقائه وكنت فيمن خرج اليه فتلقيناه وهو راكب فى دولة يحملها الرجال وخيله مجنوبة فسلمنا عليه وانكرت انا ما كان من فعله فى ركوبه الدولة وقلت انما كان ينبغى له ان يركب الفرس ويساير من خرج للقائه من القضاة والمشايخ فبلغه كلامى فركب الفرس واعتذر بان فعله اولا كان بسبب المنعه من ركوب الفرس ودخل الحضرة وصنعت له بها دعوة انفق فيها من مال السلطان عدد كثير وحضر القضاة والمشايخ والفقهاء والاعزة ومد السماط وأتوا بالطعام على العادة ثم أعطيت الدراهم لكل من حضر على قدر استحقاقه فاعطى قاضى القضاة خمسمائة دينار وأعطيت انا مائتين وخمسين دينارا وهذه عادة لهم فى الدعوة السلطانية ثم انصرف الشيخ هود الى بلده ومعه الشيخ نور الدين الشيرازي بعثه السلطان ليجلسه على سجادة جده بزاويته ويصنع له الدعوة من مال السلطان هنالك واستقر بزاويته وأقام بها أعواما ثم ان عماد الملك أمير بلاد السند كتب الى السلطان يذكر ان الشيخ وقرابته يشتغلون بجمع الاموال وانفاقها في الشهوات ولا يطعمون أحدا بالزاوية فنفذ الامر بمطالبتهم بالاموال فطالبهم عماد الملك بها وسجن بعضهم وضرب بعضا وصار ياخذ منهم كل يوم عشرين ألف دينار مدة أيام حتى استخلص ما كان عندهم ووجد لهم كثيرا من الاموال والذخائر من جملتها نعلان مرصعان بالجوهر والياقوت بيعا بسبعة آلاف دينار وقيل انهما كانا لبنت الشيخ هود وقيل لسرية له فلما اشتد الحال على الشيخ هرب يريد بلاد الاتراك فقبض عليه وكتب عماد الملك بذلك الى السلطان فامره أن يبعثه ويبعث الذى قبض عليه كلاهما فى حكم الثقاف فلما وصلا اليه سرح الذي قبض عليه وقال للشيخ هود أين أردت ان تفر فاعتذر بعذر فقال له السلطان انما أردت ان تذهب الى الاتراك فتقول انا ابن الشيخ بهاء الدين زكرياء وقد فعل السلطان معي كذا وتاتي بهم لقتالنا اضربوا عنقه فضربت عنقه رحمه الله تعالى — ذكر سجنه لابن تاج العارفين وقتله لاولاده —

وكان الشيخ الصالح شمس الدين ابن تاج العارفين ساكنا بمدينة كول منقطعا للعبادة كبير القدر ودخل السلطان الى مدينة كول فبعث عنه فلم ياته فذهب السلطان اليه ثم لما قارب منزله انصرف ولم يره واتفق بعد ذلك أن أميرا من الامراء خالف علي السلطان ببعض الجهات وبايعه الناس فنقل للسلطان انه وقع ذكر هذا الامير بمجلس الشيخ شمس الدين فاثنى عليه وقال انه يصلح للملك فبعث السلطان بعض الامراء الى الشيخ فقيده وقيد أولاده وقيد قاضى كول ومحتسبها لانه ذكر انهما كانا حاضرين للمجلس الذى وقع فيه ثناء الشيخ على الامير المخالف وأمر بهم فسجنوا جميعا بعد ان سمل عيني القاضى وعيني

المحتسب ومات الشيخ بالسجن وكان القاضي والمحتسب يخرجان مع بعض السجانين فيسألان الناس ثم يردان الى السجن وكان قد بلغ السلطان ان اولاد الشيخ كانوا يخالطون كفار الهنود وعصاتهم ويصحبونهم فلما مات أبوهم أخرجهم من السجن وقال لهم لا تعودوا الى ما كنتم تفعلون فقالوا له وما فعلنا فاغتاظ من ذلك وأمر بقتلهم جميعا فقتلوا ثم استحضر القاضى المذكور فقال أخبرني بمن كان يرى رأى هؤلاء الذين قتلوا ويفعل مثل أفعالهم فاملى أسماء رجال كثيرين من كفار البلد فلما عرض ما أملاه على السلطان قال هذا يحب أن يخرب البلد اضربوا عنقه فضربت عنقه رحمه الله تعالى

ذكر قتله للشيخ الحيدرى

وكان الشيخ على الحيدرى ساكنا بمدينة كنباية من ساحل الهند وهو عظيم القدر شهير الذكر بعيد الصيت ينذر له التجار بالبحر النذور الكثيرة واذا قدموا بدؤا بالسلام عليه وكان يكاشف باحوالهم وربما نذر أحدهم النذر وندم عليه فاذا أتي الشيخ للسلام عليه أعلمه بما نذر له وأمر بالوفاء به واتفق له ذلك مرات واشتهر به فلما خالف القاضى جلال الافغاني وقبيلته بتلك الجهات بلغ السلطان ان الشيخ الحيدري دعا للقاضى جلال الدين واعطاه شاشيته من رأسه وذكر أيضا انه بايعه فلما خرج السلطان اليهم بنفسه وانهزم القاضى جلال خلف السلطان شرف الملك أمير بخت احد الوافدين معنا عليه بكنباية وامره بالبحث عن أهل الخلاف وجعل معه فقهاء يحكم بقولهم فاحضر الشيخ على الحيدرى بين يديه وثبت انه اعطى للقائم شاشيته ودعا له فحكموا بقتله فلما ضربه السياف لم يفعل شيئا وعجب الناس لذلك وظنوا انه يعفى عنه بسبب ذلك فامر سيافا آخر بضرب عنقه فضربها رحمه الله تعالى

ذكر قتله لطوغان وأخيه

وكان طوغان الفرغاني وأخوه من كبار أهل مدينة فرغانة فوفدا على السلطان فاحسن اليهما وأعطاهما عطاء جزيلا وأقاما عنده مدة فلما طال مقامهما أرادا الرجوع الى بلادهما وحاولا الفرار فوشى بهما احد اصحابهما الى السلطان فامر بتوسيطهما فوسطا واعطى للذي وشى بهما جميع مالهما وكذلك عادتهم بتلك البلاد اذا وشى احد باحد وثبت ماوشى به فقتل اعطي ماله

ذكر قتله لابن ملك التجار

وكان ابن ملك التجار شابا صغير الانبات بعارضيه فلما وقع خلاف عين الملك وقيامه وقتاله للسلطان كما سنذكره غلب على ابن ملك التجار هذا فكان في جملته مقهورا فلما هزم عين الملك وقبض عليه وعلى أصحابه كان من جملتهم ابن ملك التجار وصهره ابن قطب الملك فامر

بهما فعلقا من أيديهما في خشب وأمر أبناء الملوك فرموهما بالنشاب حتى ماتا ولما ماتا قال الحاجب خواجه أمير علي التبريزي لقاضي القضاة كمال الدين ذلك الشاب لم يجب عليه القتل فبلغ ذلك السلطان فقال هلا قلت هذا قبل موته وأمر به فضرب مائتي مقرعة أو نحوها وسجن وأعطي جميع ماله لامير السيافين فرأيته في ثاني ذلك اليوم قد لبس ثيابه وجعل قلنسوته على رأسه وركب فرسه فظننت انه هو وأقام بالسجن شهورا ثم سرحه ورده الى ما كان عليه ثم غضب عليه ثانية ونفاه الى خراسان فاستقر بهراة وكتب اليه يستعطفه فوقع له على ظهر كتابه اكر بار آمدي باز (أى) معناه ان كنت تبت فارجع فرجع اليه

— ذكر ضربه لخطيب الخطباء حتى مات —

وكان قد ولى خطيب الخطباء بدهلي النظر في خزانة الجواهر في السفر فاتفق ان جاء سراق الكفار ليلا فضربوا على تلك الخزانة وذهبوا بشيء منها فامر بضرب الخطيب حتي مات رحمة الله تعالى

— ذكر تخريبه لدهلي ونفي أهلها وقتل الاعمي والمقعد —

ومن أعظم ما كان ينقم على السلطان اجلاؤه لاهل دهلي عنها وسبب ذلك انهم كانوا يكتبون بطائق فيها شتمه وسبه ويختمون عليها ويكتبون عليها وحق رأس خوند عالم مايقرؤها غيره ويرمونها بالمشور ليلا فاذا فضها وجد فيها شتمه وسبه فعزم على تخريب دهلي واشترى من أهلها جميعا دورهم ومنازلهم ودفع لهم ثمنها وأمرهم بالانتقال عنها الى دولة آباد فابوا ذلك فنادى مناديه ان لا يبقى بها أحد بعد ثلاث فانتقل معظمهم واختفى بعضهم في الدور فامر بالبحث عمن بقي بها فوجد عبيده بازقتها رجلين أحدهما مقعد والآخر اعمي فاتوا بهما فامر بالمقعد فرمى به في المنجنيق وأمر أن يجر الاعمى من دهلي الى دولة آباد مسيرة أربعين يوما فتمزق في الطريق ووصل منه رجله ولما فعل ذلك خرج أهلها جميعا وتركوا أثقالهم وامتعتهم وبقيت المدينة خاوية علي عروشها فحدثني من اثق به قال صعد السلطان ليله الى سطح قصره فنظر الى دهلي وليس بها نار ولا دخان ولا سراج فقال الآن طاب قلبي وتهدن خاطري ثم كتب الى أهل البلاد أن ينتقلوا الى دهلي ليعمروها فخربت بلادهم ولم تعمر دهلي لاتساعها وضخامتها وهي من أعظم مدن الدنيا وكذلك وجدناها لما دخلنا اليها خالية ليس بها الا قليل عمارة وقد ذكرنا كثيرا من مآثر هذا السلطان ومما نقم عليه أيضا فلنذكر جملا من الوقائع والحوادث الكائنة في أيامه

— ذكر ما افتتح به أمره أول ولايته من منه علي بهادور بوره —

ولما ولى السلطان الملك بعد أبيه وبايعه الناس أحضر السلطان غياث الدين بهادور بوره

الذى كان أسره السلطان تغلق فمن عليه وفك قيوده وأجزله العطاء من الاموال والخيل والفيلة وصرفه الى مملكته وبعث معه ابن أخيه ابراهيم خان وعاهده على ان تكون تلك المملكة مشاطرة بينهما وتكتب أسماؤهما معا فى السكة ويخطب لهما وعلى أن يصرف غياث الدين ابنه محمد المعروف ببرباط يكون رهينة عند السلطان فانصرف غياث الدين الى مملكته والتزم ماشرط عليه الا انه لم يبعث ابنه وادعى انه امتنع وأساء الادب فى كلامه فبعث السلطان العساكر الى ابن أخيه ابراهيم خان وأميرهم دلجى التترى فقاتلوا غياث الدين فقتلوه وسلخوا جلده وحشي بالتبن وطيف به علي البلاد

ــــ ذكر ثورة ابن عمته وما اتصل بذلك ــــ

وكان للسلطان تغلق ابن أخت يسمي بهاء الدين كشت اسب (بضم الكاف وسكون الشين المعجم وتاء معلوة) واسب (بالسين المهمل والباء الموحدة مسكنين) فجعله أميرا ببعض النواحى فلما مات خاله امتنع من بيعة ابنه وكان شجاعا بطلا فبعث السلطان اليه العساكر فيهم الامراء الكبار مثل الملك مجير والوزير خواجه جهان أمير علي الجمع فالتقى الفرسان واشتد القتال وصبر كلا العسكرين ثم كانت الكرة لعسكر السلطان ففر بهاء الدين الى ملك من ملوك الكفار يعرف بالراي كنبيلة والراى عندهم كمثل ماهو بلسان الروم عبارة عن السلطان وكنبيلة اسم الاقليم الذى هو به وهو (بفتح الكاف وسكون النون وكسر الباء الموحدة وياء ولام مفتوح) وهذا الراى له بلاد فى جبال منيعة وهو من أكابر سلاطين الكفار فلما هرب اليه بهاء الدين اتبعته عساكر السلطان وحصروا تلك البلاد واشتد الامر على الكافر ونفد ماعنده من الزرع وخاف أن يؤخذ باليد فقال لبهاء الدين ان الحال قد بلغت لما تراه وأنا عازم علي هلاك نفسى وعيالى ومن تبعني فاذهب أنت الى السلطان فلان السلطان من الكفار سماه له فاقم عنده فانه سيمنعك وبعث معه من أوصله اليه وأمر راى كنبيلة بنار عظيمة فاججت وأحرق فيها أمتعته وقال لنسائه وبناته انى أريد قتل نفسى فمن أرادت موافقتي فلتفعل فكانت المرأة منهن تغتسل وتدهن بالصندل والمقاصرى وتقبل الارض بين يديه وترمى بنفسها فى النار حتى هلكن جميعا وفعل مثل ذلك نساء امرائه ووزرائه وأرباب دولته ومن أراد من سائر النساء ثم اغتسل الراي وادهن بالصندل ولبس السلاح ماعدا الدرع وفعل كفعله من أراد الموت معه من ناسه وخرجوا الى عسكر السلطان فقاتلوا حتى قتلوا جميعا ودخلت المدينة فاسر أهلها وأسر من أولادي راى كنبيلة أحد عشر ولدا فاتى بهم السلطان فاسلموا جميعا وجعلهم السلطان امراء وعظمهم لاصالتهم ولفعل أبيهم

فرأيت عنده منهم نصرا وبختيار والمهردار وهو صاحب الخاتم الذي يختم به على الماء الذي يشرب السلطان منه وكنيته أبو مسلم وكانت بيني وبينه صحبة ومودة ولما قتل رأى كنبيلة توجهت عساكر السلطان الى بلد الكفار الذي لجا اليه بهاء الدين وأحاطوا به فقال ذلك السلطان أنا لا أقدر على أن أفعل مافعله راي كنبيلة فقبض على بهاء الدين وأسلمه الى عسكر السلطان فقيدوه وغلوه وأتوا به فلما أتي به اليه أمر بادخاله الى قرابته من النساء فشتمنه وبصقن فى وجهه وأمر بسلخه وهو بقيد الحياة فسلخ وطبخ لحمه مع الارز وبعث لاولاده وأهله وجعل باقيه على صحفة وطرح للفيلة لتاكله فابت أكله وأمر بجلده فحشي بالتبن وقرن بجلد بهادور بوره وطيف بهما على البلاد فلما وصلا الى بلاد السند وأمير أمرائها يومئذ كشلوخان صاحب السلطان تغلق ومعينه على أخذ الملك وكان السلطان يعظمه ويخاطبه بالعم ويخرج لاستقباله اذا وفد من بلاده أمر كشلوخان بدفن الجلدين فبلغ ذلك السلطان فشق عليه فعله وأراد الفتك به

— ذكر ثورة كشلوخان وقتله —

ولما اتصل بالسلطان ما كان من فعله فى دفن الجلدين بعث عنه وعلم كشلوخان انه يريد عقابه فامتنع وخالف وأعطى الاموال وجمع العساكر وبعث الى الترك والافغان وأهل خراسان فاتاه منهم العدد الجم حتي كافأ عسكره عسكر السلطان أو أربي عليه كثرة وخرج السلطان بنفسه لقتاله فكان اللقاء على مسيرة يومين من ملتان بصحراء أبوهر وأخذ السلطان بالحزم عند لقائه فجعل تحت الشطر عوضا منه الشيخ عماد الدين شقيق الشيخ ركن الدين الملتاني وهو حدثني هذا وكان شبيها به فلما حمي القتال انفرد السلطان فى أربعة آلاف من عسكره وقصد عسكر كشلوخان قصد الشطر معتقدين أن السلطان تحته فقتلوا عماد الدين وشاع في العسكر ان السلطان قتل فاشتغلت عساكر كشلوخان بالنهب وتفرقوا عنه ولم يبق معه الا القليل فقصده السلطان بمن معه فقتله وجز رأسه وعلم بذلك جيشه ففروا ودخل السلطان مدينة ملتان وقبض على قاضيها كريم الدين وأمر بسلخه فسلخ وأمر برأس كشلوخان فعلق على بابه وقد رأيته معلقا لما وصلت الى ملتان وأعطى السلطان للشيخ ركن الدين أخي عماد الدين ولابنه صدر الدين مائة قرية انعاما عليهم ليأكلوا منها ويطعموا بزاويتهم المنسوبة لجدهم بهاء الدين زكريا وأمر السلطان وزيره خواجه جهان أن يذهب الى مدينة كمال بور وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر وكان أهلها قد خالفوا فاخبرني بعض الفقهاء انه حضر دخول الوزير اياها قال واحضر بين

يديه القاضي بهاو الخطيب فامر بسلخ جلودهما فقال له أقتلنا بغير ذلك فقال لهما بما استوجبتما القتل فقال بمخالفتنا أمر السلطان فقال لهما فيكيف أخالف أنا أمره وقد أمرني ان أقتلكما بهذه القتلة وقال للمتولين لسلخهما احفروا لهما حفرا تحت وجوههما يتنفسان فيها فانهم اذا سلخوا والعياذ بالله يطرحون على وجوههم ولما فعل ذلك تمهدت بلاد السند وعاد السلطان الى حضرته

ــــ ذكر الوقيعة بجبل قراجيل على جيش السلطان ــــ

(وأول اسمه قاف وجيم معقودة) وجبل قراجيل هذا جبل كبير يتصل مسيرة ثلاثة أشهر وبينه وبين دهلى مسيرة عشر وسلطانه من أكبر سلاطين الكفار وكان السلطان بعث ملك نكبية رأس الدويدارية الى حرب هذا الجبل ومعه مائة الف فارس ورجالة سواهم كثير فملك مدينة جديدة (وضبطها بكسر الجيم وسكون الدال المهمل وفتح الياء آخر الحروف) وهي أسفل الجبل وملك مايليها وسبى وخرب وأحرق وفر الكفار الى أعلى الجبل وتركوا بلادهم وأموالهم وخزائن ملكهم وللجبل طريق واحد وعن أسفل منه واد وفوقه الجبل فلا يجوز فيه الا فارس منفرد خلفه آخر فصعدت عساكر المسلمين على ذلك الطريق وتملكوا مدينة ورنكل التي باعلى الجبل (وضبطها) بفتح الواو والراء (وسكون النون وفتح الكاف) واحتووا على مافيها وكتبوا الى السلطان بالفتح فبعث اليهم قاضيا وخطيبا وامرهم بالاقامة فلما كان وقت نزول المطر غلب المرض على العسكر وضعفوا وماتت الخيل وانحلت القسى فكتب الامراء الى السلطان واستأذنوه فى الخروج عن الجبل والنزول الى اسفله بخلال ماينصرم فصل نزول المطر فيعودون فاذن لهم فى ذلك فاخذ الامير نكبية الاموال التي استولى عليها من الخزائن والمعادن وفرقها على الناس ليرفعوها ويوصلوها الى أسفل الجبل فعند ماعلم الكفار بخروجهم قعدوا لهم بتلك المهاوى وأخذوا عليهم المضيق وصاروا يقطعون الاشجار العادية قطعا ويطرحونها من أعلى الجبل فلا تمر باحد الا اهلكته فهلك الكثير من الناس وأسر الباقون منهم وأخذ الكفار الاموال والامتعة والخيل والسلاح ولم يفلت من العسكر الا ثلاثة من الامراء كبيرهم نكبية وبدر الدين الملك دولة شاه وثالث لهما لا اذكره وهذه الوقيعة اثرت فى جيش الهند اثرا كبيرا وأضعفته ضعفا بينا وصالح السلطان بعدها اهل الجبل على مال يؤدونه اليه لان لهم البلاد اسفل الجبل ولا قدرة لهم على عمارتها الا باذنه

ــــ ذكر ثورة الشريف جلال الدين ببلاد المعبر وما اتصل بذلك من قتل ابن أخت الوزير ــــ

وكان السلطان قد أمر على بلاد المعبر وبينها وبين دهلى مسيرة ستة أشهر الشريف جلال

الدين أحسن شاه فخالف وادعي الملك لنفسه وقتل نواب السلطان وعماله وضرب الدنانير والدراهم باسمه وكان يكتب في احدى صفحتي الدينار سلالة طه ويس أبو الفقراء والمساكين جلال الدنيا والدين وفي الصحفة الاخرى الواثق بتاييد الرحمن أحسن شاه السلطان وخرج السلطان لما سمع بثورته يريد قتاله فنزل بموضع يقال له كشك زر معناه قصر الذهب وأقام به ثمانية أيام لقضاء حوائج النـاس وفي تلك الايام ياتي أخت الوزير خواجه جهان وأربعة من الامراء أو ثلاثة وهم مقيدون مغلولون وكان السلطان قد بعث وزيره المذكور في مقدمته فوصل الى مدينة ظهار وهي على مسيرة أربع وعشرين من دهلي وأقام بها أياما وكان ابن اخته شجاعا بطلا فاتفق مع الامراء الذين أتي بهم على قتل خاله والهروب بما عنده من الخزائن والاموال الى الشريف القائم ببلاد المعبر وعزموا على الفتك بالوزير عند خروجه الى صلاة الجمعة فوشى بهم أحد من أدخلوه في أمرهم الى الوزير وكان يسمي الملك نصرة الحاجب وأخبر الوزير أن آية ما يرومونه لبسهم الدروع تحت ثيابهم فبعث الوزير عنهم فوجدهم كذلك فبعث بهم الى السلطان وكنت بين يدي السلطان حين وصولهم فرأيته احدهم وكان طوال اللحى وهو يرعد ويتلو سورة يس فامر بهم فطرحوا للفيلة المعلمة لقتل الناس وامر بابن اخت الوزير فرد الى خاله ليقتله فقتله وسنذكر ذلك وتلك الفيلة التي تقتل الناس تكسى انيابها حدائد مسنونة شبه سكك الحرث لها أطراف كالسكاكين ويركب الفيال على الفيل فاذا رمى بالرجل بين يديه لف عليه خرطومه ورمى به الى الهواء ثم يتلقفه بنابيه ويطرحه بعد ذلك بين يديه ويجعل يده على صدره ويفعل به ما يامره الفيال على حسب ما أمره السلطان فان امره بتقطيعه قطعه الفيل قطعا بتلك الحدائد وان امر بتركه تركه مطروحا فسلخ وكذلك فعل بهؤلاء وخرجت من دار السلطان بعد المغرب فرأيت الكلاب تاكل لحومهم وقد ملئت جلودهم بالتبن والعياذ بالله ولما تجهز السلطان لهذه الحركة أمرني بالاقامة بالحضرة كما سنذكره ومضي في سفره الى أن بلغ دولة آباد فثار الامير هلاجون ببلاده وخرج ذلك وكان الوزير خواجه جها قد بقي أيضا بالحضرة لحشد الحشود وجمع العساكر

ــــ ذكر ثورة هلاجون ــــ

ولما بلغ السلطان الى دولة آباد وبعد عن بلاده ثار الامير هلاجون بمدينة الاهوار وادعى الملك وساعده الامير قلجند على ذلك وصيره وزيراله واتصل ذلك بالوزير خواجه جهان وهو بدهلي فحشد الناس وجمع العساكر وجمع الخراسانيين وكل من كان مقيما من الخدام بدهلي أخذ اصحابه وأخذ في الجملة اصحابي لاني كنت بها مقيما وأعانه السلطان باميرين كبيرين

احدهما قيران ملك صفـدار ومعناه مرتب العساكر والثاني الملك تمور الشربدار وهو الساقى وخرج هلاجون بعساكره فكان اللقاء على ضفة احد الاودية الكبار فانهزم هلاجون وهرب وغرق كثير من عساكره فى النهر ودخل الوزير المدينة فسلخ بعض أهلها وقتل آخرين بغير ذلك من انواع القتل وكان الذى تولى قتلهم محمد بن النجيب نائب الوزير وهو المعروف باجدر ملك ويسمي أيضا صك (سك) السلطان والصك عندهم الكلب وكان ظالما قاسي القلب ويسميه السلطان أسد الاسواق وكان ربما عض ارباب الجنايات بأسنانه شرها وعدوانا وبعث الوزير من نساء المخالفين نحو ثلاثمائة الى حصن كاليور فسجن به ورايت بعضهن هنالك وكان احد الفقهاء له فيهن زوجة فكان يدخل اليها حتي ولدت منه فى السجن

ذكر وقوع الوباء فى عسكر السلطان

ولما وصل السلطان الى بلاد التلنك وهو قاصد الى قتال الشريف ببلاد المعبر نزل مدينة بدركوت (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الدال وفتح الراء وضم الكاف وواو وتاء معلوة) وهى قاعدة بلاد التلنك (وضبطها بكسر التاء المعلوة واللام وسكون النون وكاف معقودة) وبينها وبين بلاد المعبر مسيرة ثلاثة اشهر ووقع الوباء اذ ذاك فى عسكره فهلك معظمهم ومات العبيد والمماليك وكبار الامراء مثل ملك دولة شاه الذى كان السلطان يخاطبه بالعم ومثل أمير عبد الله الهورى وقد تقدمت حكايته فى السفر الاول وهو الذى أمره السلطان ان يرفع من الخزانة ما استطاع من المال فربط ثلاث عشرة خريطة باعضاده ورفعها ولما رأى السلطان ما حل بالعسكر عاد الى دولة آباد وخالفت البلاد وانتقضت الاطراف وكاد الملك يخرج عن يده لولا ما سبق به القدر من استحكام سعادته

ذكر الارجاف بموته وفرار الملك هوشنج

ولما عاد السلطان الى دولة آباد مرض فى طريقه فارجف الناس بموته وشاع ذلك فنشأت عنه فتن عريضة وكان الملك هوشنج ابن الملك كمال الدين كرك بدولة آباد وكان بينه وبين السلطان عهد ان لا يبايع غيره ابدا لا فى حياته ولا بعد موته فلما ارجف بموت السلطان هرب الى سلطان كافر يسمي بربرة يسكن بجبال مانعة بين دولة آباد وكوكن تانه فعلم السلطان بفراره وخاف وقوع الفتنة فجد السير الى دولة آباد واقتفى أثر هوشنج وحصره بالخيل وأرسل الكافر ان يسلمه اليه فأبى وقال لا أسلم دخيلي ولو آل بي الامر لما آل براى كنبيلة وخاف هوشنج على نفسه فراسل السلطان وعاهد على ان يرحل السلطان الى دولة آباد ويبقى هنالك قطلوخان معلم السلطان ليستوثق منه هوشنج وينزل اليه على الامان فرحل السلطان

ونزل هو شنج الى قطلوخان وعاهده أن لا يقتله السلطان ولا يحط منزلته وخرج بماله وعياله واصحابه وقدم على السلطان فسر بقدومه وارضاه وخلع عليه وكان قطلوخان صاحب عهد يستنيم الناس اليه ويقولون فى الوفاء عليه ومنزلته عند السلطان عليه وتعظيمه له شديد ومتى دخل عليه قام له اجلالا فكان بسبب ذلك لا يدخل عليه حتى يكون هو الذى يدعوه لئلا يتعبه بالقيام له وهو يحب فى الصدقات كثير الايثار مولع بالاحسان للفقراء والمساكين

ـــ ذكر ماهم به الشريف ابراهيم من الثورة وما آل حاله ـــ

وكان الشريف ابراهيم المعروف بالخريطة دار وهو صاحب الكاغد والاقلام بدار السلطان واليا على بلاد حانسى وسرستى لما تحرك السلطان الى بلاد المعبر وأبوه هو القائم ببلاد المعبر الشريف أحسن شاه فلما أرجف بموت السلطان طمع ابراهيم فى السلطنة وكان شجاعا كريما حسن الصورة وكنت متزوجا باخته حور نسب وكانت صالحة تتهجد بالليل ولها أوراد من ذكر الله عز وجل وولدت مني بنتا ولا أدري مافعل الله فيهما وكانت تقرأ لكنها لا تكتب فلما هم ابراهيم بالثورة اجتاز به أمير من أمراء السند معه الاموال يحملها الى دهلى فقال له ابراهيم ان الطريق مخوف وفيه القطع فاقم عندى حتي يصلح الطريق وأوصلك الى المامن وكان قصده ان يتحقق موت السلطان فيستولى على تلك الاموال فلما تحقق حياته سرح ذلك الامير وكان يسمى ضياء الملك بن شمس الملك ولما وصل السلطان الى الحضرة بعد غيبته سنتين ونصف وصل الشريف ابراهيم اليه فوشي به بعض غلمانه واعلم السلطان بما كان هم به فاراد السلطان أن يعجل بقتله ثم تانى لمحبته فيه فاتفق ان أتى يوما الى السلطان بغزال مذبوح ينظر الى ذبحته فقال ليس بجيد الذكاة اطرحوه فرآه ابراهيم فقال ان ذكاته جيدة وأنا آكله فاخبر السلطان بقوله فانكر ذلك وجعله ذريعة الى أخذه فامر به فقيد وغل ثم قرره على مارمى به من انه أراد أخذ الاموال التى مر بها ضياء الملك وعلم ابراهيم انه انما يريد قتله بسبب أبيه وانه لا تنفعه معذرة وخاف ان يعذب فرأي الموت خيرا له فاقر بذلك فامر به فوسط وترك هنالك وعادتهم انه متي قتل السلطان أحدا أقام مطروحا بموضع قتله ثلاثا فاذا كان بعد الثلاث أخذه طائفة من الكفار موكلون بذلك فحملوه الى خندق خارج المدينة يطرحونه به وهم يسكنون حول الخندق لئلا ياتي أهل المقتول فيعرفونه وربما أعطي بعضهم لهؤلاء الكفار مالا فتجافوا له عن قتيله حتى يدفنه وكذلك فعل بالشريف ابراهيم رحمه الله تعالى

ـــ ذكر خلاف نائب السلطان ببلاد التلنك ـــ

ولما عاد السلطان من التلنك وشاع خبر موته وكان ترك تاج الملك نصرة خان نائبا عنه ببلاد التلنك وهو من قدماء خواصه بلغه ذلك فعمل عزاء السلطان ودعا لنفسه وبايعه الناس بحضرة بدركوت فبلغ خبره الى السلطان فبعث معلمه قطلوخان فى عساكر عظيمة فحصره بعد قتال شديد هلك فيه أمم من الناس واشتد الحصار على أهل بدركوت وهي منيعة وأخذ قطلوخان فى نقبها فخرج اليه نصرة خان على الامان فى نفسه فامنه وبعث به الى السلطان وأمن أهل المدينة والعسكر

— ذكر انتقال السلطان لنهر الكنك وقيام عين الملك —

ولما استولى القحط على البلاد انتقل السلطان بعساكره الى نهر الكنك الذى تحج اليه الهنود على مسيرة عشر من دهلي وأمر الناس بالبناء وكانوا قبل ذلك صنعوا خياما من حشيش الارض فكانت النار كثيرا ما تقع فيها وتؤذى الناس حتي كانوا يصنعون كهوفا تحت الارض فاذا وقعت النار رموا أمتعتهم بها وسدوا عليها بالتراب ووصلت أنا فى تلك الايام لمحلة السلطان وكانت البلاد التى بغربي النهر حيث السلطان شديدة القحط والبلاد التى بشرقيه خصبة وأميرها عين الملك بن ماهر ومنها مدينة عوض ومدينة ظفر آباد ومدينة اللكنو وغيرها وكان الامير عين الملك كل يوم يحضر خمسين الف من منها قمح وأرز وحمص لعلف الدواب فامر السلطان أن تحمل الفيلة ومعظم الخيل والبغال الى الجهة الشرقية الخصبة لترعى هنالك وأوصى عين الملك بحفظها وكان لعين الملك أربعة اخوة وهم شهر الله ونصر الله وفضل الله ولا أذكر اسم الآخر فاتفقوا مع أخيهم عين الملك على أن ياخذوا فيلة السلطان ودوابه ويبايعوا عين الملك ويقوموا على السلطان وهرب اليهم عين الملك بالليل وكاد الامر يتم لهم ومن عادة ملك الهند انه يجعل مع كل أمير كبير أو صغير مملوكا له يكون عينا عليه ويعرفه بجميع حاله ويجعل أيضا جوارى فى الدور يكن عيونا له على أمرائه ونسوة يسميهن الكناسات يدخلن الدور بلا استئذان ويخبرهن الجواري بما عندهن فيخبر الكناسات بذلك المخبرين فيخبر بذلك السلطان ويذكرون ان بعض الامراء كان فى فراشه مع زوجته فاراد مماستها فحلفته براس السلطان ان لا يفعل فلم يسمع منها فبعث عنه السلطان صباحا وأخبره بذلك وكان سبب هلاكه وكان للسلطان مملوك يعرف بابن ملك شاه هو عين على عين الملك المذكور فاخبر السلطان بفراره وجوازه النهر فسقط فى يده وظن انها القاضية عليه لان الخيل والفيلة والزرع كل ذلك عند عين الملك وعساكر السلطان مفترقة فاراد ان يقصد حضرته ويجمع العساكر وحينئذ ياتى لقتاله وشاور

ارباب الدولة فى ذلك وكان امراء خراسان والغرباء اشد الناس خوفا من هذا القائم لانه هندى وأهل الهند مبغضون فى الغرباء لاظهار السلطان لهم فكرهوا ما ظهر له وقالوا يا خوند عالم ان فعلت ذاك بلغه الخبر فاشتد امره ورتب العساكر وانثال عليه طلاب الشر ودعاة الفتن والاولى معاجلته قبل استحكام قوته وكان أول من تكلم بهذا ناصر الدين مطهر الاوهرى ووافقه جميعهم فعمل السلطان باشارتهم وكتب تلك الليلة الى من قرب منه من الامراء والعساكر فاتوا من حينهم وأدار فى ذلك حيلة حسنة فكان اذا قدم على محلته مثلا مائة فارس بعث الآلاف من عنده للقائهم ليلا ودخلوا معهم الى المحلة كان جميعهم مددله وتحرك السلطان مع ساحل النهر ليجعل مدينة قنوج وراء ظهره ويتحصن بها لمنعتها وحصانتها وبينها وبين الموضع الذي كان به ثلاثة أيام فرحل اول مرحلة وقد عبا جيشه للحرب وجعلهم صفا واحدا عند نزولهم كل واحد منهم بين يديه سلاحه وفرسه الى جانبه ومعه خباء صغير يأكل به ويتوضأ ويعود الى مجلسه والمحلة الكبرى على بعد منهم ولم يدخل السلطان فى تلك الايام الثلاثة خباء ولا استظل بظل وكنت فى يوم منها بخبائي فصاح بي فتي من فتياني اسمه سنبل واستعجلني وكان معى الجواري فخرجت اليه فقال ان السلطان أمر الساعة أن يقتل كل من معه امرأته أوجاريته فشفع عنده الامراء فامر ان لا تبقى الساعة بالمحلة امرأة وان يحملن الى حصن هنالك على ثلاثة اميال يقال له كنبيل فلم تبق امرأة بالمحلة ولا مع السلطان وبتنا تلك الليلة على تعبئة فلما كان فى اليوم الثانى رتب السلطان عسكره افواجا وجعل مع كل فوج الفيلة المدرعة عليها الابراج فوقها المقاتلة وتدرع العسكر وتهيؤا للحرب وباتوا تلك الليلة على أهبة ولما كان اليوم الثالث بلغ الخبر بان عين الملك الثائر اجاز النهر فخاف السلطان من ذلك وتوقع انه لم يفعله الا بعد مراسلة الامراء الباقين مع السلطان فامر فى الحين بقسم الخيل العتاق على خواصه وبعث لى حظا منها وكان لى صاحب يسمي أمير اميران الكرمانى من الشجعان فاعطيته فرسا منها اشهب اللون فلما حركه جمح به فلم يستطع امساكه ورماه عن ظهره فمات رحمه الله تعالى وجد السلطان ذلك اليوم في مسيرة فوصل بعد العصر الى مدينة قنوج وكان يخاف ان يسبقه القائم اليها وبات ليلته تلك يرتب الناس بنفسه ووقف علينا ونحن فى المقدمة مع ابن عمه ملك فيروز ومعنا الامير غدا ابن مهني والسيد ناصر الدين مطهر وامراء خراسان فاضافنا الى خواصه وقال انتم أعزة على ماينبغى ان تفارقونى وكان فى عاقبة ذلك الخير فان القائم ضرب فى آخر الليل على المقدمة وفيها الوزير خواجه جهان فقامت ضجة فى الناس كبيرة فحينئذ أمر

السلطان ان لا يبرح احد من مكانه ولا يقاتل الناس الا بالسيوف فاستل العسكر سيوفهم ونهضوا الى أصحابهم وحمي القتال وأمر السلطان ان يكون شعار جيشه دهلي وغزنة فاذا لقي احدهم فارسا قال له دهلي فان اجابه بغزنة علم انه من أصحابه والا قاتله وكان القائم انما قصد ان يضرب على موضع السلطان فاخطابه الدليل فقصد موضع الوزير فضرب عنق الدليل وكان في عسكر الوزير الاعاجم والترك والخراسانيون وهم اعداء الهنود فصدقوا القتال وكان جيش القائم نحو الخمسين ألفا فانهزموا عند طلوع الفجر وكان الملك ابراهيم المعروف بالبنجي (بفتح الباء الموحدة وسكون النون وجيم) التترى قد أقطعه السلطان بلاد سنديلة وهي قرية من بلاد عين الملك فاتفق معه على الخلاف وجعله نائبه وكان داود بن قطب الملك وابن ملك التجار على فيلة السلطان وخيله فوافقاه أيضا وجعل داود حاجبه وكان دواد هذا لما ضربوا على محلة الوزير يجهر بسب السلطان ويشتمه أقبح شتم والسلطان يسمع ذلك ويعرف كلامه فلما وقعت الهزيمة قال عين الملك لنائبه ابراهيم التتري ماذا ترى ياملك ابراهيم قد فر اكثر العسكر وذو النجدة منهم فهل لك ان نجوا بانفسنا فقال ابراهيم لاصحابه بلسانهم اذا أراد عين الملك ان يفر فاني ساقبض على دبوقته فاذا فعلت ذلك فاضربوا أنتم فرسه ليسقط الى الارض فنقبض عليه ونأتي به السلطان ليكون ذلك كفارة لذنبي في الخلاف معه وسببا لخلاصي فلما أراد عين الملك الفرار قال له ابراهيم الى اين ياسلطان علاء الدين وكان يسمى بذلك وأمسك بدبوقته وضرب اصحابه فرسه فسقط الى الارض ورمي ابراهيم بنفسه عليه فقبضه وجاء اصحاب الوزير لياخذوه فمنعهم وقال لا أتركه حتي اوصله للوزير أوأموت دون ذلك فتركوه فاوصله الى الوزير وكنت أنظر عند الصبح الى الفيلة والاعلام يؤتى بها الى السلطان ثم جاءني بعض العراقيين فقال قد قبض على عين الملك واتى به الوزير فلم أصدقه فلم يمر الا يسير وجاءني الملك تمور الشربدار فاخذ بيدى وقال ابشر فقد قبض علي عين الملك وهو عند الوزير فتحرك السلطان عند ذلك ونحن معه الى محلة عين الملك على نهر الكنك فنهبت العساكر مافيها واقتحم كثير من عسكر عين الملك النهر فغرقوا وأخذ داود بن قطب الملك وابن ملك التجار وخلق كثير معهم ونهبت الاموال والخيل والامتعة ونزل السلطان على المجاز وجاء الوزير بعين الملك وقد أركب على ثور وهو عريان مستور العورة بخرقة مربوطة بحبل وباقيه في عنقه فوقف على باب السراجة ودخل الوزير الى السلطان فاعطاه الشربة عناية به وجاء ابناء الملوك الى عين الملك فجعلوا يسبونه ويبصقون في وجهه ويصفعون

اصحابه اليه و بعث السلطان الملك الكبير فقال له ماهذا الذى فعلت فلم يجد جوابا فامر به السلطان ان يكسى ثوبا من ثياب الزمالة و قيد باربعة كبول وغلت يداه الى عنقه و سلم للوزير ليحفظه وجاز اخوته النهر هاربين ووصلوا مدينة عوض فاخذوا أهلهم وأولادهم وما قدروا عليه من المال وقالوا لزوجة اخيهم عين الملك اخلصى بنفسك و بنيك معنا فقالت افلا أكون كنساء الكفار اللاتي يحرقن انفسهن مع ازواجهن فانا أيضا أموت لموت زوجي واعيش لعيشه فتركوها وبلغ ذلك السلطان فكان سبب خيرها وادركته لها رقة وادرك الفتى سهيل نصر الله من أولائك الاخوة فقتله واتى السلطان برأسه وأتى بام عين الملك وأخته وامرأته فسلمن الى الوزير وجعلن فى خباء بقرب خباء عين الملك فكان يدخل اليهن ويجلس معهن و يعود الى محبسه ولما كان بعد العصر من يوم الهزيمة أمر السلطان بسراح لفيف الناس الذين مع عين الملك من الزمالة والسوقة والعبيد ومن لا يعبا به وأتى بملك ابراهيم البنجى الذي ذكرناه فقال ملك العسكر الملك نوايا خوند عالم اقتل هذا فانه من المخالفين فقال الوزير انه قد فدي نفسه بالقائم فعفا عنه السلطان وسرحه الى بلاده ولما كان بعد المغرب جلس السلطان ببرج الخشب وأتي باثنين وستين رجلا من كبار أصحاب القائم وأتى بالفيلة فطرحوا بين أيديها فجعلت تقطعهم بالحدائد الموضوعة على انيابها وترمي ببعضهم الى الهواء وتتلقفه والابواق والانفار والطبول تضرب عند ذلك وعين الملك واقف يعاين مقتلهم ويطرح منهم عليه ثم أعيد الى محبسه وأقام السلطان على جواز النهر أياما لكثرة الناس وقلة القوارب وأجاز أمتعته وخزائنه على الفيلة وفرق الفيلة على خواصه ليجيزوا امتعتهم وبعث الى بفيل منها أجزت عليه رحلي وقصد السلطان ونحن معه الى مدينة بهرايج (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وهاء مسكن وراء وألف وياء آخر الحروف مكسورة وجيم) وهى مدينة حسنة فى عدوة نهر السرو وهو واد كبير شديد الانحدار واجازه السلطان برسم زيارة قبر الشيخ الصالح البطل سالار عود الذى فتح أكثر تلك البلاد وله أخبار عجيبة وغزوات شهيرة وتكاثر الناس للجواز وتزاحموا حتى غرق مركب كبير كان فيه نحو ثلاثمائة نفس لم ينج منهم الا عربي من أصحاب الامير غدا وكنا ركبنا نحن فى مركب صغير فسلمنا الله تعالى وكان العربي الذي سلم من الغرق يسمي بسالم وذلك اتفاق عجيب وكان أراد ان يصعد معنا فى مركبنا فوجدنا قد ركبنا النهر فركب فى المركب الذى غرق فلما خرج ظن الناس انه كان معنا فقامت ضجة في أصحابنا وفى سائر الناس وتوهموا انا غرقنا ثم لما رأونا بعد استبشروا بسلامتنا وزرنا قبر الصالح المذكور وهو فى قبة لم نجد سبيلا الى

دخولها الكثرة الزحام وفي تلك الوجهة دخلنا غيضة قصب فخرج علينا منها الكركدن فقتل وأتي الناس برأسه وهو دون الفيل ورأسه أكبر من رأس الفيل باضعاف وقد ذكرناه

— ذكر عودة السلطان لحضرته وبخ لفة علي شاه كر —

ولما ظفر السلطان بعين الملك كما ذكرنا عاد الى حضرته بعد مغيب عامين ونصف وعفا عن عين الملك وعفا أيضا عن نصرة خان القائم ببلاد التلنك وجعلهما معا على عمل واحد وهو النظر على بساتين السلطان وكساهما واركبهما وعين لهما نفقة من الدقيق واللحم فى كل يوم و بلغ الخبر بعد ذلك ان أحد أصحاب قطلوخان وهو على شاه كر ومعنى كر الاطرش خالف على السلطان وكان شجاعا حسن الصورة والسيرة فغلب على بدركوت وجعلها مدينة ملكه وخرجت العساكر اليه وأمر السلطان معلمه ان يخرج الى قتاله فخرج فى عساكر عظيمة وحصره ببدركوت و نقبت ابراجها واشتدت به الحال فطلب الامان فامنه قطلوخان وبعث به الى السلطان مقيدا فعفا عنه و نفاه الى مدينة غزنة من طرف خراسان فاقام بها مدة ثم اشتاق الى وطنه فاراد العودة اليه لما قضاه الله من حينه فقبض عليه ببلاد السند واتى به السلطان فقال له انما جئت لتثير الفساد ثانية وأمر به فضربت عنقه

— ذكر فرار أمير بخت وأخذه —

وكان السلطان قد وجد على أمير بخت الملقب بشرف الملك أحد الذين وفدوا معنا على السلطان فحط مرتبه من أربعين ألفا الى ألف واحد وبعثه فى خدمة الوزير الى دهلى واتفق ان مات أمير عبد الله الهروى فى الوباء فى التلنك وكان ماله عند اصحابه بدهلى فاتفقوا مع أمير بخت على الهروب فلما خرج الوزير من دهلى الى لقاء السلطان هربوا مع أمير بخت وأصحابه ووصلوا الى أرض السند فى سبعة ايام وهو مسيرة اربعين يوما وكان معهم الخيل مجنوبة وعزموا على ان يقطعوا نهر السند عوما ويركب أمير بخت وولده ومن لا يحسن العوم فى معدية قصب يصنعونها وكانوا قد أعدوا حبالا من الحرير برسم ذلك فلما وصلوا الى النهر خافوا من عبوره بالعوم فبعثوا رجلين منهم الى جلال الدين صاحب مدينة أوجة فقالا له ان ها هنا تجارا أرادوا أن يعبروا النهر وقد بعثوا اليك بهذا السرج لتبيح لهم الجواز فانكر الامير ان يعطي التجار مثل ذلك السرج وأمر بالقبض على الرجلين ففر احدهما ولحق بشرف الملك واصحابه وهم نيام لما لحقهم من الاعياء ومواصلة السهر فاخبرهم الخبر فركبوا مذعورين وفروا وامر جلال الدين بضرب الرجل الذى قبض عليه فاعترف بقضية شرف الملك فامر جلال الدين نائبه فركب فى العسكر وقصدوا نحوهم فوجدوهم قد ركبوا فاقتفوا اثرهم

فادركوهم فرموا العسكر بالنشاب ورمى طاهر بن شرف الملك نائب الامير جلال الدين بسهم فاثبته في ذراعه وغلب عليهم فاتي بهم الى جلال الدين فقيدهم وغل أيديهم وكتب الى الوزير فى شانهم فامره الوزير ان يبعثهم الى الحضرة فبعثهم اليها وسجنوا بها فمات طاهر فى السجن فامر السلطان ان يضرب شرف الملك مائة مقرعة فى كل يوم فبقى على ذلك مده ثم عفا عنه وبعث مع الامير نظام الدين أمير بجلة الى بلاد جنديرى فانتهت حاله الى ان كان يركب البقر ولم يكن له فرس يركبه وأقام على ذلك مدة ثم وفد ذلك الامير على السلطان وهو معه فجعله السلطان شاشنكيرة (جاشنكير) وهو الذى يقطع اللحم بين يدى السلطان ويمشي مع الطعام ثم انه بعد ذلك نوه به ورفع مقداره وانتهت حاله الى ان مرض فزاره السلطان وأمر بوزنه بالذهب وأعطاه ذلك وقد قدمنا هذه الحكاية في السفر الاول وبعد ذلك زوجه باخته واعطاه بلاد جنديرى التى كان بها البقر فى خدمة الامير نظام الدين فسبحان مقلب القلوب ومحول الاحوال

ذكر خلاف شاه أفغان بارض السند

وكان شاه أفغان خالف على السلطان بارض ملتان من بلاد السند وقتل الامير بها وكان يسمى بهزاد وادعى السلطنة لنفسه وتجهز السلطان لقتاله فعلم انه لا يقاومه فهرب ولحق لقومه الافغان وهم ساكنون بجبال منيعة لا يقدر عليها فاغتاظ السلطان مما فعله وكتب الى عماله ان يقبضوا على من وجدوه من الافغان ببلاده فكان ذلك سببا لخلاف القاضي جلال

ذكر خلاف القاضى جلال

وكان القاضي جلال وجماعة من الافغانيين قاطنين بقربة من مدينة كنباية ومدينة بلوذرة فلما كتب السلطان الى عماله بالقبض على الافغانيين كتب الى ملك مقبل نائب الوزير ببلاد الجزرات ونهروالة أن يحتال فى القبض على القاضى جلال ومن معه وكانت بلاد بلوذرة اقطاعا لملك الحكماء وكان ملك الحكماء متزوجا بربيبة السلطان زوجة أبيه تغلق ولها بنت من تغلق هي التى تزوجها الاميرغدا وملك الحكماء اذذاك فى صحبة مقبل لان بلاده تحت نظره فلما وصلوا الى بلاد الجزرات أمر مقبل ملك الحكماء ان ياتي بالقاضى جلال وأصحابه فلما وصل ملك الحكماء الى بلاده حذرهم فى خفية لانهم كانوا من أهل بلاده وقال ان مقبلا طلبكم ليقبض عليكم فلا تدخلوا عليه الا بالسلاح فركبوا فى نحو ثلاثمائة مدرع وأتوه وقالوا لا ندخل الا جملة فظهر له انه لا يمكن القبض عليهم وهم مجتمعون وخاف منهم فامرهم بالرجوع واظهر تامينهم فخالفوا عليه ودخلوا مدينة كنباية ونهبوا اخزانة السلطان بها وأموال الناس ونهبوا مال ابن الكولمي التاجر وهو

الذي عمر المدرسة الحسنة باسكندرية وسنذكره اثرهذا وجاء ملك مقبل لقتالهم فهزموه هزيمة شنيعة وجاء الملك عزيز الخمار والملك جهان بنبل لقتالهم في سبعة آلاف من الفرسان فهزموهم أيضا وتسامع بهم أهل الفساد والجرائم فانثالوا عليهم وادعى القاضي جلال السلطنة وبايعه أصحابه وبعث السلطان اليه العساكر فهزمها وكان بدولة آباد جماعة من الافغان فخالفوا أيضا

ذكر خلاف ابن الملك مل

وكان ابن الملك مل ساكنا بدولة آباد في جماعة من الافغان فكتب السلطان الى نائبه بها وهو نظام الدين أخو معلمه قطلوخان ان يقبض عليهم وبعث اليه باحمال كثيرة من القيود والسلاسل وبعث بخلع الشتاء وعادة ملك الهند أن يبعث لكل أمير على مدينة ولوجوه عسكره خلعتين في السنة خلعة الشتاء وخلعة الصيف واذا جاءت الخلع يخرج الامير والعسكر للقائها فاذا وصلوا الى الآتي بها نزلوا عن دوابهم وأخذ كل واحد خلعته وحملها على كتفه وخدم لجهة السلطان وكتب السلطان لنظام الدين اذا خرج الافغان ونزلوا عن دوابهم لاخذ الخلع فاقبض عليهم عند ذلك وأتي أحد الفرسان الذين أوصلوا الخلع الى الافغان فاخبرهم بما يراد بهم فكان نظام الدين ممن احتال فانعكست عليه فركب وركب الافغان معه حتى اذا لقوا الخلع ونزل نظام الدين عن فرسه حملوا عليه وعلى أصحابه فقبضوا عليه وقتلوا كثيرا من أصحابه ودخلوا المدينة فاخذوا الخزائن وقدموا على أنفسهم ناصر الدين ابن ملك مل وانثال عليهم المفسدون فقويت شوكتهم

ذكر خروج السلطان بنفسه الى كنباية

ولما بلغ السلطان ما فعله الافغان بكنباية ودولة آباد خرج بنفسه وعزم على ان يبدأ بكنباية ثم يعود الى دولة آباد وبعث أعظم ملك البايزيدي صهره في أربعة آلاف مقدمة فاستقبلته عساكر القاضي جلال فهزموه وحصروه ببلوذرة وقاتلوه بها وكان في عسكر القاضي جلال شيخ يسمى جلول وهو أحد الشجعان فلا يزال يفتك في العساكر ويقتل ويطلب المبارزة فلا يتجاسر أحد علي مبارزته واتفق يوما انه دفع فرسه فكبا به في حفرة فسقط عنه وقتل ووجدوا عليه درعين فبعثوا برأسه الى السلطان وصلبوا جسده بسور بلوذرة وبعثوا يديه ورجليه الى البلاد ثم وصل السلطان بعساكره فلم يكن للقاضي جلال من ثبات ففر في أصحابه وتركوا أموالهم وأولادهم فنهب ذلك كله ودخلت المدينة وأقام بها السلطان أياما ثم رحل عنها وترك بها صهره شرف الملك أمير بخت الذي قدمنا ذكره وقضية فراره وأخذه بالسند وسجنه وماجري عليه من الذل ثم من العز وأمره بالبحث عمن كان في طاعة

جلال الدين وترك معه الفقهاء ليحكم باقوالهم فادي ذلك الى قتل الشيخ على الحيدرى حسبما قدمناه ولما هرب القاضي جلال لحق بناصر الدين بن ملك مل بدولة آباد ودخل فى جملته فاتى السلطان بنفسه اليهم واجتمعوا فى نحو أربعين الفا من الافغان والترك والهنود والعبيد وتحالفوا على ان لا يفروا وان يقاتلوا السلطان وأتى السلطان لقتالهم ولم يرفع الشطر الذى هو علامة عليه فلما استحر القتال رفع الشطر فلما عاينوه دهشوا وانهزموا اقبح هزيمة ولجا ابن ملك مل والقاضي جلال فى نحو أربعمائة من خواصهما الى قلعة الدويقير وسنذكرها وهي من امنع قلعة فى الدنيا واستقر السلطان بمدينة دولة آباد الدويقير وهي قلعتها وبعث لهم ان ينزلوا على حكمه فابوا ان ينزلوا الا على الامان فابي السلطان ان يؤمنهم وبعث لهم الاطعمة تهاونا بهم وأقام هنالك وعلى ذلك آخر عهدي بهم

—— ذكر قتال مقبل وابن الكولمى ——

وكان ذلك قبل خروج القاضى جلال وخلافه وكان تاج الدين بن الكولمى من كبار التجار فوفد على السلطان من أرض الترك بهدايا جليلة منها المماليك والجمال والمتاع والسلاح والثياب فاعجب السلطان فعله واعطاه اثنى عشر لكا ويذكر انه لم تكن قيمة هديته الا لكا واحدا وولاه مدينة كنباية وكانت نظر الملك المقبل نائب الوزير فوصل اليها وبعث المراكب الى بلاد المليبار وجزيرة سيلان وغيرها وجاءته التحف والهدايا فى المراكب وضخمت حاله ولما لم يبعث أموال تلك الجهات الى الحضرة بعث الملك مقبل الى ابن الكولمي ان يبعث ماعنده من الهدايا والاموال مع هدايا تلك الجهات على العادة فامتنع ابن الكولمى من ذلك وقال أنا أحملها بنفسى أو أبعثها مع خدامى ولا حكم لنائب الوزير علي ولا للوزير واغتر بما أولاه السلطان من الكرامة والعطية فكتب مقبل الى الوزير بذلك فوقع له الوزير على ظهر كتابه ان كنت عاجزا عن بلادنا فاتركها وارجع الينا فلما بلغه الجواب تجهز فى عسكره ومماليكه والتقيا بظاهر كنباية فانهزم ابن الكولمى وقتل جماعة من الفريقين واستخفى ابن الكولمى فى دار الناخودة (الناخذا) الياس أحد كبراء التجار ودخل مقبل المدينة فضرب رقاب أمراء عسكر ابن الكولمى وبعث له الامان على ان ياخذ ماله المختص به ويترك مال السلطان وهديته ومجبى البلد وبعث مقبل بذلك كله مع خدامه الى السلطان وكتب شاكيا من ابن الكولمى وكتب ابن الكولمى شاكيا منه فبعث السلطان ملك الحكماء لينصف بينهما وباثر ذلك كان خروج القاضي جلال الدين فنهب مال ابن الكولمى وفر ابن الكولمى فى بعض مماليكه ولحق بالسلطان

—— ذكر الغلاء الواقع بارض الهند ——

وفي مدة مغيب السلطان عن حضرته اذ خرج يقصد بلاد المعبر وقع الغلاء واشتد الامر وانتهى المن الى ستين درهما ثم زاد على ذلك وضاقت الاحوال وعظم الخطب ولقد خرجت مرة الى لقاء الوزير فرأيت ثلاث نسوة يقطعن قطعا من جلد فرس مات منذ أشهر ويأكلنه وكانت الجلود تطبخ وتباع في الاسواق وكان الناس اذا ذبحت البقر أخذوا دماءها فأكلوها وحدثني بعض طلبة خراسان انهم دخلوا بلدة تسمى اكروهة بين حانسي وسرستي فوجدوها خالية فقصدوا بعض المنازل ليبيتوا به فوجدوا في بعض بيوته رجلا قد أضرم نارا وبيده رجل آدمي وهو يشويها في النار ويأكل منها والعياذ بالله ولما اشتد الحال أمر السلطان ان يعطى لجميع أهل دهلى نفقة ستة أشهر فكانت القضاة والكتاب والامراء يطوفون بالازقة والحارات ويكتبون الناس ويعطون لكل أحد نفقة ستة اشهر بحساب رطل ونصف من ارطال المغرب في اليوم لكل واحد وكنت في تلك المدة أطعم الناس من الطعام الذى أصنعه بمقبرة السلطان قطب الدين حسبما يذكر فكان الناس ينتعشون بذلك والله تعالى ينفع بالقصد فيه وقد ذكرنا من أخبار السلطان وما كان في أيامه من الحوادث ما فيه الكفاية فلنعد الى ما يخصنا من ذلك ونذكر كيفية وصولنا أولا الى حضرته وتنقل الحال الى خروجنا عن الخدمة ثم خروجنا عن السلطان في الرسالة الى الصين وعودنا منها الى بلادنا ان شاء الله تعالى

—— ذكر وصولنا الى دار السلطان عند قدومنا وهو غائب ——

ولما دخلنا حضرة دهلى قصدنا باب السلطان ودخلنا الباب الاول ثم الثانى ثم الثالث ووجدنا عليه النقباء وقد تقدم ذكرهم فلما وصلنا اليهم تقدم بنا نقيبهم الى مشور عظيم متسع فوجدنا به الوزير خواجه جهان ينتظرنا فتقدم ضياء الدين خداوندزاده ثم تلاه أخوه قوام الدين ثم اخوهما عماد الدين ثم تلوتهم ثم تلانى أخوهم برهان الدين ثم الامير مبارك السمرقندى ثم أرن بغا التركى ثم ملك زاده ابن أخت خداوندزاده ثم بدر الدين الفصال ولما دخلنا من الباب الثالث ظهر لنا المشور الكبير المسمي هزار اسطون (استون) ومعنى ذلك ألف سارية وبه يجلس السلطان الجلوس العام فخدم الوزير عند ذلك حتي قرب رأسه من الارض وخدمنا نحن بالركوع وأوصلنا أصابعنا الى الارض وخدمتنا لناحية سرير السلطان وخدم جميع من معنا فلما فرغنا من الخدمة صاح النقباء باصوات عالية بسم الله وخرجنا

—— ذكر وصولنا لدار أم السلطان وذكر فضائلها ——

وأم السلطان تدعى المخدومة جهان وهي من أفضل النساء كثيرة الصدقات عمرت زوايا كثيرة وجعلت فيها الطعام للوارد والصادر وهي مكفوفة البصر وسبب ذلك انه لما ملك ابنها جاء اليها جميع الخواتين وبنات الملوك والامراء في أحسن زى وهي على سرير الذهب المرصع بالجوهر فخدمن بين يديها جميعا فذهب بصرها للحين وعولجت بانواع العلاج فلم ينفع وولدها أشد الناس برابها ومن بره انها سافرت معه مرة فقدم السلطان قبلها بمدة فلما قدمت خرج لاستقبالها وترجل عن فرسه وقبل رجلها وهي فى المحفة بمرأى من الناس أجمعين ولنعد لما قصدناه فنقول ولما انصرفنا عن دار السلطان خرج الوزير ونحن معه الى باب الصرف وهم يسمونه باب الحرم وهنالك سكنى المخدومة جهان فلما وصلنا ابها نزلنا عن الدواب وكل واحد منا قد أتى بهدية على قدر حاله ودخل معنا قاضى قضاة المماليك كمال الدين بن البرهان فخدم الوزير والقاضي عند بابها وخدمنا كخدمتهم وكتب كاتب بابها هدايانا ثم خرج من الفتيان جماعة وتقدم كبارهم الى الوزير فكلموه سرا ثم عادوا الى القصر ثم رجعوا الى الوزير ثم عادوا الى القصر ونحن وقوف ثم أمرنا بالجلوس فى سقيف هنالك ثم أتوا بالطعام وأتوا بقلال من الذهب يسمونها السين (بضم السين والياء آخر الحروف) وهي مثل القدور ولها مرافع من الذهب تجلس عليها يسمونها السبك (بضم السين وضم الباء الموحدة) وأتوا باقداح وطسوت وأباريق كلها ذهب وجعلوا الطعام سماطين وعلى كل سماط صفان ويكون فى رأس الصف كبير القوم الواردين ولما تقدمنا للطعام خدم الحجاب والنقباء وخدمنا لخدمتهم ثم أتوا بالشربة فشربنا وقال الحجاب بسم الله ثم أكلنا وأتوا بالفقاع ثم بالتنبول ثم قال الحجاب بسم الله فخدمنا جميعا ثم دعينا الى موضع هنالك فخلع علينا خلع الحرير المذهبة ثم أتوا بنا الى باب القصر فخدمنا عنده وقال الحجاب بسم الله ووقف الوزير ووقفنا معه ثم أخرج من داخل القصر تخت ثياب غير مخيطة من حرير وكتان وقطن فاعطى كل واحد منا نصيبه منها ثم أتوا بطيفور ذهب فيه الفاكهة اليابسة وبطيفور مثله فيه الجلاب وطيفور ثالث فيه التنبول ومن عادتهم ان الذى يخرج له ذلك ياخذ الطيفور بيده ويجعله على كاهله ثم يخدم بيده الاخرى الى الارض فاخذ الوزير الطيفور بيده قصدا أن يعلمني كيف أفعل ايناسا منه وتواضعا ومبرة جزاه الله خيرا ففعلت كفعله ثم انصرفنا الى الدار المعدة لنزولنا بمدينة دهلى وبمقربة من دروازة بالم منها وبعثت لنا الضيافة

— ذكر الضيافة —

ولما وصلت الى الدار التي أعددت لنزولي وجدت فيها ما يحتاج اليه من فرش وبسط وحصر واوان وسرير الرقاد وأسرتهم بالهند خفيفة الحمل يحمل السرير منها الرجل الواحد ولا بد لكل أحد أن يستصحب السرير في السفر يحمله غلامه على رأسه وهو أربع قوائم مخروطة يعرض عليها أربعة أعواد وتنسج عليها ضفائر من الحرير أو القطن فاذا نام الانسان عليه لم يحتج الى ما يرطبه به لانه يعطي الرطوبة من ذاته وجاؤا مع السرير بمضربتين ومخدتين ولحاف كل ذلك من الحرير وعادتهم أن يجعلوا للمضربات واللحوف (واللحف) وجوها تغشيها من كتان أو قطن بيضا فتي توسخت غسلوا الوجوه المذكورة وبقي ما في داخلها مصونا وأتوا تلك الليلة برجلين أحدهما الطاحوني ويسمونه الخراص والآخر الجزار ويسمونه القصاب فقالوا لنا خذوا من هذا كذا وكذا من الدقيق ومن هذا كذا وكذا من اللحم لاوزان لا أذكرها الآن وعادتهم أن يكون اللحم الذي يعطون بقدر وزن الدقيق وهذا الذي ذكرناه ضيافة أم السلطان وبعد ذلك وصلتنا ضيافة السلطان وسنذكرها ولما كان من غد ذلك اليوم ركبنا الى دار السلطان وسلمنا على الوزير فاعطاني بدرتين كل بدرة من ألف دينار دراهم وقال لي هذه سرششتي (شستي) ومعناه لغسل رأسك وأعطاني خلعة من المرعز وكتب جميع أصحابي وخدامي وغلماني فجعلوا أربعة أصناف فالصنف الاول منها أعطي كل واحد منهم مائتي دينار والصنف الثاني أعطي كل واحد منهم مائة وخمسين دينارا والصنف الثالث أعطي كل واحد مائة دينار والصنف الرابع أعطي كل واحد خمسة وسبعين دينارا وكانوا نحو أربعين وكان جملة ما اعطوه أربعة آلاف دينار ونيفا وبعد ذلك عينت ضيافة السلطان وهي الف رطل هندية من الدقيق ثلثها من الميرا وهو الدرمك وثلثاها من الخشكار وهو المدهون والف رطل من اللحم ومن السكر والسمن والسليف والفوفل ارطال كثيرة لا اذكر عددها والالف من ورق التنبول والرطل الهندي عشرون رطلا من ارطال المغرب وخمسة وعشرون من ارطال مصر وكانت ضيافة خداوند زاده اربعة آلاف رطل من الدقيق ومثلها من اللحم مع ما يناسبها مما ذكرناه

—— ذكر وفاة بنتي وما فعلوا في ذلك ——

ولما كان بعد شهر ونصف من مقدمنا توفيت بنت لي سنها دون السنة فاتصل خبر وفاتها بالوزير فامر ان تدفن في زاوية بناها خارج دروازة بالم بقرب مقبرة هنالك لشيخنا ابراهيم القونوي فدفناها بها وكتب بخبرها الى السلطان فاتاه الجواب في عشي اليوم الثاني وكان بين متصيد السلطان وبين الحضرة مسيرة عشرة ايام وعادتهم ان يخرجوا الى قبر الميت

صبيحة الثالث من دفنه ويفرشون جوانب القبر بالبسط وثياب الحرير ويجعلون على القبر الازاهير وهى لا تنقطع هنالك فى فصل من الفصول كالياسمين وقل شبه (كل شبو) وهى زهر أصفر وريبول وهو أبيض والنسرين وهو على صنفين أبيض وأصفر ويجعلون اغصان النارنج والليمون بثمارها وان لم يكن فيها ثمار علقوا منها حبات بالخيوط ويصبون على القبر الفواكه اليابسة وجوز النارجيل ويجتمع الناس ويؤتي بالمصاحف فيقرؤن القرآن فاذا ختموه أتوا بماء الجلاب فسقوه الناس ثم يصب عليهم ماء الورد صبا ويعطون التنبول وينصرفون ولما كان صبيحة الثالث من دفن هذه البنت خرجت عند الصبح على العادة واعددت ما تيسر من ذلك كله فوجدت الوزير قد أمر بترتيب ذلك وامر بسراجة فضربت على القبر وجاء الحاجب شمس الدين الفوشنجي الذي تلقانا بالسند والقاضى نظام الدين الكروانى وجملة من كبار أهل المدينة ولم آت الا والقوم المذكورون وقد أخذوا مجالسهم والحاجب بين أيديهم وهم يقرؤن القرآن فقعدت مع أصحابي بمقربة من القبر فلما فرغوا من القراءة قرأ القراء باصوات حسان ثم قام القاضى فقرأ رثاء فى البنت المتوفاة وثناء على السلطان وعند ذكر اسمه قام الناس جميعا قياما فخدموا ثم جلسوا ودعا القاضى دعاء حسنا ثم أخذ الحاجب وأصحابه براميل ماء الورد فصبوا على الناس ثم داروا عليهم باقداح شربة النبات ثم فرقوا عليهم التنبول ثم أتي باحدى عشرة خلعة لى ولاصحابى ثم ركب الحاجب وركبنا معه الى دار السلطان فخدمنا للسرير على العادة وانصرفت الى منزلى فما وصلت الا وقد جاء الطعام من دار المخدومة جهان ما ملا الدار ودور أصحابى وا كلوا جميعا وأكل المساكين وفضلت الاقراص والحلواء والنبات فاقامت بقاياها أياما وكان فعل ذلك كله بامر السلطان وبعد أيام جاء الفتيان من دار المخدومة جهان بالدولة وهي المحفة التى يحمل فيها النساء ويركبها الرجال أيضا وهي شبه السرير سطحها من ضفائر الحرير او القطن وعليها عود شبه الذي على البوجات عندنا معوج من القصب الهندى المغلوق ويحملها ثمانية رجال فى نوبتين يستريح أربعة ويحمل أربعة وهذه الدول بالهند كالحمير بديار مصر عليها يتصرف اكثر الناس فمن كان له عبيد حملوه ومن لم يكن له عبيد اكترى رجالا يحملونه وبالبلد منهم جماعة يسيرة يقفون فى الاسواق وعند باب السلطان وعند ابواب الناس للكرى وتكون دول النساء مغشاة بغشاة حرير وكذلك كانت هذه الدولة التي أتى الفتيان بها من دار ام السلطان فحملوا فيها جاريتي التى هي أم البنت المتوفاة وبعثت انا معها عن هدية جارية تركية فاقامت الجارية أم البنت عندهم ليلة وجاءت في اليوم الثاني وقد أعطوها الف

دينار دراهم وأساور ذهب مرصعة وتهليلا من الذهب مرصعا ايضا وقميص كتان مزركشا بالذهب وخلعة حرير مذهبة وتختا باثواب ولما جاءت بذلك كله اعطيته لاصحابي وللتجار الذين لهم على الدين محافظة علي نفسي وصونا لعرضى لان المخبرين يكتبون الى السلطان بجميع أحوالى

— ذكر احسان السلطان والوزير الى فى أيام غيبة السلطان عن الحضرة —

وفى أثناء مقامى أمر السلطان ان يعين لى من القري مايكون فائدة خمسة آلاف دينار فى السنة فعينها الى الوزير وأهل الديوان وخرجت اليها فمنها قرية تسمي بدلى (بفتح الباء الموحدة وفتح الدال المهملة وكسر اللام) وقرية تسمى بسهي (بفتح الباء الموحدة والسين المهمل وكسر الهاء) ونصف قرية تسمي بالرة (بفتح الباء الموحدة واللام والراء) وهذه القري على مسافة ستة عشر كروها وهو الميل بصدى يعرف بصدى هندبت والصدى عندهم مجموع مائة قرية واحواز المدينة مقسومة اصداء كل صدى له جوطرى وهو شيخ من كفار تلك البلاد ومتصرف وهو الذى يضم مجابيها وكان قد وصل في ذلك الوقت سبي من الكفار فبعث الوزير الى عشر جوارمنه فاعطيت للذى جاء بهن واحدة منهن فما رضى بذلك وأخذ أصحابي ثلاث صغار امنهن وباقيهن لا أعرف مااتفق لهن والسبي هنالك رخيص الثمن لانهن قذرات لا يعرفن مصالح الحضر والمعلمات رخيصات الاثمان فلا يفتقر أحد الى شراء السبي والكفار ببلاد الهند فى بر متصل وبلاد متصلة مع المسلمين والمسلمون غالبون عليهم وانما يمتنع الكفار بالجبال والاوعار ولهم غيضات من القصب وقصبهم غير مجوف ويعظم ويلتف بعضه على بعض ولا تؤثر فيه النار وله قوة عظيمة فيسكنون تلك الغياض وهى لهم مثل السور وبداخلها تكون مواشيهم وزروعهم ولهم فيها المياه مما يجتمع من ماء المطر فلا يقدر عليهم الا بالعساكر القوية من الرجال الذين يدخلون تلك الغياض ويقطعون تلك القصب بالآت معدة لذلك

— ذكر العيد الذى شهدته أيام غيبة السلطان —

وأظل عيد الفطر والسلطان لم يعد بعد الى الحضرة فلما كان يوم العيد ركب الخطيب على الفيل وقد مهد له على ظهره شبه السرير وركزت أربعة أعلام فى أركانه الاربعة ولبس الخطيب ثياب السواد وركب المؤذنون على الفيلة يكبرون امامه وركب فقهاء المدينة وقضاتها وكل واحد منهم يستصحب صدقة يتصدق بها حين الخروج الى المصلى ونصب على المصلى صيوان قطن وفرش ببسط واجتمع الناس ذاكرين لله تعالى ثم صلي بهم الخطيب

وخطب وانصرف الناس الى منازلهم وانصرفنا الى دار السلطان وجعل الطعام فحضره الملوك والامراء والاعزة وهم الغرباء وأكلوا وانصرفوا

— ذكر قدوم السلطان ولقائنا له —

ولما كان فى رابع شوال نزل السلطان بقصر يسمى تلبت (بكسر التاء المعلوة الاولى وسكون اللام وفتح الباء الموحدة ثم تاء كالاولى) وهي على مسافة سبعة اميال من الحضرة فامرنا الوزير بالخروج اليه فخرجنا ومع كل انسان هديته من الخيل والجمال والفواكه الخراسانية والسيوف المصرية والمماليك والغنم المجلوبة من بلاد الاتراك فوصلنا الى باب القصر وقد اجتمع جميع القادمين فكانوا يدخلون الى السلطان على قدر مراتبهم ويخلع عليهم ثياب الكتان المزركشة بالذهب ولما وصلت النوبة الى دخلت فوجدت السلطان قاعدا على كرسي فظننته أحد الحجاب حتى رأيت معه ملك الندماء ناصر الدين الكافى الهروي وكنت عرفته أيام غيبة السلطان فخدم الحاجب فخدمت واستقبلني أمير حاجب وهوابن عم السلطان المسمى بفيروز وخدمت ثانية لخدمته ثم قال لى ملك الندماء بسم الله مولانا بدر الدين وكانوا يدعونني بارض الهند بدر الدين وكل من كان من أهل الطلب انما يقال له مولانا فقربت من السلطان حتى أخذ بيدى وصافحنى وأمسك يدي وجعل يخاطبني باحسن خطاب ويقول لي باللسان الفارسى حلت البركة قدومك مبارك اجمع خاطرك اعمل معك من المراحم وأعطيك من الانعام ما يسمع به أهل بلادك فياتون اليك ثم سالنى عن بلادى فقلت له بلاد المغرب فقال لى بلاد عبد المؤمن فقلت له نعم وكان كلما قال لى كلاما جيدا قبلت يده حتى قبلتها سبع مرات وخلع علىّ وانصرفت واجتمع الواردون فمد لهم سماط ووقف على رؤوسهم قاضي القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزمي وكان من كبار الفقهاء وقاضي قضاة المماليك صدر الجهان كمال الدين الغزنوى وعماد الملك عرض المماليك والملك جلال الدين الكيجى وجماعة من الحجاب والامراء وحضر لذلك خداوندزاده غياث الدين بن عم خداوندزاده قوام الدين قاضى الترمذ الذى قدم معنا وكان السلطان يعظمه ويخاطبه بالاخ وتردد اليه مرارا من بلاده والواردون الذين خلع عليهم فى ذلك هم خداوندزاده قوام الدين واخوته ضياء الدين وعماد الدين وبرهان الدين وابن أخته أمير بخت ابن السيد تاج الدين وكان جده وجيه الدين وزير خراسان وكان خاله علاء الدين أمير هند ووزيرا أيضا والامير هبة الله بن الفلكى التبريزى وكان أبوه نائب الوزير بالعراق وهو الذى بنى المدرسة الفلكية بتبريز وملك كراى من أولاد بهرام جور (جوبين)

صاحب كسرى وهو من أهل جبل بدخشان الذى منه يجلب الياقوت البلخش واللازورد والامير مبارك شاه السمرقندى وأرون بغا البخاري وملك زاده الترمذى وشهاب الدين الكازرونى التاجر الذى قدم من تبريز بالهدية الى السلطان فسلب فى طريقه

— ذكر دخول السلطان الى حضرته وما أمر لنا به من المراكب —

وفى الغد من يوم خروجنا الى السلطان أعطي كل واحدمنا فرسا من مراكب السلطان عليه سرج ولجام محليان وركب السلطان لدخول حضرته وركبنا فى مقدمته مع صدر الجهان وزينت الفيلة امام السلطان وجعلت عليها الاعلام ورفعت عليها ستة عشر اشطرا منها مزركشة ومنها مرصعة ورفع فوق رأس السلطان شطرا منها وحملت امامه الغاشية وهي ستارة مرصعة وجعل على بعض الفيلة رعادات صغار فلما وصل السلطان الى قرب المدينة رمى فى تلك الرعادات بالدنانير والدراهم مختلطة والمشاة بين يدى السلطان وسواهم ممن حضر يلتقطون ذلك ولم يزالوا ينثرونها الى أن وصلوا الى القصر وكان بين يديه آلاف من المشاة على الاقدام وصنعت قباب الخشب المكسوة بثياب الحرير وفيها المغنيات حسبما ذكرنا ذلك

— ذكر دخولنا اليه وما أنعم به من الاحسان والولاية —

ولما كان يوم الجمعة ثانى يوم دخول السلطان أتينا باب المشور فجلسنا فى سقائف الباب الثالث ولم يكن الاذن حصل لنا بالدخول وخرج الحاجب شمس الدين الفوشنجي فامر الكتاب ان يكتبوا أسماءنا وأذن لهم في دخولنا ودخول بعض أصحابنا وعين للدخول معي ثمانية فدخلنا ودخلوا معنا ثم جاؤا بالبدر والقبان وهو الميزان وقعد قاضى القضاة والكتاب ودعوا من الباب من الاعزة وهم الغرباء فعينوا لكل انسان نصيبه من تلك البدر فحصل لى منها خمسة آلاف دينار وكان مبلغ المال مائة الف دينار تصدقت به ام السلطان لما قدم ابنها وانصرفنا ذلك اليوم وكان السلطان بعد ذلك يستدعينا للطعام بين يديه ويسال عن أحوالنا ويخاطبنا باجمل كلام ولقد قال لنا فى بعض الايام أنتم شرفتمونا بقدومكم فما نقدر على مكافاتكم فالكبير منكم مقام والدي والكهل مقام أخي والصغير مقام ولدى وما فى ملكى أعظم من مدينتى هذه أعطيكم اياها فشكرناه ودعونا له ثم بعد ذلك امر لنا بالمرتبات فعين لى اثنى عشر ألف دينار فى السنة وزادني قريتين على الثلاث التى أمر لى بها قبل احداها قرية جوزة والثانية قرية ملك بور وفى بعض الايام بعث لنا خداوندزاده غياث الدين وقطب الملك صاحب السند فقالا لنا ان خوندعالم يقول لكم من كان منكم يصلح للوزارة أو الكتابة أو الامارة أو القضاء أو التدريس أو المشيخة أعطيته ذلك فسكت الجميع لانهم كانوا يريدون

تحصيل الاموال والانصراف الى بلادهم وتكلم اميربخت ابن السيد تاج الدين الذي تقدم ذكره فقال أما الوزارة فميراثي وأما الكتابة فشغلي وغير ذلك لا اعرفه وتكلم هبة الله بن الفلكي فقال مثل ذلك وقال لي خداوندزاده بالعربي ما تقول انت ياسيدى وأهل تلك البلاد مايدعون العربي الا بالتسويد وبذلك يخاطبه السلطان تعظيما للعرب فقلت له أما الوزارة والكتابة فليست شغلي وأما القضاء والمشيخة فشغلي وشغل آبائي وأما الامارة فتعلمون ان الاعاجم ما أسلمت الا باسياف العرب فلما بلغ ذلك الى السلطان أعجبه كلامي وكان بهزار اسطون ياكل الطعام فبعث عنا فاكلنا بين يديه وهو ياكل ثم انصرفنا الى خارج هزار اسطون فقعد أصحابي وانصرفت بسبب دمل كان يمنعني الجلوس فاستدعانا السلطان ثانية فحضر أصحابي واعتذروا له عني وجئت بعد صلاة العصر فصليت بالمشور المغرب والعشاء الآخرة ثم خرج الحاجب فاستدعانا فدخل خداوندزاده ضياء الدين وهو أكبر الاخوة المذكورين فجعله السلطان أميرداد وهو من الامراء الكبار فجلس بمجلس القاضي فمن كان له حق على أمير او كبير احضره بين يديه وجعل مرتبه على هذه الخطة خمسين ألف دينار في السنة عين له مجاشر فائدها ذلك المقدار فامر له بخمسين ألفا عن يد وخلع عليه خلعة حرير مزركشة تسمى صورة الشير ومعناه صورة السبع لانه يكون في صدرها وظهرها صورة سبع وقد خيط في باطن الخلعة بطاقة بمقدار ما زركش فيها من الذهب وأمر له بفرس من الجنس الاول والخيل عندهم أربعة اجناس وسروجهم كسروج أهل مصر ويكسون أعظمها بالفضة المذهبة ثم دخل أميربخت فامره أن يجلس مع الوزير في مسنده ويقف على محاسبات الدواوين وعين له مرتبا اربعين ألف دينار في السنة أعطي مجاشر فائدها بمقدار ذلك واعطي اربعين ألفا عن يد وأعطي فرسا مجهزا وخلع عليه كخلعة الذى قبله ولقب شرف الملك ثم دخل هبة الله ابن الفلكي فجعله رسول دار ومعناه حاجب الارسال وعين له مرتبا اربعين ألف دينار في السنة أعطي مجاشر يكون فائدها بمقدار ذلك وأعطي أربعة وعشرين الفا عن يد وأعطى فرسا مجهزا وخلعة وجعل لقبه بهاء الملك ثم دخلت فوجدت السلطان على سطح القصر مستندا الى السرير والوزير خواجه جهان بين يديه والملك الكبير قبولة واقف بين يديه فلما سلمت عليه قال لي الملك الكبير اخدم فقد جعلك خوند عالم قاضي دار الملك دهلي وجعل مرتبك اثني عشر ألف دينار في السنة وعين لك مجاشر بمقدارها وأمر لك باثني عشر ألفا نقدا تاخذها من الخزانة غدا ان شاء الله واعطاك فرسا بسرجه ولجامه وأمر لك بخلعة محاربين وهي التي يكون في صدرها وظهرها شكل محراب فخدمت

وأخذ بيدى فتقدم بي الى السلطان فقال لى السلطان لا تحسب قضاء دهلى من اصغر الاشغال هو أكبر الاشغال عندنا وكنت أفهم قوله ولا أحسن الجواب عنه وكان السلطان يفهم العربي ولا يحسن الجواب عنه فقلت له يامولانا أنا على مذهب مالك وهؤلاء حنفية وأنا لا أعرف اللسان فقال لى قد عينت بهاء الدين الملتاني وكمال الدين البجنورى ينوبان عنك ويشاورانك وتكون أنت تسجل على العقود وأنت عندنا بمقام الولد فقلت له بل عبدكم وخديمكم فقال لى باللسان العربي بل انت سيدنا ومخدومنا تواضعا منه وفضلا وإيناسا ثم قال لشرف الملك أمير بخت ان كان الذي ترتب له لا يكفيه لانه كثير الانفاق فانا أعطيه زاوية ان قدر على اقامة حال الفقراء وقال قل له هذا بالعربي وكان يظن انه يحسن العربي ولم يكن كذلك وفهم السلطان ذلك فقال له برو ويكجا بخصبي (بخسبى) وان حكاية براو بكوي وتفهيم كنى (بكني) تا فردا ان شاء الله پيش من بياي (و) جواب او بكرى (بكوى) معناه امشوا الليلة فارقدوا فى موضع واحد وفهمه هذه الحكاية فاذا كان بالغد ان شاء الله تجيء الى وتعلمنى بكلامه فانصرفنا وذلك فى ثلث الليل وقد ضربت النوبة والعادة عندهم اذا ضربت لا يخرج أحد فانتظرنا الوزير حتى خرج وخرجنا معه ووجدنا أبواب دهلى مسدودة فبتنا عند السيد أبي الحسن العبادي العراقي بزقاق يعرف بسرا بورخان وكان هذا الشيخ يتجر بمال السلطان ويشترى له الاسلحة والامتعة بالعراق وخراسان ولما كان بالغد بعث عنا فقبضنا الاموال والخيل والخلع وأخذ كل واحد منا البدرة بالمال فجعلها على كاهله ودخلنا كذلك على السلطان فخدمنا وأتينا بالافراس فقبلنا حوافرها بعد ان جعلت عليها الخرق وقدناها بانفسنا الى باب دار السلطان فركبناها وذلك كله عادة عندهم ثم انصرفنا وامر السلطان لاصحابي بالفي دينار وعشر خلع ولم يعط لاصحابي أحد سواى شيئا وكان أصحابي لهم رواء ومنظر فاعجبوا السلطان وخدموا بين يديه وشكرهم

ذكر عطاء ثان أمر لى به وتوقفه مدة

وكنت يوما بالمشور بعد أيام من توليتى القضاء والاحسان الى وانا قاعد تحت شجرة هنالك والى جانبي مولانا ناصر الدين الترمذى العالم الواعظ فاتي بعض الحجاب فدعي مولانا ناصر الدين فدخل الى السلطان فخلع عليه واعطاه مصحفا مكللا بالجوهر ثم اتانى بعض الحجاب فقال اعطنى شيئا وآخذ لك خط خرد باثنى عشر ألفا امر لك بها خوند عالم فلم اصدقه وظننته يريد الحيلة على وهو مجد فى كلامه فقال بعض الاصحاب انا اعطيه فاعطاه دينارين او ثلاثة وجاء بخط خرد ومعناه الخط الاصغر مكتوبا بتعريف الحاجب ومعناه امر خوند عالم ان

يعطي من الخزانة الموفورة كذا لفلان بتبليغ فلان أي بتعريفه ويكتب المبلغ اسمه ثم يكتب على تلك البراءة ثلاثة من الامراء وهم الخان الاعظم قطلوخان معلم السلطان والخريطة دار وهو صاحب خريطة الكاغد والاقلام والامير نكبية الدوادار صاحب الدوات فاذا كتب كل واحد منهم خطه يذهب بالبراءة الى ديوان الوزارة فينسخها كتاب الديوان عندهم ثم تثبت في ديوان الاشراف ثم تثبت في ديوان النظر ثم تكتب البروانة وهي الحكم من الوزير للخازن بالعطاء ثم يثبتها الخازن في ديوانه ويكتب تلخيصا في كل يوم بمبلغ ما أمر به السلطان ذلك اليوم من المال ويعرضه عليه فمن أراد التعجيل بعطائه امر بتعجيله ومن أراد التوقيف وقف له ولكن لا بد من عطاء ذلك ونوطات المدة فقد توقفت هذه الاثناء عشر الفاستة اشهر ثم اخذتها مع غيرها حسبما ياتي وعادتهم اذا أمر السلطان باحسان لاحد يحط منه العشرة فمن أمر له مثلا بمائة الف اعطي تسعين ألفا أو بعشرة آلاف اعطى تسعة آلاف

ذكر طلب الغرماء ما لهم قبلي ومدحي للسلطان وامره بخلاص ديني وتوقف ذلك مدة

وكنت حسبما ذكرته قد استدنت من التجار مالا انفقته في طريقي وما صنعت به الهدية للسلطان وما انفقته في اقامتي فلما أرادوا السفر الى بلادهم ألحوا علي في طلب ديونهم فمدحت السلطان بقصيدة طويلة اولها (طويل)

اليك أمير المؤمنين المبجلا * أتينا نجد السير نحوك في الفلا
فجئت محلا من علائك زائرا * ومغناك كهف للزيارة أهلا
فلو ان فوق الشمس للمجد رتبة * لكنت لاعلاها اماما مؤهلا
فانت الامام الماجد الاوحد الذي * سجاياه حتما أن يقول ويفعلا
ولي حاجة من فيض جودك ارتجي * قضاها وقصدي عند مجدك سهلا
أأذكرها أم قد كفاني حياؤكم * فان حياكم ذكره كان اجملا
فعجل لمن وافى محلك زائرا * قضاديته ان الغريم تعجلا

فقدمتها بين يديه وهو قاعد على كرسي فجعلها على ركبته وامسك طرفها بيده وطرفها الثاني بيدي وكنت اذا أكملت بيتا منها أقول لقاضي القضاة كمال الدين الغزنوي بين معناه لخوند عالم فيبينه ويعجب السلطان وهم يحبون الشعر العربي فلما بلغت الى قولي فعجل لمن وافى البيت قال مرحمة ومعناه ترحمت عليك فاخذ الحجاب حينئذ بيدي ليذهبوا بي الى موقفهم وأخدم على العادة فقال السلطان اتركوه حتى يكملها فاكملتها وخدمت وهناني الناس بذلك وأقمت مدة وكتبت رفعا وهم يسمونه عرض داشت فدفعته الى قطب الملك

صاحب السند فدفعه للسلطان فقال له امض الى خواجه جهان فقل له يعطي دينه فمضى اليه وأعلمه فقال نعم وابطا ذلك اياما وأمره السلطان فى خلالها بالسفر الى دولة آباد وفى اثناء ذلك خرج السلطان الى الصيد وسافر الوزير فلم آخذ شيئاً منها الا بعد مدة والسبب الذى توقف به عطاؤها اذكره مستوفي وهو انه لما عزم الذين كان لهم على الدين الى السفر قلت لهم اذا أنا آتيت دار السلطان فدرهونى على العادة فى تلك البلاد لعلمى ان السلطان متي يعلم بذلك خلصهم وعادتهم انه متى كان لاحد دين على رجل من ذوي العناية وأعوزه خلاصه وقف له بباب دار السلطان فاذا أراد الدخول قال له دروهى السلطان وحق رأس السلطان ما تدخل حتى تخلصني فلا يمكنه ان يبرح من مكانه حتي يخلصه أو يرغب اليه فى تاخيره فاتفق يوما ان خرج السلطان الى زيارة قبر أبيه ونزل بقصر هنالك فقلت لهم هذا وقتكم فلما أردت الدخول وقفوا الى بباب القصر فقالوا لى دروهي السلطان ما تدخل حتى تخلصنا وكتب كتاب الباب بذلك الى السلطان فخرج حاجب قصة شمس الدين وكان من كبار الفقهاء فسالهم لاى شيء درهمتموه فقالوا لنا عليه الدين فرجع الى السلطان فاعلمه بذلك فقال له اسالهم كم مبلغ الدين فسالهم فقالوا له خمسة وخمسون الف دينار فعاد اليه فاعلمه فامره ان يعود اليهم ويقول لهم ان خوند عالم يقول لكم المال عندى وأنا أنصفكم منه فلا تطلبوه به وامر عماد الدين السمنانى وخداوند زاده غياث الدين ان يقعدوا بهزارا سطون ويأتي اهل الدين بعقودهم وينظروا اليها ويتحققوها ففعلا ذلك وأتى الغرماء بعقودهم فدخلا الى السلطان واعلماه بثبوت العقود فضحك وقال ممازحا أنا أعلم انه قاض جهز شغله فيها ثم أمر خداوندزاده ان يعطيني ذلك من الخزانة فطمع فى الرشوة على ذلك وامتنع أن يكتب خط خرد فبعث اليه مائتى تنكة فردها ولم ياخذها وقال لى عنه بعض خدامه انه طلب خمسمائة تنكة فامتنعت من ذلك واعلمت عميد الملك بن عماد الدين السمناني بذلك فاعلم به أباه وعلمه الوزير وكانت بينه وبين خداوندزاده عداوة فاعلم السلطان بذلك وذكر له كثيرا من أفعال خداوندزاده فغير خاطر السلطان عليه فامر بحبسه فى المدينة وقال لاي شيء أعطاه فلان ما أعطاه ووقفوا ذلك حتي يعلم هل يعطى خداوندزاده شيئا اذا منعته أو يمنعه اذا أعطيته فبهذا السبب توقف عطاء ديني

— ذكر خروج السلطان الى الصيد وخروجي معه وماصنعت فى ذلك —

ولما خرج السلطان الى الصيد خرجت معه من غير تربص وكنت قد أعددت مايحتاج اليه وعملت ترتيب أهل الهند فاشتريت سراجة وهي أفراج وضربها هنا لك مباح ولا بد منها لكبار

الناس وتمتاز سراجة السلطان بكونها حمراء وسواها بيضاء منقوشة بالازرق واشتريت الصيوان وهو الذى يظلل به داخل السراجة ويرفع على عمودين كبيرين ويجعل ذلك الرجال على أعناقهم ويقال لهم اليكوانية والعادة هنالك ان يكترى المسافر اليكوانية وقد ذكرناهم ويكتري من يسوق له العشب لعلف الدواب لانهم لا يطعمونها التبن ويكترى الكهارين وهم الذين يحملون أوانى المطبخ ويكترى من يحمله فى الدولة وقد ذكرناها ويحملها فارغة ويكترى الفراشين وهم الذين يضربون السراجة ويفرشونها ويرفعون الاحمال على الجمال ويكتري الدوادوية وهم الذين يمشون بين يديه ويحملون المشاعل بالليل فاكتريت انا جميع من احتجت له منهم واظهرت القوة والهمة وخرجت يوم خروج السلطان وغيرى اقام بعده اليومين والثلاثة فلما كان بعد العصر من يوم خروجه ركب الفيل وقصده أن يتطلع على أحوال الناس ويعرف من تسارع الى الخروج ومن أبطا وجلس خارج السراجة على كرسى فجئت وسلمت ووقفت فى موقفى بالميمنة فبعث الى الملك الكبير قبولة سرجا مدار وهو الذي يشرد الذباب عنه فامرنى بالجلوس عناية بي ولم يجلس فى ذلك اليوم سوائي ثم أتى بالفيل والصق به سلم فركب عليه ورفع الشطر فوق رأسه وركب معه الخواص وجال ساعة ثم عاد الى السراجة وعادته اذا ركب أن يركب الامراء أفواجا كل أمير بفوجه وعلاماته وطبوله وانفاره وصرناياته ويسمون ذلك المراتب ولا يركب امام السلطان الا الحجاب وأهل الطرق والطبالة الذين يتقلدون الاطبال الصغار والذين يضربون الصرنايات ويكون عن يمين السلطان نحو خمسة عشر رجلا وعن يساره مثل ذلك منهم قضاة القضاة والوزير وبعض الامراء الكبار وبعض الاعزة وكنت أنا من أهل ميمنته ويكون بين يديه المشاؤون والادلاء ويكون خلفه علاماته وهي من الحرير المذهب والاطبال على الجمال وخلف ذلك مماليكه وأهل دخلته وخلفهم الامراء وجميع الناس ولا يعلم أحد أين يكون النزول فاذا أمر السلطان بمكان يعجبه النزول به أمر بالنزول ولا تضرب سراجة أحد حتى تضرب سراجته ثم ياتى الموكلون بالنزول فينزلون كل أحد فى منزله وفي خلال ذلك ينزل السلطان على نهر او بين أشجار وتقدم بين يديه لحوم الاغنام والدجاج المسمنة والكراكى وغيرها من أنواع الصيد ويحضر ابناء الملوك وفي يد كل واحد منهم سفود ويوقدون النار ويشترون ذلك ويؤتي بسراجة صغيرة فتضرب للسلطان ويجلس من معه من الخواص خارجها ويؤتى بالطعام ويستدعى من شاء فيا كل معه وكان فى بعض تلك الايام وهو بداخل السراجة يسال عمن بخارجها فقال له السيد ناصر الدين مطهر الاوهرى أحد ندمائه ثم فلان المغربى وهو متغير فقال لماذا فقال

بسبب الدين الذي عليه وغرماؤه يلحون فى الطلب وكان خوند عالم قد أمر الوزير باعطائه فسافر قبل ذلك فان أمر مولانا ان يصبر أهل الدين حتى يقدم الوزير أو أمر بانصافهم وحضر لهذا الملك دولة شاه وكان السلطان يخاطبه بالعم فقال ياخوند عالم كل يوم هو يكلمني بالعربية ولا أدرى مايقول ياسيدى ناصر الدين ماذا وقصدان يكرر ذلك الكلام فقال يتكلم لاجل الدين الذى عليه فقال السلطان اذا دخلنا دار الملك فامض أنت ياأوماروم معناه ياعم الى الخزانة فاعطه ذلك المال وكان خداوندزاده حاضرا فقال ياخوند عالم انه كثير الانفاق وقد رأيته ببلادنا عند السلطان طرمشيرين وبعد هذا الكلام استحضرني السلطان للطعام ولا علم عندي بما جري فلما خرجت قال لى السيد ناصر الدين اشكر للملك دولة شاه وقال لى الملك دولة شاه اشكر لخداوندزاده وفى بعض تلك الايام ونحن مع السلطان فى الصيد ركب فى المحلة وكان طريقه على منزلي وأنا معه فى الميمنة وأصحابى فى الساقة وكان لى خباء عند السراجة فوقف أصحابى عندها وسلموا على السلطان فبعث عماد الملك وملك دولة شاه ليسالا لمن تلك الاخبية والسراجة فقيل لهما لفلان فاخبراه بذلك فتبسم فلما كان بالغد نفذ الامر ان اعود انا وناصر الدين مطهر الاوهرى وابن قاضى مصر وملك صبيح الى البلد فخلع علينا وعدنا الى الحضرة

ـــــ ذكر الجمل الذى أهديته للسلطان ـــــ

وكان السلطان فى تلك الايام سالنى عن الملك الناصر هل يركب الجمل فقلت له نعم يركب المهاري فى أيام الحج فيسير الى مكة من مصر فى عشرة أيام ولكن تلك الجمال ليست كجمال هذه البلاد وأخبرته أن عندى جملا منها فلما عدت الى الحضرة بعثت عن بعض عرب مصر فصور لى صورة الكور الذى تركب المهارى به من القير وأريتها بعض النجارين فعمل الكور وتفقنه وكسوته بالملف وصنعت له ركابا وجعلت على الجمل عباءة حسنة وجعلت له خطام حرير وكان عندى رجل من أهل اليمن يحسن عمل الحلواء فصنع منها مايشبه التمر وغيره وبعثت الجمل والحلواء الى السلطان وأمرت الذى حملها أن يدفعها على يد ملك دولة شاه وبعثت له بفرس وجملين فلما وصله ذلك دخل على السلطان وقال ياخوند عالم رأيت العجب قال وماذلك قال فلان بعث جملا عليه سرج فقال ائتوا به فادخل الجمل داخل السراجة وأعجب به السلطان وقال لراجلى اركبه فركبه ومشاه بين يديه وأمر له بمائتى دينار دراهم وخلعة وعاد الرجل الى فاعلمني فسرنى ذلك واهديت له جملين بعد عودته الى الحضرة

ـــــ ذكر الجملين اللذين اهديتهما اليه والحلواء وأمره بخلاص ديني وما تعلق بذلك ـــــ

ولما عادالى راجلى الذي بعثته بالجمل فاخبرني بما كان من شانه صنعت كورين اثنين وجعلت مقدم كل واحد ومؤخره مكسوا بصفائح الفضة المذهبة وكسوتهما بالملف وصنعت رسنا مصفحا بصفائح الفضة وجعلت لهما جلين من زردخانة مبطنين بالكمخا وجعلت للجملين الخلاخيل من الفضة المذهبة وصنعت احد عشر اطيفورا وملأتها بالحلواء وغطيت كل طيفور بمنديل حرير فلما قدم السلطان من الصيد وقعد ثاني يوم قدومه بموضع جلوسه العام غدوت عليه بالجمال فامربها فحركت بين يديه وهرولت فطار خلخال أحدها فقال لبهاء الدين بن الفلكي بايل ورداري معنى ذلك ارفع الخلخال فرفعه ثم نظر الى الطيافير فقال جداري (جه دارى) درآن طبقها حلوا است معنى ذلك ما معك في تلك الاطباق حلواء هي فقلت له نعم فقال للفقيه ناصر الدين الترمذي الواعظ ما أكلت قط ولا رأيت مثل الحلواء التي بعثها الينا ونحن بالمعسكر ثم أمر بتلك الطيافير ان ترفع لموضع جلوسه الخاص فرفعت وقام الى مجلسه واستدعاني وأمر بالطعام فاكلت ثم سالني عن نوع من الحلواء الذي بعثت له قبل فقلت له ياخوند عالم تلك الحلواء أنواعها كثيرة ولا أدرى عن أى نوع تسالون منها فقال إيتوا بتلك الاطباق وهم يسمون الطيفور طبقا فاتوا بها وقدموها بين يديه وكشفوا عنها فقال عن هذا سالتك وأخذ الصحن الذي هي فيه فقلت له هذه يقال لها المقرصة ثم أخذ نوعا آخر فقال وما اسم هذه فقلت له هي لقيمات القاضي وكان بين يديه تاجر من شيوخ بغداد يعرف بالسامري وينتسب الى آل العباس رضى الله تعالى عنه وهو كثير المال ويقول له السلطان والدي فحسدني واراد ان يخجلني فقال ليست هذه لقيمات القاضي بل هي هذه واخذ قطعة من التي تسمى جلد الفرس وكان بازائه ملك الندماء ناصر الدين الكافي الهروى وكان كثيرا ما يمازح هذا الشيخ بين يدى السلطان فقال له ياخواجه انت تكذب والقاضي يقول الحق فقال له السلطان وكيف ذلك فقال ياخوند عالم هو القاضي وهي لقيماته فانه أتى بها فضحك السلطان وقال صدقت فلما فرغنا من الطعام أكل الحلواء ثم شرب الفقاع بعد ذلك واخذنا التنبول وانصرفنا فلم يكن غير هنية واتاني الخازن فقال ابعث أصحابك يقبضون المال فبعثتهم وعدت الى دارى بعد المغرب فوجدت المال بها وهو ثلاث بدر فيها ستة آلاف ومائتان وثلاث وثلاثون تنكة وذلك صرف الخمسة والخمسين ألفا التي هي دين على وصرف الاثنى عشر الفا التي أمر لى بها فيما تقدم بعد حط العشر على عادتهم وصرف التنكة ديناران ونصف دينار من ذهب المغرب

ذكر خروج السلطان وامره لى بالاقامة بالحضرة

وفى تاسع جمادى الاولى خرج السلطان برسم قصد بلاد المعبر وقتال القائم بها وكنت قد خلصت أصحاب الدين وعزمت على السفر وأعطيت مرتب تسعة أشهر للكهارين والفراشين والكيوانية والدوادرية وقد تقدم ذكرهم فخرج الامر باقامتى فى جملة ناس وأخذ الحاجب خطوطنا بذلك لتكون حجة له وتلك عادتهم خوفا من أن ينكر المبلغ وأمر لى بستة آلاف دينار دراهم وأمر لابن قاضى مصر بعشرة آلاف وكذلك كل من أقام من الاعزة وأما البلديون فلم يعطوا شيئا وأمر لى السلطان أن أتولى النظر فى مقبرة السلطان قطب الدين الذي تقدم ذكره وكان السلطان يعظم تربته تعظيما شديدا لانه كان خديما له ولقد رأيته اذا أتي قبره يأخذ نعله فيقبله ويجعله فوق رأسه وعادتهم أن يجعلوا نعل الميت عند قبره فوق متكاة وكان اذا وصل القبر خدم له كما كان يخدم أيام حياته وكان يعظم زوجته ويدعوها بالاخت وجعلها مع حرمه وزوجها بعد ذلك لابن قاضى مصر واعتني به من اجلها وكان يمضى لزيارتها فى كل جمعة ولما خرج السلطان بعث عنا للوداع فقام ابن قاضي مصر فقال أنا لا أودع ولا أفارق خوند عالم فكان له فى ذلك الخير وقال له السلطان امض فتجهز للسفر وقدمت بعده للوداع وكنت أحب الاقامة ولم تكن عاقبتها محمودة فقال مالك من حاجة فاخرجت بطاقة فيها ست مسائل فقال لي تكلم بلسانك فقلت له إن خوند عالم أمرلى بالقضاء وماقعدت لذلك بعد وليس مرادي من القضاء الا حرمته فامرنى بالقعود للقضاء وقعود النائبين معي ثم قال لى إيه فقلت وروضة السلطان قطب الدين ماذا أفعل بها فانى رتبت فيها اربعمائة وستين شخصا ومحصول أوقافها لا يفى بمرتباتهم وطعامهم فقال للوزير پنجاه هزار ومعناه خمسون ألفا ثم قال لا بد لك من غلة بدية يعنى أعطه مائة الف من المغلة وهي القمح والارز ينفقها فى هذه السنة حتي تاتى غلة الروضة والمن عشرون رطلا مغربية ثم قال لى وماذا أيضا فقلت ان أصحابى سجنوا بسبب القرى التي أعطيتمونى فانى عوضتها بغيرها فطلب أهل الديوان ما وصلني منها أو الاستظهار بامر خوند عالم ان يرفع عني ذلك فقال كم وصلك منها فقلت خمسة آلاف دينار فقال هي انعام عليك فقلت له ودارى التى أمرتم لى بها مفتقرة الي البناء فقال للوزير عمارة كنيد أى معناه عمروها ثم قال لى ديكر نماند فقلت له معناه هل بقي لك كلام فقال لى وصية ديكر هست معناه أوصيك أن لا تاخذ الدين لئلا تطلب فلا تجد من يبلغ خبرك الى انفق على قدر ما أعطيتك قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكلوا واشربوا ولا تسرفوا والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما

فاردت ان أقبل قدمه فمنعني وأمسك رأسي بيده فقبلتها وانصرفت وعدت الى الحضرة فاشتغلت بعمارة داري وأنفقت فيها أربعة آلاف دينار أعطيت منها من الديوان ستمائة دينار وزدت عليها الباقي وبنيت بازائها مسجدا واشتغلت بترتيب مقبرة السلطان قطب الدين وكان السلطان قد أمران تبنى عليه قبة يكون ارتفاعها فى الهواء مائة ذراع بزيادة عشرين ذراعا على ارتفاع القبة المبنية على قازان ملك العراق وأمر أن تشترى ثلاثون قرية تكون وقفا عليها وجعلها بيدى على ان يكون لى العشر من فائدها على العادة

ذكر مافعلته فى ترتيب المقبرة

وعادة أهل الهند أن يرتبوا لاموانهم ترتيبا كترتيبهم بقيد الحياة ويؤتي بالفيلة والخيل فتربط عند باب التربة وهي مزينة فرتبت انا فى هذه التربة بحسب ذلك ورتبت من قراء القرآن مائة وخمسين وهم يسمونهم الختميين ورتبت من الطلبة ثمانين ومن المعيدين ويسمونهم المكررين ثمانية ورتبت لها مدرسا ورتبت من الصوفية ثمانين ورتبت الامام والمؤذنين والقراء بالاصوات الحسان والمداحين وكتاب الغيبة والمعرفين وجميع هؤلاء يعرفون عندهم بالاربابيه ورتبت صنفا آخر يعرفون بالحاشية وهم الفراشون والطباخون والدوادوية والابدارية وهم السقاؤون والشربدارية الذين يسقون الشربة والتنبول دارية الذين يعطون التنبول والسلحدارية والنيز دارية والشطرداوية والطشت دارية والحجاب والنقباء فكان جميعهم أربعمائة وستين وكان السلطان أمر أن يكون الطعام بها كل يوم اثني عشر منا من الدقيق ومثلها من اللحم فرأيت ان ذلك قليل والزرع الذى أمر به كثير فكنت أنفق كل يوم خمسة وثلاثين منا من الدقيق ومثلها من اللحم مع ما يتبع ذلك من السكر والنبات والسمن والتنبول وكنت أطعم المرتبين وغيرهم من صادر ووارد وكان الغلاء شديدا فارتفق الناس بهذا الطعام وشاع خبره وسافر الملك صبيح الى السلطان بدولة آباد فسأله عن حال الناس فقال له لو كان بدهلى اثنان مثل فلان لما شكا الجهد فاعجب ذلك السلطان وبعث الي بخلعة من ثيابه وكنت أصنع فى المواسم وهى العيدان والمولد الكريم ويوم عاشوراء وليلة النصف من شعبان ويوم وفاة السلطان قطب الدين مائة من من الدقيق ومثلها لحما فيأكل منها الفقراء والمساكين وأما أهل الوظيفة فيجعل امام كل انسان منهم ما يخصه ولنذكر عادتهم فى ذلك

ذكر عادتهم فى اطعام الناس فى الولائم

وعادتهم ببلاد الهند وببلاد السرا انه اذا فرغ من أكل الطعام فى الوليمة جعل أمام كل انسان من الشرفاء والفقهاء والمشايخ والقضاة وعاء شبه المهد له أربع قوائم منسوج سطحه

من الخوص وجعل عليه الرقاق وراس غنم مشوى وأربعة أقراص معجونة بالسمن مملوءة بالحلواء الصابونية مغطاة باربع قطع من الحلواء كانها الآجر وطبقا صغيرا مصنوعا من الجلد فيه الحلواء والسموسك ويغطى ذلك الوعاء بثوب قطن جديد ومن كان دون من ذكرناه جعل أمامه نصف رأس غنم ويسمونه الزلة ومقدار النصف مما ذكرناه ومن كان دون هؤلاء أيضا جعل أمامه مثل الربع من ذلك ويرفع رجال كل أحد ما جعل أمامه وأول ما رأيتهم يصنعون هذا بمدينة السرا حضرة السلطان أوزبك فامتنعت أن يرفع رجالى ذلك اذ لم يكن لى به عهد وكذلك يبعثون أيضا لدار كبراء الناس من طعام الولائم

ذكر خروجى الى هزار أمروها

وكان الوزير قد أعطاني من الغلة المامور بها للزاوية عشرة آلاف من ونفذ لى الباقي فى هزار أمروها وكان والى الخراج بها عزيز الخمار وأميرها شمس الدين البذخشانى فبعثت رجالى فاخذوا بعض الاحالة وتشكوا من تعسف عزيز الخمار فخرجت بنفسى لاستخلاص ذلك وبين دهلى وهذه العمالة ثلاثة أيام وكان ذلك اوان نزول المطر فخرجت فى نحو ثلاثين من اصحابى واستصحبت معى اخوين من المغنيين المحسنين يغنيان لى فى الطريق فوصلنا الى بلدة بجنور وضبط اسمها (بكسر الباء الموحدة وسكون الجيم وفتح النون وآخره راء) فوجدت بها ايضا ثلاثة إخوة من المغنيين فاستصحبتهم فكانوا يغنون لى نوبة والآخران نوبة ثم وصلنا الى امروها وهى بلدة صغيرة حسنة فخرج عمالها اللقائى وجاء قاضيها الشريف أمير على وشيخ زاويتها وأضافاني معا ضيافة حسنة وكان عزيز الخمار بموضع يقال افغان بور على نهر السرو وبيننا وبينه النهر ولا معدية فيه فاخذنا الاثقال في معدية صنعناها من الخشب والنبات وجزنا فى اليوم الثاني وجاء نجيب أخو عزيز فى جماعة من اصحابه وضرب لنا سراجة ثم جاء اخوه الى الوالى وكان معروفا بالظلم وكانت القرى التى فى عمالته الفا وخمسمائة قرية ومجباها ستون لكا فى السنة له فيها نصف العشر ومن عجائب النهر الذي نزلنا عليه انه لا يشرب منه احد فى ايام نزول المطر ولا تسقى منه دابة ولقد اقمنا عليه ثلاثا فما غرف منه احد غرفة ولا كدنا نقرب منه لانه ينزل من جبل قراجيل التي بها معادن الذهب ويمر على الحشاش المسمومة فمن شرب منه مات وهذا الجبل متصل مسيرة ثلاثة اشهر وينزل منه الى بلاد تبت حيث غزلان المسك وقد ذكرنا ما اتفق على جيش المسلمين بهذا الجبل وبهذا الموضع جاء الى جماعة من الفقراء الحيدرية وعملوا السماع وأوقدوا النيران فدخلوها ولم تضرهم وقد ذكرنا ذلك وكانت قد نشات بين امير هذه

البلاد شمس الدين البذخشاني وبين واليها عزيز الخمار منازعة وجاء شمس الدين لقتاله فامتنع منه بداره وبلغت شكاية أحدهما الوزير بدهلي فبعث الى الوزير والى الملك شاه أمير المماليك بامروها وهم أربعة آلاف مملوك للسلطان والى شهاب الدين الرومي أن ننظر في قضيتهما فمن كان على الباطل بعثناه مثقفا الى الحضرة فاجتمعوا جميعا بمنزلى وادعى عزيز على شمس الدين دعاوى منها أن خديماله يعرف بالرضي الملتاني نزل بدار خازن عزيز المذكور فشرب بها الخمر وسرق خمسة آلاف دينار من المال الذى عند الخازن فاستفهمت الرضى عن ذلك فقال لى ماشربت الخمر منذ خروجى من ملتان وذلك ثمانية أعوام فقلت له أو شربتها بملتان قال نعم فامرت بجلده ثمانين وسجنته بسبب الدعوى للوث ظهر عليه وانصرفت عن أمروها وكانت غيبتى نحو شهرين وكنت فى كل يوم أذبح لاصحابي بقرة وتركت أصحابي ليأتوا بالزرع المنفذ على عزيز وحمله عليه فوزع على أهل القري التى لنظره ثلاثين ألف من يحملونها على ثلاثة آلاف بقرة وأهل الهند لايحملون الا على البقر وعليه يرفعون اثقالهم فى الاسفار وركوب الحمير عندهم عيب كبير وحميرهم صغار الاجرام يسمونها اللاشة واذا أرادوا إشهار أحد بعد ضربه اركبوه الحمار

— ذكر مكرمة لبعض الاصحاب —

وكان السيد ناصر الدين الاوهرى قد ترك عندي لما سافر ألفا وستين تنكة فتصرفت فيها فلما عدت الى دهلي وجدته قد أحال فى ذلك المال خداوندزاده قوام الدين وكان قدم نائبا عن الوزير فاستقبحت ان أقول له تصرفت فى المال فاعطيته نحو ثلثه واقمت بداري أياما وشاع أني مرضت فاتى ناصر الدين الخوارزمى صدر الجهان لزيارتى فلما رآنى قال ماأرى بك مرضا فقلت له انى مريض القلب فقال لى عرفنى بذلك فقلت له ابعث الى نائبك شيخ الاسلام أعرفه به فبعثه الى فاعلمته فعاد اليه فاعلمه فبعث الى بالف دينار دراهم وكان له عندى قبل ذلك ألفا ثانيا ثم طلب منى بقية المال فقلت فى نفسي مايخلصنى منه الا صدر الجهان المذكور لانه كثير المال فبعثت اليه بفرس مسرج قيمته وقيمة سرجه ألف وستمائة دينار وبفرس ثان قيمته وقيمة سرجه ثمانمائة دينار وببغلتين قيمتهما الف ومائتا دينار وبتركش فضة وبسيفين غمداهما مغشيان بالفضة وقلت له انظر قيمة الجميع وابعث الى ذلك فاخذ ذلك وعمل لجميعه قيمة ثلاثة آلاف دينار فبعث الى ألفا واقتطع الالفين فتغير خاطري ومرضت بالحمى وقلت فى نفسى ان شكوت به الى الوزير افتضحت فاخذت خمسة افراس وجاريتين ومملوكين وبعثت الجميع للملك مغيث الدين محمد بن ملك الملوك عماد الدين السمنانى

وهو فتى مسن فرد على ذلك وبعث الى مائتى تنكة واغزر وخلصت من ذلك المال فشتان بين فعل محمد ومحمد

ــــ ذكر خروجى الى محلة السلطان ــــ

وكان السلطان لما توجه الى بلاد المعبر وصل الى التلنك ووقع الوباء بعسكره فعاد الى دولة آباد ثم وصل الى نهر الكنك فنزل عليه وأمر الناس بالبناء وخرجت فى تلك الايام الى محلته واتفق ماسرد ناه من مخالفة عين الملك ولازمت السلطان فى تلك الايام واعطاني من عتاق الخيل لما قسمها على خواصه وجعلني فيهم وحضرت معه الوقيعة على عين الملك والقبض عليه وجزت معه نهر الكنك ونهر السرو ولزيارة قبر الصالح البطل سالار عود (مسعود) وقد استوفيت ذلك كله وعددت معه الى حضرة دهلى لما عاد اليها

ــــ ذكر ماهم به السلطان من عقابى وما تداركنى من لطف الله تعالى ــــ

وكان سبب ذلك انى ذهبت يوما لزيارة الشيخ شهاب الدين ابن الشيخ الجام بالغار الذي احتفره خارج دهلى وكان قصدى رؤية ذلك الغار فلما أخذه السلطان سال أولاده عمن كان يزوره فذكروا اناسا أنا من جملتهم فامر السلطان أربعة من عبيده بملازمتى بالمشور وعادته انه متي فعل ذلك مع أحد قلما يتخلص فكان أول يوم من ملازمتهم لى يوم الجمعة فالهمني الله تعالى الى تلاوة قوله حسبنا الله ونعم الوكيل فقرأتها ذلك اليوم ثلاثة وثلاثين الف مرة وبت بالمشور وواصلت الى خمسة أيام فى كل يوم منها اختم القرآن وافطر علي الماء خاصة ثم افطرت بعد خمس وواصلت اربعا وتخلصت بعد قتل الشيخ والحمد لله تعالى

ــــ ذكر انقباضي عن الخدمة وخروجى عن الدنيا ــــ

ولما كان بعد مدة انقبضت عن الخدمة ولازمت الشيخ الامام العالم العابد الزاهد الخاشع الورع فريد الدهر ووحيد العصر كمال الدين عبد الله الغارى وكان من الاولياء وله كرامات كثيرة قد ذكرت منها ماشاهدته عند ذكر اسمه وانقطعت الى خدمة هذا الشيخ ووهبت ماعندي للفقراء والمساكين وكان الشيخ يواصل عشرة أيام وربما واصل عشرين فكنت أحب أن أواصل فكان ينهانى ويامرنى بالرفق على نفسى فى العبادة ويقول لى ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وظهر لى من نفسى تكاسل بسبب شىء بقى معى فخرجت عن جميع ماعندي من قليل وكثير واعطيت ثياب ظهرى لفقير ولبست ثيابه ولزمت هذا الشيخ خمسة أشهر والسلطان اذ ذاك غائب ببلاد السند

ــــ ذكر بعث السلطان عني واباءتي عن الرجوع الى الخدمة واجتهادى فى العبادة ــــ

ولما بلغ السلطان خبر خروجي عن الدنيا استدعاني وهو يومئذ بسيوستان فدخلت عليه فى

ذى الفقراء فكلمني أحسن كلام وألطفه واراد مني الرجوع الى الخدمة فابيت وطلبت منه الاذن فى السفر الى الحجاز فاذن لى فيه وانصرفت عنه ونزلت بزاوية تعرف بالنسبة الى الملك بشير وذلك فى اواخر جمادى الثانية سنة ثنتين واربعين فاعتكفت بها شهر رجب وعشرة من شعبان وانتهيت الى مواصلة خمسة أيام وافطرت بعدها على قليل أرز دون إدام وكنت أقرأ القرآن كل يوم واتهجد بما شاء الله وكنت اذا أكلت الطعام أذانى فاذا طرحته وجدت الراحة وأقمت كذلك اربعين يوما ثم بعث عي ثانية

— ذكر ما أمرني به من التوجه الى الصين فى الرسالة —

ولما كملت لى اربعون يوما بعث الى السلطان خيلا مسرجة وجوارى وغلمانا وثيابا ونفقة فلبست ثيابه وقصدته وكانت لي جبة قطن زرقاء مبطنة لبستها ايام اعتكافى فلما جردتها ولبست ثياب السلطان انكرت نفسي وكنت متي نظرت الى تلك الجبة اجد نورا فى باطني ولم تزل عندي الى ان سلبني الكفار فى البحر ولما وصلت الى السلطان زاد فى اكرامى على ما كنت أعهده وقال لى انما بعثت اليك لتتوجه عني رسولا الى ملك الصين فانى أعلم حبك فى الاسفار والجولان فجهزني بما احتاج له وعين للسفر معي من يذكر بعد

— ذكر سبب بعث الهدية للصين وذكر من بعث معي وذكر الهدية —

وكان ملك الصين قد بعث الى السلطان مائة مملوك وجارية وخمسمائة ثوب من الكمخا منها مائة من التى تصنع بمدينة الزيتون ومائة من التى تصنع بمدينة الخنسا وخمسة أمنان من المسك وخمسة اثواب مرصعة بالجوهر وخمسة من التراكش مزركشة وخمسة سيوف وطلب من السلطان أن يأذن له فى بناء بيت الاصنام الذى بناحية جبل قراجيل المتقدم ذكره ويعرف الموضع الذى هو به بسمهل (بفتح السين المهمل وسكون الميم وفتح الهاء) واليه يحج أهل الصين وتغلب عليه جيش الاسلام بالهند فخربوه وسلبوه فلما وصلت هذه الهدية الى السلطان كتب اليه بان هـذا المطلب لا يجوز في ملة الاسلام اسعافه ولا يباح بناء كنيسة بارض المسلمين الا لمن يعطى الجزية فان رضيت باعطائها أبحنا لك بناءه والسلام على من اتبع الهدي وكافاه عن هديته بخير منها وذلك مائة فرس من الجياد مسرجة ملجمة ومائة مملوك ومائة جارية من كفار الهند مغنيات ورواقص ومائة ثوب بيرمية وهى من القطن ولا نظير لها فى الحسن قيمة الثوب منها مائة دينار ومائة شقة من ثياب الحرير المعروفة بالجز (بضم الجيم وزاى) وهي التى يكون حرير احداها مصبوغا بخمسة الوان واربعة ومائة ثوب من الثياب المعروفة بالصلاحية ومائة ثوب من الشيرين باف ومائة ثوب من الشان باف وخمسمائة ثوب من

المرعزمائة منها سود ومائة بيض ومائة حمر ومائة خضر ومائة زرق ومائة شقة من الكتان الرومي ومائة فضلة من الملف وسراجة وست من القباب واربع حسك من ذهب وست حسك من فضة منيلة واربع طسوت من الذهب ذات اباريق كمثلها وستة طسوت من الفضة وعشر خلع من ثياب السلطان مزركشة وعشر شواش من لباسه إحداها مرصعة بالجوهر وعشرة تراكش مزركشة وأحدها مرصع بالجوهر وعشرة من السيوف احدها مرصع الغمد بالجوهر ودشت بان (دستبان) وهو قفاز مرصع بالجوهر وخمسة عشر من الفتيان وعين السلطان للسفر معي بهذه الهدية الامير ظهير الدين الزنجاني وهو من فضلاء أهل العلم والفتي كافور الشربدار واليه سلمت الهدية وبعث معنا الامير محمدا الهروى فى الف فارس ليوصلنا الى الموضع الذى نركب منه البحر وتوجه صحبتنا ارسال ملك الصين وهم خمسة عشر رجلا يسمي كبيرهم ترسي وخدامهم نحو مائة رجل وانفصلنا فى جمع كبير ومحلة عظيمة وامر لنا السلطان بالضيافة مدة سفرنا ببلاده وكان سفرنا فى السابع عشر اشهر صفر سنة ثلاث واربعين وهو اليوم الذى اختاروه للسفر لانهم يختارون للسفر من ايام الشهر ثانيه اوسابعه اوالثانى عشر اوالسابع عشر اوالثانى والعشرين أوالسابع والعشرين فكان نزولنا فى اول مرحلة بمنزل تلبت على مسافة فرسخين وثلث من حضرة دهلى ورحلنا منها الى منزل أو ورحلنا منه الى منزل هيلو ورحلنا منه الى مدينة بيانة (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وفتح الياء آخر الحروف مع تخفيفها وفتح النون) مدينة كبيرة حسنة البناء مليحة الاسواق ومسجدها الجامع من ابدع المساجد وحيطانه وسقفه حجارة والامير بها مظفر بن الداية وأمه هي داية للسلطان وكان بها قبله الملك مجير بن أبي الرجاء احد كبار الملوك وقد تقدم ذكره وهو ينتسب فى قريش وفيه تجبر وله ظلم كثير قتل من اهل هذه المدينة جملة ومثل بكثير منهم ولقد رأيت من أهلها رجلا حسن الهيئة قاعدا فى اسطوان منزله وهو مقطوع اليدين والرجلين وقدم السلطان مرة على هذه المدينة فتشكى الناس من الملك مجير المذكور فامر السلطان بالقبض عليه وجعلت في عنقه الجامعة وكان يقعد بالديوان بين يدى الوزير وأهل البلد يكتبون عليه المظالم فامره السلطان بارضائها فارضاهم بالاموال ثم قتله بعد ذلك ومن كبار اهل هذه المدينة الامام العالم عز الدين الزبيرى من ذرية الزبير بن العوام رضي الله عنه أحد كبار الفقهاء الصلحاء لقيته بكاليور عند الملك عز الدين البنتاني المعروف باعظم ملك ثم رحلنا من بيانة فوصلنا الى مدينة كول (وضبط اسمها بضم الكاف) مدينة حسنة ذات بساتين واكثر أشجارها العنبا ونزلنا بخارجها فى بسيط

أفيح ولقينا بها الشيخ الصالح العابد شمس الدين المعروف بابن تاج العارفين وهو مكفوف البصر معمر وبعد ذلك سجنه السلطان ومات في سجنه وقد ذكرنا حديثه

— ذكر غزوة شهدناها بكول —

ولما بلغنا الى مدينة كول بلغنا أن بعض كفار الهنود حاصروا بلدة الجلالى واحاطوا بها وهي على مسافة سبعة من كول فقصدناها والكفار يقاتلون أهلها وقد أشرفوا على التلف ولم يعلم الكفار بنا حتى صدقنا الحملة عليهم وهم في نحو الف فارس وثلاثة آلاف راجل فقتلناهم عن آخرهم واحتوينا على خيلهم واسلحتهم واستشهد من أصحابنا ثلاثة وعشرون فارسا وخمسة وخمسون راجلا واستشهد الفتى كافور الساقى الذى كانت الهدية مسلمة بيده فكتبنا الى السلطان بخبره وأقمنا في انتظار الجواب وكان الكفار في أثناء ذلك ينزلون من جبل هنالك منيع فيغيرون على نواحي بلدة الجلالى وكان اصحابنا يركبون كل يوم مع أمير تلك الناحية ليعينوه على مدافعتهم

— ذكر محنتي بالاسر وخلاصى منه وخلاصى من شدة بعده على يد ولى من أولياء الله تعالى —

وفى بعض تلك الايام ركبت في جماعة من أصحابي ودخلنا بستانا نقيل فيه وذلك فصل القيظ فسمعنا الصياح فركبنا ولحقنا كفارا أغاروا على قرية من قرى الجلالى فاتبعناهم فتفرقوا وتفرق أصحابنا في طلبهم وانفردت في خمسة من أصحابنا فخرج علينا جملة من الفرسان والرجال من غيضة هنالك ففررنا منهم لكثرتهم واتبعني نحو عشرة منهم ثم انقطعوا عني الا ثلاثة منهم ولا طريق بين يدي وتلك الارض كثيرة الحجارة فنشبت يدا فرسى بين الحجارة فنزلت عنه واقتلعت يده وعدت الى ركوبه والعادة بالهند ان يكون مع الانسان سيفان أحدهما معلق بالسرج ويسمي الركابى والآخر في التركش فسقط سيفي الركابي من غمده وكانت حليته ذهبا فنزلت فاخذته وتقلدته وركبت وهم في أثرى ثم وصلت الى خندق عظيم فنزلت ودخلت في جوفه فكان آخر عهدى بهم ثم خرجت الى وادفى وسط شعراء ملتفة في وسطها طريق فمشيت عليه ولا اعرف منهاه فبينا أنا في ذلك خرج على نحو أربعين رجلا من الكفار بايديهم القسي فاحدقوا بي وخفت أن يرمونى رمية رجل واحد ان فررت منهم وكنت غير متدرع فالقيت بنفسى الى الارض واستاسرت وهم لا يقتلون من فعل ذلك فاخذوني وسلبوني جميع ما على غير جبة وقميص وسروال ودخلوا بي الى تلك الغابة فانتهوا بى الى موضع جلوسهم منها على حوض ماء بين تلك الاشجار وأتوني بخبز ماش وهو الجلبان فاكلت منه وشربت من الماء وكان معهم مسلمان كلمانى بالفارسية وسالاني عن شانى فاخبرتهما ببعضه

وكتمتهما انى من جهة السلطان فقالا لى لابد ان يقتلك هؤلاء او غيرهم ولكن هذا مقدمهم
واشاروا الى رجل منهم فكلمته بترجمة المسلمين و تلطفت له فوكل بي ثلاثة منهم احدهم
شيخ ومعه ابنه والآخر أسود خبيث وكلمني اولئك الثلاثة ففهمت منهم انهم أمروا بقتلي
واحتملوني عشي النهار الى كهف وسلط الله على الاسود منهم حمى مرعدة فوضع رجليه
على و نام الشيخ وابنه فلما أصبح تكلموا فيما بينهم واشاروا الى بالنزول معهم الى الحوض
وفهمت انهم يريدون قتلى فكلمت الشيخ وتلطفت اليه فرق لى وقطعت كمي قميصي واعطيته
اياهما لكي لا ياخذه اصحابه فى ان فررت ولما كان عند الظهر سمعنا كلاما عند الحوض فظنوا
انهم اصحابهم فاشاروا الى بالنزول معهم فنزلنا ووجدنا قوما آخرين فاشاروا عليهم ان يذهبوا
فى صحبتهم فابوا وجلس ثلاثتهم امامي وانا مواجه لهم ووضعوا حبل قنب كان معهم بالارض
وانا أنظر اليهم وأقول فى نفسي بهذا الحبل يربطونني عند القتل وأقمت كذلك ساعة ثم جاء
ثلاثة من أصحابهم الذين أخذوني فتكلموا معهم وفهمت انهم قالوا لهم لاى شىء ما قتلتموه
فاشار الشيخ الى الاسود كانه اعتذر بمرضه وكان أحد هؤلاء الثلاثة شابا حسن الوجه فقال لى
أتريد ان اسرحك فقلت نعم فقال اذهب فاخذت الجبة التى كانت على فاعطيته اياها واعطاني
منيرة بالية عنده واراني الطريق فذهبت وخفت ان يبدو لهم فيدركوني فدخلت غيضة
قصب واختفيت فيها الى ان غابت الشمس ثم خرجت وسلكت الطريق التي أرانيها الشاب
فافضت بى الى ماء فشربت منه وسرت الى ثلث الليل فوصلت الى جبل فنمت تحته فلما
أصبحت سلكت الطريق فوصلت ضحى الى جبل من الصخر عال فيه شجر أم غيلان
والسدر فكنت أجني النبق فآكله حتى أثر الشوك فى ذراعي آثارا هى باقية به حتي الآن
ثم نزلت من ذلك الجبل الى أرض مزدرعة قطنا وبها أشجار الخروع وهنالك باين والباين
عندهم بئر متسعة جدا مطوية بالحجارة لها درج ينزل عليها الي ورد الماء وبعضها يكون في
وسطه وجوانبه القباب من الحجر والسقائف والمجالس ويتفاخر ملوك البلاد وامراؤها
بعمارتها فى الطرقات التى لا ماء بها وسنذكر بعد ما رأيناه منها فيما بعد ولما وصلت الى الباين
شربت منه ووجدت عليه شيا من عسا ليج الخردل قد سقطت لمن غسلها فاكلت منها
وادخرت باقيها ونمت تحت شجرة خروع فبينما انا كذلك اذ ورد الباين نحو أربعين فارسا
مدرعين فدخل بعضهم الى المزرعة ثم ذهبوا وطمس الله ابصارهم دوني ثم جاء بعدهم
نحو خمسين فى السلاح ونزلوا الى الباين واتى أحدهم الى شجرة ازاء الشجرة التي كنت
تحتها فلم يشعر بى ودخلت اذذاك فى مزرعة القطن وأقمت بها بقية نهاري وأقاموا على الباين

يغسلون ثيابهم و يلعبون فلما كان الليل هدأت أصواتهم فعلمت انهم قدمروا أوناموا فخرجت حينئذ واتبعت أثر الخيل والليل مقمر وسرت حتى انتهيت الى باين آخر عليه قبة فنزلت اليه وشربت من مائه وأكلت من عسا ليج الخردل التي كانت عندى ودخلت القبة فوجدتها مملوءة بالعشب مما يجمعه الطير فنمت بها وكنت أحس حركة حيوان فى تلك العشب أظنه حية فلا أبالى بها لما بى من الجهد فلما أصبحت سلكت طريقا واسعة تفضي الى قرية خربة وسلكت سواها فكانت كمثلها وأقمت كذلك أياما وفى بعضها وصلت الى أشجار ملتفة بينها حوض ماء وداخلها شبه بيت وعلى جوانب الحوض نبات الارض كالنجيل وغيره فاردت ان أقعد هنالك حتى يبعث الله من يوصلني الى العمارة ثم اني وجدت يسير قوة فنهضت على طريق وجدت بها أثر البقر ووجدت ثورا عليه بردعة ومنجل فاذا تلك الطريق تفضى الى قرى الكفار فاتبعت طريقا أخرى فافضت بي الى قرية خربة ورأيت بها أسودين عريانين فخفتهما وأقمت تحت أشجار هنالك فلما كان الليل دخلت القرية ووجدت دارا فى بيت من بيوتها شبه خابية كبيرة يصنعونها لاختزان الزرع وفى أسفلها نقب يسع منه الرجل فدخلتها ووجدت داخلها مفروشا بالتبن وفيه حجر جعلت رأسى عليه ونمت وكان فوقها طائر يرفرف بجناحيه أكثر الليل وأظنه كان يخاف فاجتمعنا خائفين وأقمت على تلك الحال سبعة أيام من يوم اسرت وهو يوم السبت وفى السابع منها وصلت الى قرية للكفار عامرة وفيها حوض ماء ومنابت خضر فسألتهم الطعام فأبوا أن يعطونى فوجدت حول بئر بها أوراق فجل فاكلته وجئت القرية فوجدت جماعة كفار لهم طليعة فدعاني طليعتهم فلم أجبه وقعدت الى الارض فاتى أحدهم بسيف مسلول ورفعه ليضربنى به فلم ألتفت اليه لعظيم ما بى من الجهد ففتشني فلم يجد عندى شيئاً فاخذ القميص الذى كنت أعطيت كميه للشيخ الموكل بى ولما كان فى اليوم الثامن اشتد بي العطش وعدمت الماء ووصلت الى قرية خراب فلم أجد بها حوضا وعادتهم بتلك القرى ان يصنعوا أحواضا يجتمع به ماء المطر فيشربون منه جميع السنة فاتبعت طريقا فأفضت بي الى بئر غير مطوية عليها حبل مصنوع من نبات الارض وليس فيه آنية يستقي بها فربطت خرقة كانت على رأسى فى الحبل وامتصصت ما تعلق بها من الماء فلم يروني فربطت خفي واستقيت به فلم يرونى فاستقيت به ثانيا فانقطع الحبل ووقع الخف فى البئر فربطت الخف الآخر وشربت حتى رويت ثم قطعته فربطت أعلاه على رجلي بحبل البئر وبخرق وجدتها هنالك فبينا أنا أربطها وأفكر فى حالى اذ لاح لى شخص فنظرت اليه فاذا رجل أسود اللون بيده ابريق وعكاز وعلى كاهله جراب فقال لى سلام

عليكم فقلت له عليكم السلام و رحمة الله و بركاته فقال لى بالفارسية جيكس (جه كسي)
معناه من أنت فقلت له أنا تائه فقال لى و أنا كذلك ثم ربط إبريقه بحبل كان معه و استقى ماء
فأردت ان أشرب فقال لى اصبر ثم فتح جرابه فاخرج منه غرفة حمص أسود مقلو مع قليل
أرز فأكلت منه و شربت و توضأ وصلى ركعتين و توضأت انا وصليت و سألني عن اسمي
فقلت محمد و سألته عن اسمه فقال لى القلب الفارح فتفاءلت بذلك و سررت به ثم قال لى بسم الله
ترافقني فقلت نعم فمشيت معه قليلا ثم وجدت فتورا فى أعضائى و لم استطع النهوض فقعدت
فقال ماشأنك فقلت له كنت قادرا على المشي قبل ان ألقاك فلما لقيتك عجزت فقال سبحان
الله اركب فوق عنقي فقلت له انك ضعيف و لا تستطيع ذلك فقال يقوينى الله لا بد لك من
ذلك فركبت على عنقه وقال لى أكثر من قراءة حسبنا الله و نعم الوكيل فاكثرت من ذلك
و غلبتني عيني فلم افق الا لسقوطى على الارض فاستيقظت و لم أر للرجل أثرا واذا أنا فى قرية
عامرة فدخلتها فوجدتها الرعية الهنود و حاكمها من المسلمين فاعلموه بي فجاء الى فقلت له
ما اسم هذه القرية فقال لى تاج بوره و بينها و بين مدينة كول حيث أصحابنا فرسخان و حملنى
ذلك الحاكم الى بيته فاطعمنى طعاما سخنا و اغتسلت وقال لى عندى ثوب و عمامة أودعهما
عندي رجل عربى مصرى من أهل المحلة التي بكول فقلت له هاتهما ألبسهما الى ان أصل الى
المحلة فأتي بهما فوجدتهما من ثيابي كنت قد وهبتهما لذلك العربى لما قدمنا كول فطال تعجبي
من ذلك و افكرت فى الرجل الذى حملني على عنقه فتذكرت ما اخبرنى به ولى الله تعالى أبو
عبد الله المرشدى حسبما ذكرناه فى السفر الاول اذ قال لى ستدخل ارض الهند و تلقي بها
أخى و يخلصك من شدة تقع فيها و تذكرت قوله لما سألته عن اسمه فقال القلب الفارح
و تفسيره بالفارسية دلشاد فعلمت انه هو الذى اخبرني بلقائه وانه من الاولياء و لم يحصل لى
من صحبته الا المقدار الذي ذكر و اتيت تلك الليلة الى أصحابي بكول معلما لهم بسلامتي
فجاؤا الى بفرس و ثياب واستبشروا بي و وجدت جواب السلطان قد وصلهم و بعث بفتى
يسمي بسنبل الجامدار عوضا من كافور المستشهد وأمرنا ان نتمادي على سفرنا و وجدتهم
أيضا قد كتبوا للسلطان بما كان من أمرى و تشاءموا بهذه السفرة لما جري فيها على وعلى
كافور وهم يريدون ان يرجعوا فلما رأيت تأكيد السلطان في السفر أكدت عليهم و قوى
عزمي فقالوا ألا ترى ما اتفق فى بداية هذه السفرة و السلطان يعذرك فلنرجع اليه أو نقيم
حتي يصل جوابه فقلت لهم لا يمكن المقام وحيث ما كنا ادركنا الجواب فرحلنا من كول
و نزلنا برج بوره و بها زاوية حسنة فيها شيخ حسن الصورة و السيرة يسمي بمحمد العريان

لانه لا يلبس عليه الا ثوبا من سرته الى أسفل وباقي جسده مكشوف وهو تلميذ الصالح الولى محمد العريان القاطن بقرافة مصر نفع الله به

حكاية هذا الشيخ

وكان من أولياء الله تعالى قائما على قدم التجرد يلبس تنورة وهو ثوب يستر من سرته الى اسفل ويذكر أنه كان اذا صلى العشاء الآخرة أخرج كل ما بقي بالزاوية من طعام وادام وماء وفرق ذلك على المساكين ورمى بفتيلة السراج واصبح على غير معلوم وكانت عادته ان يطعم اصحابه عند الصباح خبزا وفولا فكان الخبازون والفوالون يستبقون الى زاويته فيأخذ منهم مقدار ما يكفي الفقراء ويقول لمن أخذ منه ذلك اقعد حتى يأخذ أول ما يفتح به عليه في ذلك اليوم قليلا أو كثيرا ومن حكاياته انه لما وصل قازان ملك التتر الى الشام بعساكره وملك دمشق ما عدا قلعتها وخرج الملك الناصر الى مدافعته ووقع اللقاء على مسيرة يومين من دمشق بموضع يقال له قشحب والملك الناصر اذ ذاك حديث السن لم يعهد الوقائع وكان الشيخ العريان في صحبته فنزل وأخذ قيدا فقيد به فرس الملك الناصر لئلا يتزحزح عند اللقاء لحداثة سنه فيكون ذلك سبب هزيمة المسلمين فثبت الملك الناصر وهزم التتر هزيمة شنعاء قتل منهم فيها كثير وغرق كثير بما أرسل عليه من المياه ولم يعد التتر الى قصد بلاد الاسلام بعدها وأخبرني الشيخ محمد العريان المذكور تلميذ هذا الشيخ انه حضر هذه الوقيعة وهو حديث السن ورحلنا من برج بوره ونزلنا على الماء المعروف بآب سياه ثم رحلنا الى مدينة قنوج (وضبط اسمها بكسر القاف وفتح النون وواو ساكن وجيم) مدينة كبيرة حسنة العمارة حصينة رخيصة الاسعار كثيرة السكر ومنها يحمل الى دهلي وعليها سور عظيم وقد تقدم ذكرها وكان بها الشيخ معين الدين الباخرزي أضافنا بها وأميرها فيروز البدخشاني من ذرية بهرام جور (جوبين) صاحب كسرى ويسكن بها جماعة من الصلحاء الفضلاء المعروفين بمكارم الاخلاق يعرفون بأولاد شرف جهان وكان جدهم قاضي القضاة بدولة آباد وهو من المحسنين المتصدقين وانتهت الرياسة ببلاد الهند اليه

حكاية له

يذكر انه عزل مرة عن القضاء وكان له أعداء فادعي أحدهم عند القاضي الذي ولي بعده ان له عشرة آلاف دينار قبله ولم تكن له بينة وكان قصده ان يحلفه فبعث القاضي له فقال لرسوله بم ادعى علي فقال بعشرة آلاف دينار فبعث الى مجلس القاضي عشرة آلاف وسلمت للمدعي وبلغ خبره السلطان علاء الدين وصح عنده بطلان تلك الدعوى فاعاده الى القضاء وأعطاه عشرة آلاف وأقمنا بهذه المدينة ثلاثا ووصلنا فيها جواب السلطان في شاني بانه ان لم يظهر لفلان أثر فيتوجه وجيه الملك قاضي دولة آباد عوضا منه ثم رحلنا من هذه المدينة

فنزلنا بمنزل هنول ثم بمنزل وزيربور ثم بمنزل البجالصة ثم وصلنا الى مدينة موري (وضبط اسمها بفتح الميم وواو وراء) وهي صغيرة ولها أسواق حسنة ولقيت بها الشيخ الصالح المعمر قطب الدين المسمى بحيدر الفرغاني وكان بحال مرض فدعا لي وزودني رغيف شعير واخبرني ان عمره يذيف على مائة وخمسين وذكر لي أصحابه انه يصوم الدهر ويواصل كثيرا ويكثر الاعتكاف وربما أقام في خلوته أربعين يوما يقتات فيها بأربعين تمرة في كل يوم واحدة وقد رأيت بدهلي الشيخ المسمي برجب البرقعي دخل الخلوة بأربعين تمرة فاقام بها أربعين يوما ثم خرج وفضل معه منها ثلاث عشرة تمرة ثم رحلنا ووصلنا الى مدينة مرة وضبط اسمها (بفتح الميم وسكون الراء وهاء) وهي مدينة كبيرة أكثر سكانها كفار تحت الذمة وهي حصينة وبها القمح الطيب الذي ليس مثله بسواها ومنها يحمل الى دهلي وحبوبه طوال شديدة الصفرة ضخمة ولم أر قمحا مثله الا بأرض الصين وتنسب هذه المدينة الى المالوة (بفتح اللام) وهي قبيلة من قبائل الهنود ضخام الاجسام عظام الخلق حسان الصور لنسائهم الجمال الفائق وهن مشهورات بطيب الخلوة ووفور الحظ من اللذة وكذلك نساء المرهتة ونساء جزيرة ذيبة المهل ثم سافرنا الى مدينة علابور (وضبط سمها بفتح العين ولام والف وباء موحدة مضمومة وواو وراء) مدينة صغيرة اكثر سكانها الكفار تحت الذمة وعلى مسيرة يوم منها سلطان كافر اسمه قتم (بفتح القاف والتاء المعلوة) وهو سلطان جنبيل (بفتح الجيم وسكون النون وكسر الباء الموحدة وياء مد ولام) الذى حاصر مدينة كيالير وقتل بعد ذلك

— حكايته —

كان هذا السلطان الكافر قد حاصر مدينة رابري وهي على نهر اللجون كثيرة القرى والمزارع وكان أميرها خطاب الافغان وهو أحد الشجعان واستعان السلطان الكافر بسلطان كافر مثله يسمى رجو (بفتح الراء وضم الجيم) وبلده يسمي سلطان بور وحاصر مدينة رابرى فبعث خطاب الى السلطان يطلب منه الاعانة فابطا عليه المدد وهو على مسيرة اربعين من الحضرة فخاف ان يتغلب الكفار عليه فجمع من قبيلة الافغان نحو ثلاثمائة ومثلهم من المماليك ونحو أربعمائة من سائر الناس وجعلوا العمائم في أعناق خيلهم وهي عادة أهل الهند اذا أرادوا الموت وباعوا نفوسهم من الله تعالى وتقدم خطاب وقبيلته وتبعهم سائر الناس وفتحوا الباب عند الصبح وحملوا على الكفار حملة واحدة وكانوا نحو خمسة عشر ألفا فهزموهم باذن الله وقتلوا سلطانيهم قتم ورجو وبعثوا برأسيهما الى السلطان ولم ينج من الكفار الا الشريد

— ذكر أمير علابور واستشهاده —

وكان أمير علابور بدر الحبشي من عبيد السلطان وهو من الابطال الذين تضرب بهم الامثال وكان لا يزال يغير على الكفار منفردا بنفسه فيقتل ويسبي حتى شاع خبره واشتهر أمره وهابه الكفار وكان طويلا ضخما يأكل الشاة عن آخرها في أكلة وأخبرت انه كان يشرب نحو رطل ونصف من السمن بعد غدائه على عادة الحبشة ببلادهم وكان له ابن يدانيه في الشجاعة فاتفق انه أغار مرة في جماعة من عبيده على قرية للكفار فوقع به الفرس في مطمورة واجتمع عليه أهل القرية فضربه أحدهم بقتارة والقتارة (بقاف معقود وتاء معلوة) حديدة شبه سكة الحرث يدخل الرجل يده فيها فتكسو ذراعه ويفضل منها مقدار ذراعين وضربتها لا تبقي فقتله بتلك الضربة ومات فيها وقتلوا رجالها وسبوا نساءها وقاتل عبيده أشد القتال فتغلبوا على القرية وأخرجوا الفرس من المطمورة سالما فأتوا به ولده فكان من الاتفاق الغريب انه ركب الفرس وتوجه الى دهلي فخرج عليه الكفار فقاتلهم حتى قتل وعاد الفرس الى أصحابه فدفعوه الى أهله فركبه صهر له فقتله الكفار عليه أيضا ثم سافرنا الى مدينة كاليور (وضبط اسمها بفتح الكاف المعقود وكسر اللام وضم الياء آخر الحروف وواو وراء) ويقال فيه أيضا كيالير وهي مدينة كبيرة لها حصن منيع منقطع في رأس شاهق على بابه صورة فيل وفيال من الحجارة وقد مر ذكره في اسم السلطان قطب الدين وأمير هذه المدينة احمد بن سير خان فاضل كان يكرمني ايام اقامتي عنده قبل هذه السفرة ودخلت عليه يوما وهو يريد توسيط رجل من الكفار فقلت له بالله لا تفعل ذلك فاني ما رأيت أحدا قط يقتل بحضرى فامر بسجنه وكان ذلك سبب خلاصه ثم رحلنا من مدينة كاليور الى مدينة برون (وضبط اسمها بفتح الباء المعقودة وسكون الراء وفتح الواو وآخره نون) مدينة صغيرة للمسلمين بين بلاد الكفار أميرها محمد بن بيرم التركي الاصل والسباع بها كثيرة وذكر لي بعض أهلها ان السبع كان يدخل اليها ليلا وأبوابها مغلقة فيفترس الناس حتى قتل من أهلها كثيرا وكانوا يعجبون في شان دخوله واخبرني محمد التوفيري من أهلها وكان جارا لي بها انه دخل داره ليلا وافترس صبيا من فوق السرير واخبرني غيره انه كان مع جماعة في دار عرس فخرج أحدهم لحاجة فافترسه اسد فخرج اصحابه في طلبه فوجدوه مطرحا بالسوق وقد شرب دمه ولم يأكل لحمه وذكروا انه كذلك فعله بالناس ومن العجب ان بعض الناس اخبرني ان الذي يفعل ذلك ليس بسبع وانما هو آدمي من السحرة المعروفين بالجوكية يتصور في صورة سبع ولما اخبرت بذلك أنكرته واخبرني به جماعة ولنذكر بعضا من أخبار هؤلاء السحرة

ذكر السحرة الجوكية

وهؤلاء الطائفة تظهر منهم عجائب منها ان احدهم يقيم الاشهر لا ياكل ولا يشرب وكثير منهم تحفر لهم حفر تحت الارض وتبني عليه فلا يترك له الا موضع يدخل منه الهواء ويقيم بها الشهور وسمعت ان بعضهم يقيم كذلك سنة ورأيت بمدينة منجرور رجلا من المسلمين ممن يتعلم منهم قد رفعت له طبلة وأقام باعلاها لا ياكل ولا يشرب مدة خمسة وعشرين يوما وتركته كذلك فلا ادرى كم أقام بعدي والناس يذكرون انهم يركبون حبوبا ياكلون الحبة منها لأيام معلومة او أشهر فلا يحتاج في تلك المدة الى طعام ولا شراب ويخبرون بامور مغيبة والسلطان يعظمهم ويجالسهم ومنهم من يقتصر في اكله على البقل ومنهم من لا ياكل اللحم وهم الاكثرون والظاهر من حالهم انهم عودوا أنفسهم الرياضة ولا حاجة لهم في الدنيا وزينتها ومنهم من ينظر الى الانسان فيقع ميتا من نظرته وتقول العامة انه اذا قتل بالنظر وشق عن صدر الميت وجد دون قلب ويقولون اكل قلبه واكثر ما يكون هذا في النساء والمرأة التي تفعل ذلك تسمي كفتار

حكاية

لما وقعت المجاعة العظمي ببلاد الهند بسبب القحط والسلطان ببلاد التلنك نفذ امره ان يعطى لاهل دهلي ما يقوتهم بحساب رطل ونصف للواحد في اليوم فجمعهم الوزير ووزع المساكين منهم على الامراء والقضاة ليتولوا اطعامهم فكان عندى منهم خمسمائة نفس فعمرت لهم سقائف في داري واسكنتهم بها وكنت اعطيهم نفقة خمسة ايام في خمسة ايام فلما كان في بعض الايام اتوني بمرأة منهم وقالوا انها كفتارة وقد اكلت قلب صبي كان الى جانبها واتوا بالصبي ميتاً فامرتهم ان يذهبوا بها الى نائب السلطان فامر باختبارها وذلك بان ملوا اربع جرات بالماء وربطوها بيديها ورجليها وطرحوها في نهر الجون فلم تغرق فعلم انها كفتار ولو لم تطف على الماء لم تكن بكفتار فامر باحراقها بالنار واتوا باهل البلد رجالا ونساء فاخذوا رمادها وزعموا انه من تبخر به امن في تلك السنة من سحر كفتار

حكاية

بعث الى السلطان يوما وانا عنده بالحضرة فدخلت عليه وهو في خلوة وعنده بعض خواصه ورجلان من هؤلاء الجوكية وهم يلتحفون بالملاحف ويغطون رؤسهم لانهم ينتفونها بالرماد كما ينتف الناس آباطهم فامرني بالجلوس فجلست فقال لهما ان هذا العزيز من بلاد بعيدة فارياه ما لم يره فقالا نعم فتربع أحدهما ثم ارتفع عن الارض حتي صار في الهواء فوقنا متربعا فعجبت منه وادركني الوهم فسقطت الى الارض فامر السلطان ان أسقى دواء عنده فافقت وقعدت وهو على حاله متربع فاخذ صاحبه نعلا له من شكارة كانت معه فضرب بها الارض

كالمغتاظ فصعدت الى أن علت فوق عنق المتربع وجعلت تضرب فى عنقه وهو ينزل قليلا قليلا حتى جلس معنا فقال لى السلطان ان المتربع هو تلميذ صاحب النعل ثم قال لولا انى أخاف على عقلك لامرتهم ان ياتوا باعظم مما رأيت فانصرفت عنه واصابني الخفقان ومرضت حتي امر لى بشربة أذهبت ذلك عنى ولنعد لما كنا بسبيله فنقول سافرنا من مدينة برون الى منزل أموارى ثم الى منزل كجراو به حوض عظيم طوله نحو ميل وعليه الكنائس فيها الاصنام قد مثل بها المسلمون وفى وسطه ثلاث قباب من الحجارة الحمر على ثلاث طباق وعلى أركانه الاربع قباب ويسكن هنالك جماعة من الجوكية وقد لبدوا شعورهم وطالت حتى صارت فى طولهم وغلبت عليهم صفرة الالوان من الرياضة وكثير من المسلمين يتبعونهم ليتعلموا منهم ويذكرون ان من كانت به عاهة من برص أو جذام ياوى اليهم مدة طويلة فيبرأ باذن الله تعالى وأول ما رأيت هذه الطائفة بمحلة السلطان طرمشيرين ملك تركستان وكانوا نحو الخمسين فحفر لهم غار تحت الارض وكانوا مقيمين به لايخرجون الا لقضاء حاجة ولهم شبه القرن يضربونه أول النهار وآخره وبعد العتمة وشانهم كله عجب ومنهم الرجل الذى صنع للسلطان غياث الدين الدمغانى سلطان بلاد المعبر حبوبا ياكلها تقويه على الجماع وكان من اخلاطها برادة الحديد فاعجبه فعلها فاكل منها ازيد من مقدار الحاجة فمات وولى ابن أخيه ناصر الدين فاكرم هذا الجوكى ورفع قدره ثم سافرنا الى مدينة جنديري (وضبط اسمها بفتح الجيم المعقود وسكون النون وكسر الدال المهمل وياء مد وراء) مدينة عظيمة لها اسواق حافلة يسكنها أمير أمراء تلك البلاد عز الدين البنتانى (بالباء الموحدة ثم النون ثم التاء المثناة مفتوحات ثم ألف ونون) وهو المدعو باعظم ملك وكان خيرا فاضلا يجالس أهل العلم وممن كان يجالسه الفقيه عز الدين الزبيري والفقيه العالم وجيه الدين البيانى نسبة الى مدينة بيانه التى تقدم ذكرها والفقيه القاضى المعروف بقاضي خاصة وامامهم شمس الدين وكان النائب عنه على أمور المخزن يسمي قمر الدين ونائبه على أمور العسكر سعادة التلنكى من كبار الشجعان وبين يديه تعرض العساكر وأعظم ملك لايظهر الا فى يوم الجمعة أو فى غيرها نادرا ثم سرنا من جنديرى الى مدينة ظهار (وضبط اسمها بكسر الظاء المعجم) وهي مدينة المالوة أكبر عمالة تلك البلاد وزرعها كثير خصوصا القمح ومن هذه المدينة تحمل أوراق التنبول الى دهلي وبينهما أربعة وعشرون يوما وعلى الطريق بينهما أعمدة منقوش عليها عدد الاميال فيما بين كل عمودين فاذا أراد المسافر أن يعلم عدد ما سار فى يومه وما بقي له الى المنزل

والى المدينة التى يقصدها قرأ النقش الذى فى الاعمدة فعرفه ومدينة ظهار إقطاع للشيخ ابراهيم الذى من أهل ذيبة المهل

— حكاية —

كان هذا الشيخ ابراهيم قدم على هذه المدينة ونزل بخارجها فاحيا أرضاموا تا هنالك وصار يزدرعها بطيخا فتاتى فى الغاية من الحلاوة ليس بتلك الارض مثلها ويزرع الناس بطيخا فيما يجاوره فلا يكون مثله وكان يطعم الفقراء والمساكين فلما قصد السلطان الى بلاد المعبر أهدي اليه هذا الشيخ بطيخا فقبله واستطابه واقطعه مدينة ظهار وأمره أن يعمر زاوية بربوة تشرف عليها فعمرها أحسن عمارة وكان يطعم بها الوارد والصادر وأقام على ذلك أعواما ثم قدم على السلطان وحمل اليه ثلاثة عشر لكا فقال هذا فضل مما كنت اطعمه الناس وبيت المال أحق به فقبضه منه ولم يعجب السلطان فعله لكونه جمع المال ولم ينفق جميعه فى اطعام الطعام وبهذه المدينة أراد ابن أخت الوزير خواجه جهان ان يفتك بخاله ويستولى على أمواله ويسير الى القائم ببلاد المعبر فنمى خبره الى خاله فقبض عليه وعلى جماعة من الامراء وبعثهم الى السلطان فقتل الامراء ورد ابن أخته اليه فقتله الوزير

— حكاية —

ولما رد ابن أخت الوزير اليه أمر به أن يقتل كما قتل أصحابه وكانت له جارية يحبها فاستحضرها واطعمها التنبول واطعمته وعانقها مودعا ثم طرح للفيلة وسلخ جلده وملىء تبنا فلما كان من الليل خرجت الجارية من الدار فرمت بنفسها فى بئر هنالك تقرب من الموضع الذى قتل فيه فوجدت ميتة من الغد فاخرجت ودفن لحمه معها فى قبر واحد وسمى ذلك قبور (كور) عاشقا وتفسير ذلك بلسانهم قبر العاشقين ثم سافرنا من مدينة ظهار الى مدينة أجين (وضبط اسمها بضم الهمزة وفتح الجيم وياء ونون) مدينة حسنة كثيرة العمارة وكان يسكنها الملك ناصر الدين بن عين الملك من الفضلاء الكرماء العلماء استشهد بجزيرة سندابور حين افتتاحها وقد زرت قبره هنالك وسنذكره وبهذه المدينة كان سكنى الفقيه الطبيب جمال الدين المغربي الغرناطى الاصل ثم سافرنا من مدينة أجين الى مدينة دولة آباد وهى المدينة الضخمة العظيمة الشان الموازية لحضرة دهلى فى رفعة قدرها واتساع خطتها وهى منقسمة ثلاثة أقسام أحدها دولة آباد وهو مختص بسكنى السلطان وعساكره والقسم الثاني يسمى الكتكة (بفتح الكافين والتاء المعلوة التي بينهما) والقسم الثالث قلعتها التي لا مثل لها ولا نظير فى الحصانة وتسمي الدويقير (بضم الدال المهمل وفتح الواو وسكون الياء وقاف معقود مكسور وياء مد وراء) وبهذه المدينة سكنى الخان الاعظم قطلوخان معلم السلطان بها وببلاد صاغر وبلاد التلنك وما أضيف الى ذلك وعمالتها مسيرة ثلاثة أشهر عامرة كلها لحكمه ونوابه فيها

وقلعة الدويقير التي ذكرناها في قطعة حجر في بسيط من الارض قد نحتت وبني باعلاها قلعة يصعد اليها بسلم مصنوع من جلود ويرفع ليلا ويسكن بها المفردون وهم الزماميون باولادهم وفيها سجن أهل الجرائم العظيمة في جبوب بها وبها فيران ضخام اعظم من القطوط والقطوط تهرب منها ولا تطيق مدافعتها لانها تغلبها ولا تصاد الا بحيل تدار عليها وقد رأيتها هنالك فعجبت منها

حكاية

أخبرني الملك خطاب الافغاني انه سجن مرة في جب بهذه القلعة يسمي جب الفيران قال فكانت تجتمع على ليلا لتاكلني فاقاتلها واتقي من ذلك جهدا ثم أني رأيت في النوم قائلا يقول لي اقرأ سورة الاخلاص مائة ألف مرة ويفرج الله عنك قال فقرأتها فلما أتممتها أخرجت وكان سبب خروجي ان ملك مل كان مسجونا في جب يجاورني فمرض وأكلت الفيران أصابعه وعينيه فمات فبلغ ذلك السلطان فقال اخرجوا خطابا لئلا يتفق له مثل ذلك والى هذه القلعة لجأ ناصر الدين بن ملك مل المذكور والقاضي جلال حين هزمهما السلطان وأهل بلاد دولة آباد هم قبيل المرهتة الذين خص الله نساءهم بالحسن وخصوصا في الانوف والحواجب ولهن من طيب الخلوة والمعرفة بحركات الجماع ما ليس لغيرهن وكفار هذه المدينة أصحاب تجارات وأكثر تجاراتهم في الجوهر وأموالهم طائلة وهم يسمون الساهة واحدهم ساه باهمال السين وهم مثل الاكارم بديار مصر وبدولة آباد العنب والرمان ويثمران مرتين في السنة وهي من أعظم البلاد مجبى وأكبرها خراجا لكثرة عمارتها واتساع عمالتها وأخبرت ان بعض الهنود التزم مغارمها وعمالتها جميعا وهي كما ذكرناها مسيرة ثلاثة أشهر بسبعة عشر كرورا والكرور مائة لك واللك مائة ألف دينار ولكنه لم يف بذلك فبقي عليه بقية وأخذ ماله وسلخ جلده

ذكر سوق المغنيين

وبمدينة دولة آباد سوق للمغنيين والمغنيات تسمي سوق طرب آباد من أجمل الاسواق وأكبرها فيه الدكاكين الكثيرة كل دكان له باب يفضي الى دار صاحبه وللدار باب سوى ذلك والحانوت مزين بالفرش وفي وسطه شكل مهد كبير تجلس فيه المغنية أو ترقد وهي متزينة بانواع الحلي وجواريها يحركن مهدها وفي وسط السوق قبة عظيمة مفروشة مزخرفة يجلس فيها أمير المطربين بعد صلاة العصر من يوم كل خميس وبين يديه خدامه ومماليكه وتاتي المغنيات طائفة بعد أخرى فيغنين بين يديه ويرقصن الى وقت المغرب ثم ينصرف وفي تلك السوق المساجد للصلاة ويصلي الائمة فيها التراويح في شهر رمضان وكان بعض سلاطين الكفار بالهند اذا مر بهذه السوق ينزل بقبتها ويغني المغنيات بين يديه وقد فعل

ذلك بعض سلاطين المسلمين أيضا ثم سافرنا الى مدينة نذربار (وضبط اسمها بنون وبذال معجم مفتوحتين وراء مسكن وباء موحدة مفتوحة وألف وراء) مدينة صغيرة يسكنها المرهتة وهم أهل الاتقان فى الصنائع والاطباء والمنجمون وشرفاء المرهتة هم البراهمة وهم الكتريون أيضا وأكلهم الأرز والخضر ودهن السمسم ولا يرون بتعذيب الحيوان ولا ذبحه ويغتسلون للاكل كغسل الجنابة ولا ينكحون فى أقاربهم الا فيمن كان بينهم وبينه سبعة أجداد لا يشربون الخمر وهى عندهم أعظم المعائب وكذلك هي ببلاد الهند عند المسلمين ومن شربها من مسلم حد ثمانين جلدة وسجن فى مطمورة ثلاثة أشهر لا تفتح عليه الا حين طعامه ثم سافرنا من هذه المدينة الى مدينة صاغر (وضبط اسمها بفتح الصاد المهمل وفتح الغين المعجم وآخره راء) وهي مدينة كبيرة على نهر كبير يسمى أيضا صاغر كاسمها وعليه النواعير والبساتين فيها العنب والموز وقصب السكر وأهل هذه المدينة أهل صلاح ودين وأمانة وأحوالهم كلها مرضية ولهم بساتين فيها الزوايا للوارد والصادر وكل من يبني زاوية يحبس البستان عليها ويجعل النظر فيه لاولاده فان انقرضوا عاد النظر للقضاة والعمارة بها كثيرة والناس يقصدونها للتبرك باهلها ولكونها محررة من المغارم والوظائف ثم سافرنا من صاغر المذكورة الى مدينة كنباية (وضبط اسمها بكسر الكاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة وألف وياء آخر الحروف مفتوحة) وهى على خور من البحر وهو شبه الوادى تدخله المراكب وبه المد والجزر وعاينت المراكب به مرساة فى الوحل حين الجزر فاذا كان المد عامت فى الماء وهذه المدينة من احسن المدن فى اتقان البناء وعمارة المساجد وسبب ذلك ان اكثر سكانها التجار الغرباء فهم ابدا يبنون بها الديار الحسنة والمساجد العجيبة ويتنافسون فى ذلك ومن الديار العظيمة بها دار الشريف السامري الذى اتفقت لي معه قضية الحلواء وكذبه ملك الندماء ولم أر قط أضخم من الخشب الذي رأيته بهذه الدار وبابها كأنه باب مدينة والى جانبها مسجد عظيم يعرف باسمه ومنها دار ملك التجار الكازروني والى جانبها مسجده ومنها دار التاجر شمس الدين كلاه دوز ومعناه خياط الشواشي

— حكاية —

ولما وقع ما قدمناه من مخالفة القاضى جلال الافغانى اراد شمس الدين المذكور والناخودة الياس وكان من كفار أهل هذه المدينة وملك الحكماء الذى تقدم ذكره على ان يمتنعوا منه بهذه المدينة وشرعوا فى حفر خندق عليها اذ لا سور لها فتغلب عليهم ودخلها واختفى الثلاثة المذكورون فى دار واحدة وخافوا ان يتطلع عليهم فاتفقوا على ان يقتلوا أنفسهم

فضرب كل واحد منهم صاحبه بقتارة وقد ذكرنا صفتها فمات اثنان منهم ولم يمت ملك الحكماء وكان من كبار التجار أيضا بها نجم الدين الجيلاني وكان حسن الصورة كثير المال وبني بها دارا عظيمة ومسجدا ثم بعث السلطان عنه وأمره عليها واعطاه المراتب فكان ذلك سبب تلف نفسه وماله وكان أمير كنباية حين وصلنا اليها مقبل التلنكي وهو كبير المنزلة عند السلطان وكان في صحبته الشيخ زاده الاصبهاني نائبا عنه في جميع اموره وهذا الشيخ له أموال عظيمة وعنده معرفة بامور السلطنة ولا يزال يبعث الاموال الى بلاده ويتحيل في الفرار وبلغ خبره الى السلطان وذكر عنه انه يروم الهروب فكتب الى مقبل ان يبعثه فبعثه على البريد واحضر بين يدي السلطان ووكل به والعادة عندهم انه متى وكل باحد فقلما ينجو فاتفق هذا الشيخ مع الموكل به على مال يعطيه اياه وهربا جميعا وذكر لي أحد الثقات انه رآه في ركن مسجد بمدينة قلهات وانه وصل بعد ذلك الى بلادهم فحصل على أمواله وآمن مما كان يخافه

— حكاية —

واضافنا الملك مقبل يوما بداره فكان من النادر ان جلس قاضي المدينة وهو اعور العين اليمنى وفي مقابلته شريف بغدادي شديد الشبه به في صورته وعوره الا انه أعور اليسرى فجعل الشريف ينظر الى القاضي ويضحك فزجره القاضي فقال له لا تزجرني فاني أحسن منك قال كيف ذلك قال لانك أعور اليمني وأنا اعور اليسري فضحك الامير والحاضرون وخجل القاضي ولم يستطع ان يرد عليه لان الشرفاء ببلاد الهند معظمون أشد التعظيم وكان بهذه المدينة من الصالحين الحاج ناصر من أهل ديار بكر وسكناه بقبة من قباب الجامع دخلنا اليه وأكلنا من طعامه واتفق له لما دخل القاضي جلال مدينة كنباية حين خلا بها انه اتاه وذكر للسلطان انه دعا له فهرب لئلا يقتل كما قتل الحيدري وكان بها أيضا من الصالحين التاجر خواجه اسحاق وله زاوية يطعم فيها الوارد والصادر وينفق على الفقراء والمساكين وماله على هذا ينمي ويزيد كثرة وسافرنا من هذه المدينة الى بلدة كاوي وهي على خور فيه المد والجزر من بلاد الرى جالنسي الكافر وسنذكره وسافرنا منها الى مدينة قندهار (وضبط اسمها بفتح القاف وسكون النون وفتح الدال المهمل وهاء وألف وراء) وهي مدينة كبيرة للكفار على خور من البحر

— ذكر سلطانها —

وسلطان قندهار كافر اسمه جالنسي (بفتح الجيم واللام وسكون النون وكسر السين المهمل) وهو تحت حكم الاسلام ويعطي لملك الهند هدية كل عام ولما وصلنا الى قندهار خرج الى استقبالنا وعظمنا أشد التعظيم وخرج عن قصره فانزلنا به وجاء الينا من عنده من كبار

المسلمين كاولاد خواجه بهره ومنهم الناخوده ابراهيم له ستة من المراكب مختصة له ومن هذه المدينة ركبنا البحر

ذكر ركوبنا البحر

وركبنا في مركب لابراهيم المذكور تسمى الجاكر (بفتح الجيم والكاف المعقودة) وجعلنا فيه من خيل الهدية سبعين فرسا وجعلنا باقيها مع خيل أصحابنا في مركب لاخي ابراهيم المذكور يسمى منورت (بفتح الميم ونون وواو مدو وراء مسكن وتاء معلوة) واعطانا الجالسي مركبا جعلنا فيه خيل ظهير الدين وسنبل وأصحابهما وجهزه لنا بالماء والزاد والعلف وبعث معنا ولده في مركب يسمى العكيري (بضم العين المهمل وفتح الكاف وسكون الياء وراء) وهو شبه الغراب الا انه أوسع منه وفيه ستون مجذافا ويسقف حين القتال حتى لا ينال الجذافين شيء من السهم ولا الحجارة وكان ركوبي انا في الجاكر وكان فيه خمسون راميا وخمسون من المقاتلة الحبشة وهم زعماء هذا البحر واذا كان بالمركب أحد منهم تحاماه لصوص الهنود وكفارهم ووصلنا بعد يومين الى جزيرة بيرم (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الياء وفتح الراء) وهي خالية وبينها وبين البر أربعة أميال فنزلنا بها واستقينا الماء من حوض بها وسبب خرابها ان المسلمين دخلوها على الكفار فلم تعمر بعد وكان ملك التجار الذي تقدم ذكره أراد عمارتها وبنى سورها وجعل بها المجانيق واسكن بها بعض المسلمين ثم سافرنا منها ووصلنا في اليوم الثاني الى مدينة قوقة وهي (بضم القاف الاولى وفتح الثانية) وهي مدينة كبيرة عظيمة الاسواق ارسينا على أربعة أميال منها بسبب الجزر ونزلت في عشاري مع بعض اصحابي حين الجزر لادخل اليها فوحل العشاري في الطين وبقي بيننا وبين البلد نحو ميل فكنت لما نزلنا في الوحل اتوكأ على رجلين من أصحابي وخوفني الناس من وصول المد قبل وصولي اليها وانا لا أحسن السباحة ثم وصلت اليها وطفت باسواقها ورأيت بها مسجدا ينسب للخضر والياس عليهما السلام صليت به المغرب ووجدت به جماعة من الفقراء الحيدرية مع شيخ لهم ثم عدت الي المركب

ذكر سلطانها

وسلطانها كافر يسمى دنكول (بضم الدال المهمل وسكون النون وضم الكاف وواو ولام) وكان يظهر الطاعة لملك الهند وهو في الحقيقة عاص ولما اقلعنا عن هذه المدينة ووصلنا بعد ثلاثة أيام الى جزيرة سندابور (وضبط اسمها بفتح السين المهمل وسكون النون وفتح الدال المهمل والف وباء موحدة وواو مدو وراء) وهي جزيرة في وسطها ست وثلاثون قرية ويدور بها خور واذا كان الجزر فماؤها عذب طيب واذا كان المد فهو ملح اجاج وفي وسطها مدينتان احداها قديمة من بناء الكفار والثانية بناها المسلمون عند استفتاحهم لهذه الجزيرة الفتح

الاول وفيها مسجد جامع عظيم يشبه مساجد بغداد عمره الناخودة حسن والد السلطان جمال الدين محمد الهنوري وسياتي ذكره وذكر حضوري معه لفتح هذه الجزيرة الفتح الثاني ان شاء الله وتجاوزنا هذه الجزيرة لما مررنا بها ورسينا على جزيرة صغيرة قريبة من البر فيها كنيسة وبستان وحوض ماء ووجدنا بها أحد الجوكية — حكاية هذا الجوكى —

ولما نزلنا بهذه الجزيرة الصغري وجدنا بها جوكيا مستندا الى حائط بدخانة وهي بيت الاصنام وهو فيما بين صنمين منها وعليه أثر المجاهدة فكلمناه فلم يتكلم ونظرنا هل معه طعام فلم نر معه طعاما وفى حين نظرنا صاح صيحة عظيمة فسقطت عند صياحه جوزة من جوز النارجيل بين يديه ودفعها لنا فعجبنا من ذلك ودفعنا له دنانير ودراهم فلم يقبلها واتيناه بزاد فرده وكانت بين يديه عباءة من صوف الجمال مطروحة فقلبتها بيدي فدفعها لى وكانت بيدى سبحة زيلع فقلبها فى يدى فاعطيته اياها ففركها بيده وشمها وقبلها واشار الى السماء ثم الى سمت القبلة فلم يفهم أصحابي اشارته فهمت أنا عنه انه اشار انه مسلم يخفى اسلامه من أهل تلك الجزيرة ويتعيش من تلك الجوز ولما وادعناه قبلت يده فانكر أصحابي ذلك ففهم انكارهم فاخذ يدي وقبلها وتبسم واشار لنا بالانصراف فانصرفنا وكنت آخر أصحابي خروجا فجذب ثوبي فرددت رأسي اليه فاعطاني عشرة دنانير فلما خرجنا عنه قال لى اصحابي لم جذبك فقلت لهم أعطاني هذه الدنانير واعطيت لظهير الدين ثلاثة منها ولسنبل ثلاثة وقلت لهما الرجل مسلم ألا ترون كيف أشار الى السماء يشير الى انه يعرف الله تعالى وأشار الى القبلة يشير الى معرفة الرسول عليه السلام وأخذه السبحة يصدق ذلك فرجعا لما قلت لهما ذلك اليه فلم يجداه وسافرنا تلك الساعة وبالغد وصلنا الى مدينة هنور (وضبط اسمها بكسر الهاء وفتح النون وسكون الواو وراء) وهي على خور كبير تدخله المراكب الكبار والمدينة على نصف ميل من البحر وفى ايام البشكال وهو المطر يشتد هيجان هذا البحر وطغيانه فيبقى مدة اربعة اشهر لا يستطيع أحد ركوبه الا للتصيد فيه وفى يوم وصولنا اليها جاءني أحد الجوكية من الهنود فى خلوة وأعطاني ستة دنانير وقال لى البرهمن بعثها اليك يعنى الجوكى الذي أعطيته السبحة وأعطاني الدنانير فاخذتها منه وأعطيته دينارا منها فلم يقبله وانصرف واخبرت أصحابي بالقضية وقلت لهما ان شئتما فخذا نصيبكما منها فابيا وجعلا يعجبان من شانه وقالا لى ان الدنانير الستة التي أعطيتنا اياها جعلنا معها مثلها وتركنا بين الصنمين حيث وجدناها فطال عجبي من أمره واحتفظت بتلك الدنانير التى أعطانيها وأهل مدينة هنور شافعية المذهب لهم صلاح ودين وجهاد فى البحر وقوة وبذلك عرفوا حتى أذلهم الزمان بعد فتحهم سندابور

وسنذ كر ذلك ولقيت من المتعبدين بهذه المدينة الشيخ محمد الناقوري اضافني بزاويته وكان
يطبخ الطعام بيده استقذارا للجارية والغلام ولقيت بها الفقيه اسماعيل معلم كتاب الله
تعالى وهو ورع حسن الخلق كريم النفس والقاضي بها نور الدين عليا والخطيب لا اذكر اسمه
ونساء هذه المدينة وجميع هذه البلاد الساحلية لا يلبسن المخيط انما يلبسن ثيابا غير مخيطة تحتزم
إحداهن باحد طرفي الثوب وتجعل باقيه على رأسها وصدرها ولهن جمال وعفاف وتجعل
احداهن خرص ذهب في انفها ومن خصائصهن انهن جميعا يحفظن القرآن العظيم ورأيت
بالمدينة ثلاثة عشر مكتبا لتعليم البنات وثلاثة وعشرين لتعليم الاولاد ولم أر ذلك في سواها
ومعاش أهلها من التجار في البحر ولا زرع لهم وأهل بلاد المليبار يعطون للسلطان جمال الدين
في كل عام شيئا معلوما خوفا منه لقوته في البحر وعسكره نحو ستة آلاف بين فرسان ورجالة

—— ذكر سلطان هنور ——

وهو السلطان جمال الدين محمد بن حسن من خيار السلاطين وكبارهم وهو تحت حكم سلطان
كافر يسمى هريب سنذكره والسلطان جمال الدين مواظب للصلاة في الجماعة وعادته أن
ياتي الى المسجد قبل الصبح فيتلو في المصحف حتى يطلع الفجر فيصلي أول الوقت ثم يركب الى
خارج المدينة وياتي عند الضحى فيبدأ بالمسجد فيركع فيه ثم يدخل الى قصره وهو يصوم الايام
البيض وكان أيام اقامتي عنده يدعوني للافطار معه فاحضر لذلك ويحضر الفقيه علي والفقيه
اسماعيل فتوضع أربع كراسي صغار على الارض فيقعد على احداها ويقعد كل واحد منا على
كرسي

—— ذكر ترتيب طعامه ——

وترتيبه أن يؤتي بمائدة نحاس يسمونها خونجة ويجعل عليها طبق نحاس يسمونه الطالم
(بفتح الطاء المهمل وفتح اللام) وتاتي جارية حسنة ملتحفة بثوب حرير فتقدم قدور
الطعام بين يديه ومعها مغرفة نحاس كبيرة فتغرف بها من الارز مغرفة واحدة وتجعلها
في الطالم وتصب فوقها السمن وتجعل مع ذلك عناقيد الفلفل المملوح والزنجبيل الاخضر
والليمون المملوح والعنبا فيأكل الانسان لقمة ويتبعها بشيء من تلك الموالح فاذا تمت الغرفة
التي جعلتها في الطالم غرفت غرفة أخرى من الارز وافرغت دجاجة مطبوخة في سكرجة
فيؤكل بها الارز أيضا فاذا تمت الغرفة الثانية غرفت وأفرغت لونا آخر من الدجاج تؤكل
به فاذا تمت ألوان الدجاج اتوا بالوان من السمك فيأكلون بها الارز أيضا فاذا فرغت
الوان السمك اتوا بالخضر مطبوخة بالسمن والالبان فيأكلون بها الارز فاذا فرغ ذلك
كله اتوا بالكوشان وهو اللبن الرائب وبه يختمون طعامهم فاذا وضع علم انه لم يبق شيء

يؤكل بعده ثم يشربون على ذلك الماء السخن لان الماء البارد يضر بهم فى فصل نزول المطر
و لقد أقمت عند هذا السلطان فى كرة أخرى أحد عشر شهرا لم آكل خبزا انما طعامهم
الارز و بقيت أيضا بجزائر المهل و سيلان و بلاد المعبر والمليبار ثلاث سنين لا آكل فيها
الا الارز حتى كنت لا استسيغه الا بالماء ولباس هذا السلطان ملاحف الحرير والكتان
الرقاق يشد فى وسطه فوطة و يلتحف ملحفتين احداها فوق الاخرى ويعقص شعره
ويلف عليه عمامة صغيرة واذا ركب لبس قباء والتحف بملحفتين فوقه وتضرب بين يديه طبول
وابواق يحملها الرجال وكانت اقامتنا عنده فى هذه المرة ثلاثة ايام وزودونا وسافرنا عنه وبعد
ثلاثة ايام وصلنا الى بلاد المليبار (بضم الميم وفتح اللام وسكون الياء آخر الحروف وفتح
الباء الموحدة والف وراء) وهى بلاد الفلفل وطولها مسيرة شهرين على ساحل البحر من
سندابور الى كولم والطريق فى جميعها بين ظلال الاشجار وفى كل نصف ميل بيت من
الخشب فيه دكاكين يقعد عليها كل وارد وصادر من مسلم أو كافر وعند كل بيت منها بئر يشرب
منها ورجل كافر موكل بها فمن كان كافرا سقاه فى الاواني ومن كان مسلما سقاه فى يديه ولا
يزال يصب له حتى يشير له أو يكف وعادة الكفار ببلاد المليبار ان لا يدخل المسلم دورهم
ولا يطعم فى أوانيهم فان طعم فيها كسروها وأعطوها للمسلمين واذا دخل المسلم موضعا منها
لا يكون فيه دار للمسلمين طبخوا له الطعام وصبوه له على أوراق الموز وصبوا عليه الادام
وما فضل عنه يأكله الكلاب والطير وفى جميع المنازل بهذا الطريق ديار المسلمين ينزل
عندهم المسلمون فيبيعون منهم جميع ما يحتاجون اليه ويطبخون لهم الطعام ولولاهم لما
سافر فيه مسلم وهذا الطريق الذى ذكرنا انه مسيرة شهرين ليس فيه موضع شبر فما فوقه
دون عمارة وكل انسان بستانه على حدة وداره فى وسطه وعلى الجميع حائط خشب
والطريق يمر في البساتين فاذا انتهى الى حائط بستان كان هنالك درج خشب يصعد عليها
ودرج آخر ينزل عليها الى البستان الآخر هكذا مسيرة الشهرين ولا يسافر أحد فى تلك البلاد
بدابة ولا تكون الخيل الا عند السلطان وأكثر ركوب أهلها فى دولة على رقاب العبيد
أو المستاجرين ومن لم يركب فى دولة مشى على قدميه كائنا من كان ومن كان له رحل
أو متاع من تجارة وسواها اكترى رجالا يحملونه على ظهورهم فترى هنالك التاجر ومعه
المائة فما دونها اوفوقها يحملون أمتعته وبيد كل واحد منهم عود غليظ له زج حديد وفى اعلاه
مخطاف حديد فاذا اعيا ولم يجد دكانة يستريح عليها ركز عوده بالارض وعلق حمله منه فاذا
استراح اخذ حمله من غير معين ومضى به ولم أر طريقا آمن من هذا الطريق وهم يقتلون السارق

على الجوزة الواحد فاذا سقط شيء من الثمار لم يلتقطه أحد حتى ياخذه صاحبه وأخبرت ان بعض الهنود مروا على الطريق فالتقط أحدهم جوزة وبلغ خبره الى الحاكم فامر بعود فركز في الارض وبرى طرفه الاعلى وأدخل في لوح خشب حتى برز منه ومد الرجل على اللوح وركز في العود وهو على بطنه حتى خرج من ظهره وترك عبرة للناظرين ومن هذه العيدان على هذه الصورة بتلك الطرق كثيرا ليراها الناس فيتعظوا ولقد كنا نلقى الكفار بالليل في هذه الطريق فاذا رأونا تنحوا عن الطريق حتى نجوز والمسلمون اعز الناس بها غير انهم كما ذكرنا لا يواكلونهم ولا يدخلونهم دورهم وفي بلاد المليبار اثنا عشر سلطانا من الكفار منهم القوى الذى يبلغ عسكره خمسين الفا ومنهم الضعيف الذى عسكره ثلاثة آلاف ولا فتنة بينهم البتة ولا يطمع القوى منهم في انتزاع ما بيد الضعيف وبين بلاد أحدهم وصاحبه باب خشب منقوش فيه اسم الذى هو مبدأ عمالته ويسمونه باب امان فلان واذا فر مسلم أو كافر بسبب جناية من بلاد احدهم ووصل باب امان الآخر أمن على نفسه ولم يستطع الذي هرب عنه اخذه وان كان القوي صاحب العدد والجيوش وسلاطين تلك البلاد يورثون ابن الاخت ملكهم دون أولادهم ولم أر من يفعل ذلك الا مسوفة أهل اللثم (اللثام) وسنذكرهم فيما بعد فاذا أراد السلطان من أهل بلاد المليبار منع الناس من البيع والشراء امر بعض غلمانه فعلق على الحوانيت بعض اغصان الاشجار باوراقها فلا يبيع أحد ولا يشترى مادامت عليها تلك الاغصان

— ذكر الفلفل —

وشجرات الفلفل شبيهة بدوالي العنب وهم يغرسونها ازاء النارجيل فتصعد فيها كصعود الدوالي ليس لها عسلوج وهو الغزل كما للدوالي واوراق شجره تشبه آذان الخيل وبعضها يشبه أوراق العليق ويثمر عناقيد صغارا حبها كحب أبي قنينة اذا كانت خضراء واذا كان أوان الخريف قطفوه وفرشوه على الحصر في الشمس كما يصنع بالعنب عند تزبيبه ولا يزالون يقلبونه حتى يستحكم يبسه ثم يبيعونه من التجار والعامة ببلادنا يزعمون انهم يقلونه بالنار وبسبب ذلك يحدث فيه التكريش وليس كذلك وانما يحدث ذلك فيه بالشمس ولقد رأيته بمدينة قالقوط يصب للكيل كالذرة ببلادنا وأول مدينة دخلناها من بلاد المليبار مدينة أبي سرور (بفتح السين) وهي صغيرة على خور كبير كثيرة أشجار النارجيل وكبير المسلمين بها الشيخ جمعة المعروف بابي ستة احد الكرماء انفق امواله على الفقراء والمساكين حتى نفدت وبعد يومين منها وصلنا الى مدينة فاكنور (وضبط اسمها بفتح الفاء والكاف والنون وآخره راء) مدينة كبيرة على خور بها قصب السكر الكثير الطيب الذي لا مثل له بتلك

البلاد وبها جماعة من المسلمين يسمى كبيرهم بحسين السلاط وبها قاض وخطيب وعمر بها حسين المذكور مسجداً لاقامة الجمعة

ذكر سلطانها

وسلطان فاكنور كافر اسمه باسدو (بفتح الباء الموحدة والسين المهمل والدال المهمل وسكون الواو) وله نحو ثلاثين مركبا حربية قائدها مسلم يسمى لولا وكان من المفسدين يقطع بالبحر ويسلب التجار ولما أرسينا على فاكنور بعث سلطانها الينا ولده فاقام بالمركب كالرهينة ونزلنا اليه فاضافنا ثلاثا باحسن ضيافة تعظيما لسلطان الهند وقياما بحقه ورغبة فيما يستفيده في التجارة مع أهل مراكبنا ومن عادتهم هنالك ان كل مركب يمر ببلد فلا بد من ارسائه بها وأعطائه هدية لصاحب البلد يسمونها حق البندر ومن لم يفعل ذلك خرجوا في اتباعه بمراكبهم وأدخلوه المرسى قهرا وضاعفوا عليه المغرم ومنعوه عن السفر ما شاؤا وسافرنا منها فوصلنا بعد ثلاثة أيام الى مدينة منجرور (وضبط اسمها بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وضم الراء وواو وراء ثانية) مدينة كبيرة على خور يسمي خور الدنب (بضم الدال المهمل وسكون النون وباء موحدة) وهو أكبر خور ببلاد المليبار وبهذه المدينة ينزل معظم تجار فارس واليمن والفلفل والزنجبيل بها كثير جدا

ذكر سلطانها

وهو أكبر سلاطين تلك البلاد واسمه رامدو (بفتح الراء والميم والدال المهمل وسكون الواو) وبها نحو اربعة آلاف من المسلمين يسكنون ربضا بناحية المدينة وربما وقعت الحرب بينهم وبين أهل المدينة فيصلح السلطان بينهم لحاجته الى التجار وبها قاض من الفضلاء الكرماء شافعي المذهب يسمي بدر الدين المعبرى وهو يقرئ العلم صعد الينا الى المركب ورغب منا في النزول الى بلده فقلنا حتى يبعث السلطان ولده يقيم بالمركب فقال انما فعل ذلك سلطان فاكنور لانه لا قوة للمسلمين في بلده وأما نحن فالسلطان يخافنا فابينا عليه الا ان بعث السلطان ولده فبعث ولده كما فعل الآخر ونزلنا اليهم وأكرمونا اكراما عظيما وأقمنا عندهم ثلاثة أيام ثم سافرنا الى مدينة هيلى فوصلنا ها بعد يومين (وضبط اسمها بهاء مكسور وياء مد ولام مكسور) وهي كبيرة حسنة العمارة على خور عظيم تدخله المراكب الكبار والى هذه المدينة تنتهي مراكب الصين ولا تدخل الا مرساها ومرسى كولم وقالقوط ومدينة هيلى معظمة عند المسلمين والكفار بسبب مسجدها الجامع فانه عظيم البركة مشرق النور وركاب البحر ينذرون له النذور الكثيرة وله خزانة مال عظيمة تحت نظر الخطيب حسين وحسن الوزان كبير المسلمين وبهذا المسجد جماعة من الطلبة يتعلمون العلم ولهم مرتبات من مال المسجد وله مطبخة يصنع فيها الطعام للوارد والصادر ولاطعام الفقراء من المسلمين بها ولقيت بهذا

المسجد فقيها صالحا من أهل مقدشو يسمى سعيد احسن اللقاء والخلق يسرد الصوم وذكرلي انه جاور بمكة اربع عشرة سنة ومثلها بالمدينة وأدرك الامير بمكة ابا نمي والامير بالمدينة منصور ابن جماز وسافر في بلاد الهند والصين ثم سافرنا من هيلي الى مدينة جرفتن (وضبط اسمها بضم الجيم وسكون الراء وفتح الفاء وفتح التاء المعلوة وتشديدها وآخره نون) وبينها وبين هيلي ثلاثة فراسخ ولقيت بها فقيها من أهل بغداد كبير القدر يعرف بالصرصري نسبة الى بلدة على مسافة عشرة أميال من بغداد في طريق الكوفة واسمها كاسم صرصر التي عندنا بالمغرب وكان له أخ بهذه المدينة كثير المال له اولاد صغار اوصي اليه بهم وتركته آخذا في حملهم الى بغداد وعادة أهل الهند كعادة السودان لا يتعرضون لمال الميت ولو ترك الآلاف انما يبقي ماله بيد كبير المسلمين حتي ياخذه مستحقه شرعا

ذكر سلطانها

وهو يسمى بكويل (بضم الكاف على لفظ التصغير وهو من اكبر سلاطين المليبار وله مراكب كثيرة تسافر الى عمان وفارس واليمن ومن بلاده دهفتن وبدفتن وسنذكرهما وسرنا من جرفتن الى مدينة دهفتن (بفتح الدال المهمل وسكون الهاء) وقد ذكرنا ضبط فتن وهي مدينة كبيرة على خور كثيرة البساتين وبها النارجيل والفلفل والفوفل والتنبول وبها القلقاص الكثير ويطبخون به اللحم وأما الموز فلم ارفي البلاد أكثر منه بها ولا ارخص ثمنا وفيها الباين الاعظم طوله خمسمائة خطوة وعرضه ثلاثمائة خطوة وهو مطوى بالحجارة الحمر المنحوتة وعلى جوانبه ثمان وعشرون قبة من الحجر في كل قبة أربع مجالس من الحجر وكل قبة يصعد اليها على درج حجارة وفي وسطه قبة كبيرة من ثلاث طبقات في كل طبقة أربع مجالس وذكرلي ان والد هذا السلطان كويل هو الذي عمر هذا الباين وبازائه مسجد جامع المسلمين وله أدراج ينزل منها اليه فيتوضأ منه الناس ويغتسلون وحدثني الفقيه حسين ان الذي عمر المسجد والباين أيضا هو أحد أجداد كويل وانه كان مسلما ولاسلامه خبر عجيب نذكره

ذكر الشجرة العجيبة الشان التي بازاء الجامع

ورأيت انا بازاء الجامع شجرة خضراء ناعمة تشبه اوراقها أوراق التين الا انها لينة وعليها حائط يطيف بها وعندها محراب صليت فيه ركعتين واسم هذه الشجرة عندهم درخت الشهادة ودرخت (بفتح الدال المهمل والراء وسكون الخاء المعجم وتاء معلوة) وأخبرت هنالك انه اذا كان زمان الخريف من كل سنة تسقط من هذه الشجرة ورقة واحدة بعد ان يستحيل لونها الى الصفرة ثم الى الحمرة ويكون فيها مكتوبا بقلم القدرة لا اله الا الله محمد

رسول الله وأخبرني الفقيه حسين وجماعة من الثقات انهم عاينوا هذه الورقة وقرؤا المكتوب الذى فيها وأخبرنى انه اذا كانت أيام سقوطها قعد تحتها الثقات من المسلمين والكفار فاذا سقطت أخذ المسلمون نصفها وجعل نصفها في خزانة السلطان الكافر وهم يستشفون بها المرضى وهذه الشجرة كانت سبب اسلام جدكويل الذى عمر المسجد والباين فانه كان يقرأ الخط العربى فلما قرأها وفهم ما فيها أسلم وحسن اسلامه وحكايته عندهم متواترة وحدثني الفقيه حسين ان أحد أولاده كفر بعد أبيه وطغى وأمر باقتلاع الشجرة من أصلها فاقتلعت ولم يترك لها أثر ثم انها نبتت بعد ذلك وعادت كأحسن ما كانت عليه وهلك الكافر سريعا ثم سافرنا الى مدينة بدفتن وهى مدينة كبيرة على خور كبير وبخارجها مسجد بمقربة من البحر يأوى اليه غرباء المسلمين لانه لا مسلم بهذه المدينة ومرساها من أحسن المراسي وماؤها عذب والفوفل بها كثير ومنها يحمل للهند والصين وأكثر أهلها براهمة وهم معظمون عند الكفار مبغضون فى المسلمين ولذلك ليس بينهم مسلم

— حكاية — أخبرت ان سبب تركهم هذا المسجد غير مهدوم ان أحد البراهمة خرب سقفه ليصنع منه سقفا لبيته فاشتعلت النار فى بيته فاحترق هو وأولاده ومتاعه فاحترموا هذا المسجد ولم يتعرضوا له بسوء بعدها وخدموه وجعلوا بخارجه الماء يشرب منه الصادر والوارد وجعلوا على بابه شبكة لئلا يدخله الطير ثم سافرنا من مدينة بدفتن الى مدينة فندرينا (وضبط اسمها بفاء مفتوح ونون ساكن ودال مهمل وراء مفتوحين وياء آخر الحروف) مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين وأسواق وبها للمسلمين ثلاث محلات فى كل محلة مسجد والجامع بها على الساحل وهو عجيب له مناظر ومجالس على البحر وقاضيها وخطيبها رجل من أهل عمان وله أخ فاضل وبهذه البلدة تشتو مراكب الصين ثم سافرنا منها الى مدينة قالقوط (وضبط اسمها بقافين وكسر اللام وضم القاف الثانى وآخره طاء مهمل) وهى احدى البنادر العظام ببلاد المليبار يقصدها أهل الصين والجاوة وسيلان والمهل وأهل اليمن وفارس ويجتمع بها تجار الآفاق ومرساها من أعظم مراسي الدنيا

— ذكر سلطانها —

وسلطانها كافر يعرف بالسامرى شيخ السن يحلق لحيته كما يفعل طائفة من الروم رأيته بها وسنذكره ان شاء الله وأمير التجار بها ابراهيم شاه بندر من أهل البحرين فاضل ذو مكارم يجتمع اليه التجار ويأكلون فى سماطه وقاضيها فخر الدين عثمان فاضل كريم وصاحب الزاوية بها الشيخ شهاب الدين الكازرونى وله تعطى النذور التى ينذر بها أهل الهند والصين

للشيخ أبي اسحاق الكازروني نفع الله به وبهذه المدينة الناخودة مثقال الشهير الاسم صاحب الاموال الطائلة والمراكب الكثيرة لتجارته بالهند والصين واليمن وفارس ولما وصلنا الى هذه المدينة خرج الينا ابراهيم شاه بندر والقاضي والشيخ شهاب الدين وكبار التجار ونائب السلطان الكافر المسمى بقلاج (بضم القاف وآخره جيم) ومعهم الاطبال والانفار والابواق والاعلام في مراكبهم ودخلنا المرسى في بروز عظيم ما رأيت مثله بتلك البلاد فكانت فرحة تتبعها ترحة وأقمنا بمرساها وبه يومئذ ثلاثة عشر من مراكب الصين ونزلنا بالمدينة وجعل كل واحد منا في دار وأقمنا ننتظر زمان السفر الى الصين ثلاثة أشهر ونحن في ضيافة الكافر وبحر الصين لا يسافر فيه الا بمراكب الصين ولنذكر ترتيبها

— ذكر مراكب الصين —

ومراكب الصين ثلاثة أصناف الكبار منها تسمى الجنوك واحدها جنك (بجيم معقود مضموم ونون ساكن) والمتوسطة تسمى الزو (بفتح الزاي وواو) والصغار يسمى أحدها الككم (بكافين مفتوحين) ويكون في المركب الكبير منها اثنا عشر قلعا فما دونها الى ثلاثة وقلعها من قضبان الخيزران منسوجة كالحصر لا تحط أبدا ويديرونها بحسب دوران الريح واذا أرسوا تركوها واقفة في مهب الريح ويخدم في المركب منها ألف رجل منهم البحرية ستمائة ومنهم أربعمائة من المقاتلة تكون فيهم الرماة واصحاب الدرق والجرخية وهم الذين يرمون بالنفط ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة النصفي والثلثي والربعي ولا تصنع هذه المراكب الا بمدينة الزيتون من الصين أو بصين كلان وهي صين الصين وكيفية انشائها انهم يصنعون حائطين من الخشب يصلون ما بينهما بخشب ضخام جدا موصولة بالعرض والطول بمسامير ضخام طول المسمار منها ثلاثة اذرع فاذا التأم الحائطان بهذه الخشب صنعوا على اعلاهما فرش المركب الاسفل ودفعوهما في البحر واتموا عمله وتبقى تلك الخشب والحائطان موالية للماء ينزلون اليها فيغتسلون ويقضون حاجتهم وعلى جوانب تلك الخشب يكون مجاذيفهم وهي كبار كالصواري يجتمع على أحدها العشرة والخمسة عشر رجلا ويجذفون وقوفا على اقدامهم ويجعلون المركب أربعة ظهور ويكون فيه البيوت والمصاري والغرف للتجار والمصرية منها يكون فيها البيوت والسنداس وعليها المفتاح يسدها صاحبها ويحمل معه الجواري والنساء وربما كان الرجل في مصريته فلا يعرف به غيره ممن يكون بالمركب حتى يتلاقيا اذا وصلا الى بعض البلاد والبحرية يسكنون فيها أولادهم ويزدرعون الخضر والبقول والزنجبيل في احواض خشب ووكيل المركب كأنه أمير كبير واذا نزل الى البر مشت الرماة والحبشة بالحراب

والسيوف والاطبال والابواق والانفار امامه واذا وصل الى المنزل الذى يقيم به ركزوا رماحهم عن جانبي بابه ولا يزالون كذلك مدة اقامته ومن أهل الصين من تكون له المراكب الكثيرة يبعث بها وكلاءه الى البلاد وليس فى الدنيا أكثر أموالا من أهل الصين

— ذكر أخذنا فى السفر الى الصين ومنتهى ذلك —

ولما حان وقت السفر الى الصين جهز لنا السلطان السامرى جنكا من الجنوك الثلاث عشر التي بمرسى قالقوط وكان وكيل الجنك يسمي بسليمان الصفدى الشامى وبيني وبينه معرفة فقلت له أريد مصرية لا يشاركنى فيها أحد لاجل الجوارى ومن عادتى ان لا أسافر الا بهن فقال لى ان تجار الصين قد أكتروا المصارى ذاهبين وراجعين ولصهرى مصرية أعطيتها لكنها لا سنداس فيها وعسى ان تمكن معاوضتها فامرت أصحابى فاوسقوا ما عندى من المتاع وصعد العبيد والجوارى الى الجنك وذلك فى يوم الخميس وأقمت لاصلي الجمعة والحق بهم وصعد الملك سنبل وظهير الدين مع الهدية ثم ان فتى لى يسمى بهلال أتانى غدوة الجمعة فقال ان المصرية التي أخذناها بالجنك ضيقة لا تصلح فذكرت ذلك للناخودة فقال ليست فى ذلك حيلة فان أحببت ان تكون فى الككم ففيه المصارى على اختيارك فقلت نعم وأمرت أصحابى فنقلوا الجوارى والمتاع الى الككم واستقروا به قبل صلاة الجمعة وعادة هذا البحر ان يشتد هيجانه كل يوم بعد العصر فلا يستطيع احد ركوبه وكانت الجنوك قد سافرت ولم يبق منها الا الذي فيه الهدية وجنك عزم أصحابه على ان يشتوا بفندرينا والككم المذكور فبتنا ليلة السبت على الساحل لا نستطيع الصعود الى الككم ولا يستطيع من فيه النزول الينا ولم يكن بقى معي الا بساط افترشه وأصبح الجنك والككم يوم السبت على بعد من المرسى ورمى البحر بالجنك الذى كان اهله يريدون فندرينا فتكسر ومات بعض اهله وسلم بعضهم وكانت فيه جارية لبعض التجار عزيزة عليه فرغب فى أعطاء عشرة دنانير ذهبا لمن يخرجها وكانت قد التزمت خشبة فى مؤخر الجنك فانتدب لذلك بعض البحرية الهرمزيين فاخرجها وأبى ان ياخذ الدنانير وقال انما فعلت ذلك لله تعالى ولما كان الليل رمي البحر بالجنك الذى كانت فيه الهدية فمات جميع من فيه ونظرنا عند الصباح الى مصارعهم ورايت ظهير الدين قد انشق رأسه وتناثر دماغه والملك سنبل قد ضرب مسمار فى أحد صدغيه ونفذ من الآخر وصلينا عليهما ودفناهما ورأيت الكافر سلطان قالقوط وفى وسطه شقة بيضاء كبيرة قد لفها من سرته الى ركبته وفى رأسه عمامة صغيرة وهو حافى القدمين والشطر بيد غلام فوق رأسه والنار توقد بين يديه فى الساحل وزبانيته

يضربون الناس لئلا ينتهبوا مايرمي البحر وعادة بلاد المليبار ان كل ماانكسر من مركب يرجع مايخرج منه للمخزن الا في هذا البلد خاصة فان ذلك ياخذه أربابه ولذلك عمرت وكثر ترددالناس اليها ولما رآي اهل الككم ماحدث على الجنك رفعوا قلعهم وذهبوا ومعهم جميع متاعي وغلماني وجواري وبقيت منفردا على الساحل ليس معي الافتي كنت أعتقته فلما رأى ماحل بي ذهب عني ولم يبق عندى الاالعشرة الدنانير التي اعطانيها الجوكي والبساط التي كنت افترشه واخبرني الناس ان ذلك الككم لابدله ان يدخل مرسى كولم فعزمت على السفر اليها وبينهما مسيرة عشر في البرا وفي النهر ايضا لمن أراد ذلك فسافرت في النهروا كتريت رجلا من المسلمين يحمل لي البساط وعادتهم اذاسافروا في ذلك النهر أن ينزلوا بالعشي فيبيتوا بالقرى التي على حافتيه ثم يعودوا الى المركب بالغدو فكنا نفعل ذلك ولم يكن بالمركب مسلم الاالذى اكتريته وكان يشرب الخمر عند الكفار اذا نزلنا ويعربد علي فيزيد تغيير خاطرى ووصلنا في اليوم الخامس من سفرنا الى كنجي كرى (وضبط اسمها بكاف مضموم ونون ساكن وجيم وياء مد وكاف مفتوح وراء مكسور وياء) وهي باعلى جبل هنالك يسكنها اليهود ولهم أمير منهم ويؤدون الجزية لسلطان كولم

— ذكر القرفة والبقم —

وجميع الاشجار التي على هذا النهر أشجار القرفة والبقم وهي حطبهم هنالك ومنها كنا نقد النار لطبخ طعامنا في ذلك الطريق وفي اليوم العاشر وصلنا الى مدينة كولم (وضبط اسمها بفتح الكاف واللام وبينهما واو)وهي من احسن بلاد المليبار واسواقها حسان وتجارها يعرفون بالصوليين (بضم الصاد) لهم اموال عريضة يشترى احدهم المركب بما فيه ويوسقه من داره بالسلع وبهامن التجار المسلمين جماعة كبيرهم علاء الدين الاوجي من اهل آواة من بلاد العراق وهو رافضي ومعه اصحاب له على مذهبه وهم يظهرون ذلك وقاضيها فاضل من اهل قزوين وكبير المسلمين بها محمد شاه بندر وله اخ فاضل كريم اسمه تقي الدين والمسجد الجامع بها عجيب عمره التاجر خواجه مهزب وهذه المدينة اول مايوالي الصين من بلاد المليبار واليها يسافر اكثرهم والمسلمون بها اعزة محترمون

— ذكر سلطانها —

وهو كافر يعرف بالتيروري (بكسر التاء المعلوة وياء مد وراء واو مفتوحين وراء مكسور وياء) وهو معظم للمسلمين وله احكام شديدة على السراق والدعار

— حكاية —

ومما شاهدت بكولم ان بعض الرماة العراقيين قتل آخر منهم وفر الى دار الاوجي وكان له مال كثير واراد المسلمون دفن المقتول فمنعهم نواب السلطان من ذلك وقالوا لا يدفن حتى تدفعوا

لنا قاتله فيقتل به و تركوه فى تابوته على باب الاوجى حتى أنتن وتغير فمكنهم الاوجى من القاتل ورغب منهم ان يعطيهم امواله ويتركوه حيا فابوا ذلك وقتلوه وحينئذ دفن المقتول ﴿ حكاية ﴾ اخبرت ان سلطان كولم ركب يوما الى خارجها وكان طريقه فيما بين البساتين و معه صهره زوج بنته وهو من ابناء الملوك فاخذ حبة واحدة من العنبة سقطت من بعض البساتين وكان السلطان ينظر اليه فامر به عند ذلك فوسط وقسم نصفين و صلب نصفه عن يمين الطريق و نصفه الآخر عن يساره و قسمت حبة العنبة نصفين فوضع على كل نصف منه نصف منها و ترك هنالك عبرة للناظرين

— حكاية —

ومما اتفق نحو ذلك بقالقوط ان ابن أخي النائب عن سلطانها غصب سيفا لبعض تجار المسلمين فشكا بذلك الى عمه فوعده بالنظر في امره وقعد على باب داره فاذا بابن أخيه متقلد ذلك السيف فدعاه فقال هذا سيف المسلم قال نعم قال اشتريته منه قال لا فقال لاعوانه امسكوه ثم امر به فضربت عنقه بذلك السيف وأقمت بكولم مدة بزاوية الشيخ فخر الدين ابن الشيخ شهاب الدين الكازروني شيخ زاوية قالقوط فلم أتعرف للككم خبرا وفى أثناء مقامي بها دخل اليها ارسال ملك الصين الذين كانوا معنا وكانوا مع أحد تلك الجنوك فانكسر أيضا فكساهم تجار الصين وعادوا الى بلادهم ولقيتهم بها بعد واردت أن أعود من كولم الى السلطان لا علمه بما اتفق على الهدية ثم خفت ان يتعقب فعلي ويقول لم فارقت الهدية فعزمت على العودة الى السلطان جمال الدين الهنوري وأقيم عنده حتى أتعرف خبر الككم فعدت الى قالقوط ووجدت بها بعض مراكب السلطان فبعث فيها أميرا من العرب يعرف بالسيد أبي الحسن وهو من البرددارية وهم خواص البوابين بعثه السلطان باموال يستجلب بها من قدر عليه من العرب من أرض هرمز والقطيف لمحبته فى العرب فتوجهت الى هذا الامير ورأيته عازما على ان يشتو بقالقوط وحينئذ يسافر الى بلاد العرب فشاورته في العودة الى السلطان فلم يوافق على ذلك فسافرت بالبحر من قالقوط وذلك آخر فصل السفر فيه فكنا نسير نصف النهار الاول ثم نرسو الى الغدو لقينا فى طريقنا أربعة أجفان غزوية فخفنا منها ثم لم يتعرضوا لنا بشر ووصلنا الى مدينة هنور فنزلت الى السلطان وسلمت عليه فانزلني بدار ولم يكن لي خديم وطلب مني ان أصلي معه الصلوات فكان أكثر جلوسي في مسجده وكنت أختم القرآن كل يوم ثم كنت أختم مرتين فى اليوم أبتدىء القراءة بعد صلاة الصبح فاختم عند الزوال وأجدد الوضوء وأبتدىء القراءة فاختم الختمة الثانية عند الغروب ولم أزل كذلك مدة ثلاثة اشهر واعتكفت فيها أربعين يوما

— ذكر توجهنا الى الغزو وفتح سندابور —

وكان السلطان جمال الدين قد جهز اثنين وخمسين مركبا وسفرته برسم غزو سندابور وكان وقع بين سلطانها وولده خلاف فكتب ولده الى السلطان جمال الدين ان يتوجه لفتح سندابور ويسلم الولد المذكور ويزوجه السلطان اخته فلما تجهزت المراكب ظهر لى ان أتوجه فيها الى الجهاد ففتحت المصحف انظر فيه فكان فى أول الصفح يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره فاستبشرت بذلك وأتي السلطان الى صلاة العصر فقلت له إني أريد السفر فقال فانت اذا تكون أميرهم فاخبرته بما خرج لى فى أول الصفح فاعجبه ذلك وعزم على السفر بنفسه ولم يكن ظهر له ذلك قبل فركب مركبا منها وانا معه وذلك فى يوم السبت فوصلنا عشي الاثنين الى سندابور ودخلنا خورها فوجدنا أهلها مستعدين للحرب وقد نصبوا المجانيق فبتنا عليها تلك الليلة فلما أصبح ضربت الطبول والانفار والابواق وزحفت المراكب ورمت عليها بالمجانيق فلقد رأيت حجرا أصاب بعض الواقفين بمقربة من السلطان ورمى أهل المراكب أنفسهم فى الماء وبايديهم الترسة والسيوف ونزل السلطان الى العكيري وهو شبه الشلير ورميت بنفسي فى الماء فى جملة الناس وكان عند ناطريدتان مفتوحتي المواخر فيها الخيل وهي بحيث يركب الفارس فرسه فى جوفها ويتدرع ويخرج ففعلوا ذلك واذن الله فى فتحها وانزل النصر على المسلمين فدخلنا بالسيف ودخل معظم الكفار فى قصر سلطانها فرمينا النار فيه فخرجوا وقبضنا عليهم ثم ان السلطان أمنهم ورد لهم نساءهم وأولادهم وكانوا نحو عشرة آلاف وأسكنهم بربض المدينة وسكن السلطان القصر وأعطى الديار بمقربة منه لاهل دولته وأعطانى جارية منهن تسمي لمكي فسميتها مباركة وأراد زوجها فداءها فابيت وكساني فرجية مصرية وجدت فى خزائن الكافر وأقمت عنده بسندابور من يوم فتحها وهو الثالث عشر لجمادى الاولى الى منتصف شعبان وطلبت منه الاذن فى السفر فاخذ على العهد فى العودة اليه وسافرت فى البحر الى هنور ثم الى فاكنور ثم الى منجرور ثم الى هيلى ثم الى جرفتن وده فتن وبدفتن وفندرينا وقالقوط وقد تقدم ذكر جميعها ثم الى مدينة الشاليات (وهى بالشين المعجم وألف ولام وياء آخر الحروف وألف وتاء معلوة) مدينة من حسان المدن تصنع بها الثياب المنسوبة لها وأقمت بها فطال مقامى فعدت الى قالقوط ووصل اليها غلامان كانا لى بالكم فاخبراني ان الجارية التى كانت حاملا وبسببها كان تغير خاطرى توفيت وأخذ صاحب الجاوة سائر الجوارى واستولت الايدي على المتاع وتفرق أصحابى الى الصين والجاوة وبنجالة فعدت لما تعرفت هذا الى هنور ثم الى سندابور فوصلتها فى آخر المحرم وأقمت بها

الى الثاني من شهر ربيع الآخر وقدم سلطانهم الكافر الذى دخلنا عليه برسم أخذها وهرب اليه الكفار كلهم وكانت عساكر السلطان متفرقة فى القرى فانقطعوا عنا وحصرنا الكفار وضيقوا علينا ولما اشتد الحال خرجت عنها وتركتها محصورة وعدت الى قالقوط وعزمت على السفر الى ذيبة المهل وكنت أسمع باخبارها فبعد عشرة أيام من ركوبنا البحر بقالقوط وصلنا جزائر ذيبة المهل وذيبة على لفظ مؤنث الذيب والمهل (بفتح الميم والهاء) وهذه الجزائر احدى عجائب الدنيا وهي نحو ألفى جزيرة ويكون منها مائة فما دونها مجتمعات مستديرة كالحلقة لها مدخل كالباب لا تدخل المراكب الامنه واذا وصل المركب الى احداها فلا بدله من دليل من أهلها يسير به الى سائر الجزائر وهى من التقارب بحيث تظهر رؤس النخل التي باحداها عند الخروج من الاخرى فان أخطا المركب سمتها لم يمكنه دخولها وحملته الريح الى المعبر او سيلان وهذه الجزائر أهلها كلهم مسلمون ذوو ديانة وصلاح وهى منقسمة الى أقاليم على كل إقليم وال يسمونه الكردوبي ومن أقاليمها اقليم بالبور (وهو بباءين معقودتين وكسر اللام وآخره راء) ومنها كنلوس (بفتح الكاف والنون مع تشديدها وضم اللام وواو وسين مهمل)ومنها اقليم المهل وبه تعرف الجزائر كلها وبها يسكن سلاطينها ومنها اقليم تلاديب (بفتح التاء المعلوة واللام وألف ودال مهمل وياء مد وباء موحدة) ومنها اقليم كرايدو (بفتح الكاف والراء وسكون الياء المسفولة وضم الدال المهمل وواو) ومنها اقليم التيم(بفتح التاء المعلوة وسكون الياء المسفولة) ومنها اقليم تلدمتى (بفتح التاء المعلوة الاولى واللام وضم الدال المهمل وفتح الميم وتشديدها وكسر التاء الاخري وياء ومنها اقليم هلدمتى وهو مثل لفظ الذى قبله الا أن الهاء أوله ومنها اقليم بريدو (بفتح الباء الموحدة والراء وسكون الياء وضم الدال المهمل وواو) ومنها اقليم كندكل (بفتح الكافين والدال المهمل وواو) ومنها اقليم ملوك (بضم الميم) ومنها اقليم السويد (بالسين المهمل)وهو أقصاها وهذه الجزائر كلها لا زرع بها الا أن فى اقليم السويد منها زرعا يشبه انلى ويجلب منه الى المهل وانما أكل أهلها سمك يشبه الليرون يسمونه قلب الماس (بضم القاف) ولحمه أحمر ولا زفر له انما ريحه كريح لحم الانعام واذا اصطادوه قطعوا السمكة منه أربع قطع وطبخوه يسيرا ثم جعلوه فى مكاتيل من سعف النخل وعلقوه للدخان فاذا استحكم يبسه أكلوه ويحمل منها الى الهند والصين واليمن ويسمونه قلب الماس (بضم القاف)

ذكر أشجارها

ومعظم أشجار هذه الجزائر النارجيل وهو من أقواتهم مع السمك وقد تقدم ذكره

وأشجار النارجيل شأنها عجيب وتثمر النخل منها اثني عشر عذقا فى السنة يخرج فى كل شهر عذق فيكون بعضها صغيرا وبعضها كبيرا وبعضها يابسا وبعضها أخضر هكذا أبدا ويصنعون منها الحليب والزيت والعسل حسبما ذكرنا ذلك فى السفر الاول ويصنعون من عسله الحلواء فيأكلونها مع الجوز اليابس منه ولذلك كله وللسمك الذى يغتذون به قوة عجيبة فى الباءة لا نظير لها ولاهل هذه الجزائر عجب فى ذلك ولقد كان لى بها أربع نسوة وجوار سواهن فكنت أطوف على جميعهن كل يوم وأبيت عند من تكون ليلتها وأقمت بها سنة ونصف أخرى على ذلك ومن أشجارها الجموح والاترج والليمون والقلقاص وهم يصنعون من أصوله دقيقا يعملون منه شبه الاطرية ويطبخونها بحليب النارجيل وهى من أطيب طعام كنت أستحسنها كثيرا وآكلها

— ذكر أهل هذه الجزائر وبعض عوائدهم وذكر مساكنهم —

وأهل هذه الجزائر أهل صلاح وديانة وايمان صحيح ونية صادقة أكلهم حلال ودعاؤهم مجاب واذا رأى الانسان أحدهم قال له الله ربى ومحمد نبيي وأنا أمى مسكين وأبدانهم ضعيفة ولا عهد لهم بالقتال والمحاربة وسلاحهم الدعاء ولقد أمرت مرة بقطع يد سارق بها فغشى على جماعة منهم كانوا بالمجلس ولا تطرقهم لصوص الهند ولا تذعرهم لانهم جربوا ان من أخذ لهم شيئا أصابته مصيبة عاجلة واذا أتت أجفان العدو الى ناحيتهم أخذوا من وجدوا من غيرهم ولم يتعرضوا الاحد منهم بسوء وان أخذ أحد الكفار ولو ليمونة عاقبه أمير الكفار وضربه الضرب المبرح خوفا من عاقبة ذلك ولولا هذا لكانوا أهون الناس على قاصدهم بالقتال لضعف بنيتهم وفى كل جزيرة من جزائرهم المساجد الحسنة وأكثر عماراتهم بالخشب وهم أهل نظافة وتنزه عن الاقذار وأكثرهم يغتسلون مرتين فى اليوم تنظفا لشدة الحر بها وكثرة العرق ويكثرون من الادهان العطرية كالصندلية وغيرها ويتلطخون بالغالية المجلوبة من مقدشو ومن عادتهم انهم اذا صلوا الصبح أتت كل امرأة الى زوجها أو ابنها بالمكحلة وبماء الورد ودهن الغالية فيكحل عينيه ويدهن بماء الورد ودهن الغالية فتصقل بشرته وتزيل الشحوب عن وجهه ولباسهم فوط يشدون الفوطة منها على أوساطهم عوض السراويل ويجعلون على ظهورهم ثياب الوليان (بكسر الواو وسكون اللام وياء آخر الحروف) وهي شبه الاحاريم وبعضهم يجعل عمامة وبعضهم منديلا صغيرا عوضا منها واذا لقي أحدهم القاضى أو الخطيب وضع ثوبه عن كتفيه وكشف ظهره ومضى معه كذلك حتى يصل الى منزله ومن عوائدهم انه اذا تزوج الرجل منهم ومضى الى دار زوجته بسطت له ثياب

القطن من باب دارهـا الى باب البيت وجعل عليها غرفات من الودع عن يمين طريقـه الى البيت وشماله وتكون المرأة واقفة عند باب البيت تنتظره فاذا وصل اليها رمت على رجليه ثوبا يأخذه خدامه وان كانت المرأة هي التي تاتي الى منزل الرجل بسطت داره وجعل فيها الودع ورمت المرأة عند الوصول اليه الثوب على رجليه وكذلك عادتهم فى السلام على السلطان عندهم لا بد من ثوب يرمى عند ذلك وسنذكره وبنيانهم بالخشب ويجعلون سطوح البيوت مرتفعة عن الارض توقيا من الرطوبات لان أرضهم ندية وكيفية ذلك ان ينحتوا حجارة يكون طول الحجر منها ذراعين او ثلاثة ويجعلونها صفوفا ويعرضون عليها خشب النارجيل ثم يصنعون الحيطان من الخشب ولهم صناعة عجيبة فى ذلك ويبنون في اسطوان الدار بيتا يسمونه المالم (بفتح اللام) يجلس الرجل به مع أصحـابه ويكون له بابان أحدهما الى جهـة الاسطوان يدخل منه الناس والآخر الى جهة الدار يدخل منه صاحبها ويكون عند هذا البيت خابية مملوءة ماء ولها مستقي يسمونه الوالج (بفتح الواو واللام وسكون النون وجيم) هو من قشر جوز النارجيل وله نصاب طوله ذراعان وبه يسقون الماء من الآبار لقربها وجميعهم حفاة الاقدام من رفيع ووضيع وأزقتهم مكنوسة نقية تظللها الاشجار فالماشي بها كأنه فى بستان ومع ذلك لا بد لكل داخل الى الدار ان يغسل رجليه بالماء الذى فى الخـابية بالمالم ويمسحها بحصير غليظ من الليف يكون هنالك ثم يدخل بيته وكذلك يفعل كل داخل الى المسجد ومن عوائدهم اذا قدم عليهم مركب أن تخرج اليه الكنادر وهي القوارب الصغار واحدها كندرة (بضم الكاف والدال) وفيها أهل الجزيرة معهم التنبول والكزنبه وهي جوز النارجيل الاخضر فيعطي الانسان منهم ذلك لمن شاء من أهل المركب ويكون نزيله ويحمل أمتعته الى داره كأنه بعض أقربائه ومن اراد التزوج من القادمين عليهم تزوج فاذا حان سفره طلق المرأة لانهن لا يخرجن عن بلادهن ومن لم يتزوج فالمرأة التى ينزل بدارها تطبخ له وتخدمه وتزوده اذا سافر وترضى منه فى مقـابلة ذلك بايسر شيء من الاحسان وفائدة المخزن ويسمونه البندر أن يشتري من كل سلعة بالمركب حظا بسوم معلوم سواء كانت السلعـة تساوي ذلك أو اكثر منه ويسمونه شرع البندر ويكون للبندر بيت فى كل جزيرة من الخشب يسمونه البجنصار (بفتح الباء الموحدة والجيم وسكون النون وفتح الصـاد المهمل وآخره راء) يجمـع به الوالى وهو الكردورى جميع سلعه ويبيع بهـا ويشرى وهم يشترون الفخار اذا جلب اليهم بالدجاج فتبـاع عندهم القدر بخمس دجاجات وست وتحمل المراكب من هذه الجزائر السمك الذي ذكرناه وجوز النارجيل والفوط والوليان والعمائم وهى

من القطن ويحملون منها أو أني النحاس فانها عندهم كثيرة ويحملون الودع ويحملون القنبر (بفتح القاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة والراء) وهو ليف جوز النارجيل وهم يدبغونه في حفر على الساحل ثم يضربونه بالمرازب ثم يغزله النساء وتصنع منه الحبال لخياطة المراكب وتحمل الى الصين والهند واليمن وهو خير من القنب وبهذه الحبال تخاط مراكب الهند واليمن لان ذلك البحر كثير الحجارة فان كان المركب مسمرا بمسامير الحديد صدم الحجارة فانكسر واذا كان مخيطا بالحبال أعطى الرطوبة فلم ينكسر وصرف أهل هذه الجزائر الودع وهو حيوان يلتقطونه في البحر ويضعونه فى حفر هنالك فيذهب لحمه ويبقى عظمه أبيض ويسمون المائة منه سياه (بسين مهمل وياء آخر الحروف) ويسمون السبعمائة منه الفال (بالفاء) ويسمون الاثني عشر ألفا منه الكتى (بضم الكاف وتشديد التاء المعلوة) ويسمون المائة ألف منه بستو (بضم الباء الموحدة والتاء المعلوة وبينهما سين مهمل) ويباع بها بقيمة اربعة بساتي بدينار من الذهب وربما رخص حتي يباع عشر بساتى منه بدينار ويبيعونه من أهل بنجالة بالارز وهو أيضا صرف أهل بلاد بنجالة ويبيعونه من أهل اليمن فيجعلونه عوض الرمل فى مراكبهم وهذا الودع ايضا هو صرف السودان فى بلادهم رأيته يباع بمالى وجوجو بحساب ألف ومائة وخمسين للدينار الذهبي

— ذكر نسائها —

ونساؤها لا يغطين رؤسهن ولا سلطانتهم تغطى رأسها ويمشطن شعورهن ويجمعنها الى جهة واحدة ولا يلبس أكثرهن الا فوطة واحدة تسترها من السرة الى أسفل وسائر أجسادهن مكشوفة وكذلك يمشين فى الاسواق وغيرها ولقد جهدت لما وليت القضاء بها ان أقطع تلك العادة وآمرهن باللباس فلم أستطع ذلك فكنت لا تدخل الى منهن امرأة فى خصومة الا مستترة الجسد وماعدا ذلك لم تكن لى عليه قدرة ولباس بعضهن قمص زائدة على الفوطة وقمصهن قصار الاكمام عراضها وكان لى جوار كسوتهن لباس أهل دهلي يغطين رؤسهن فعابهن ذلك أكثر مما زانهن اذ لم يتعودنه وحليهن الاساور تجعل المرأة منها جملة فى ذراعيها بحيث تملأ ما بين الكوع والمرفق وهي من الفضة ولا يجعل أساور الذهب الا نساء السلطان وأقاربه ولهن الخلاخيل ويسمونها البايل (بباء موحدة وألف وياء آخر الحروف مكسورة) وقلائد ذهب يجعلنها على صدورهن ويسمونها البسدر (بالباء الموحدة وسكون السين المهمل وفتح الدال المهمل والراء) ومن عجيب أفعالهن انهن يؤجرن أنفسهن للخدمة بالديار على عدد معلوم من خمسة دنانير فادونها على مستاجرهن نفقتهن ولا يرين ذلك عيبا ويفعله أكثر

بناتهم فتجد فى دار الانسان الغني منهن العشرة والعشرين وكل ماتكسره من الأواني يحسب عليها قيمته واذا أرادت الخروج من دار الى دار أعطاها أهل الدار التى تخرج اليها العدد الذى هى مرتهنة فيه فتدفعه لاهل الدار التي خرجت منها ويبقي عليها للآخرين وأكثر شغل هؤلاء المستأجرات غزل القنبر والتزوج بهذه الجزائر سهل لنزارة الصداق وحسن معاشرة النساء وأكثر الناس لا يسمي صداقا انما تقع الشهادة ويعطى صداق مثلها واذا قدمت المراكب تزوج أهلها النساء فاذا أرادوا السفر طلقوهن وذلك نوع من نكاح المتعة وهن لا يخرجن عن بلادهن أبدا ولم أر فى الدنيا أحسن معاشرة منهن ولا تكل المرأة عندهم خدمة زوجها الى سواها بل هى تأتيه بالطعام وترفعه من بين يديه وتغسل يده وتأتيه بالماء للوضوء وتغمز رجليه عند النوم ومن عوائدهن أن لا تأكل المرأة مع زوجها ولا يعلم الرجل ما تأكله المرأة ولقد تزوجت بها نسوة فأكل معي بعضهن بعد محاولة وبعضهن لم تأكل معي ولا استطعت ان أراها تأكل ولا نفعتني حيلة فى ذلك

— ذكر السبب في إسلام أهل هذه الجزائر —

— وذكر العفاريت من الجن التي تضربها فى كل شهر —

حدثني الثقات من أهلها كالفقيه عيسى اليمني والفقيه المعلم علي والقاضى عبد الله وجماعة سواهم أن هذه الجزائر كانوا كفاراً وكان يظهر لهم فى كل شهر عفريت من الجن يأتي من ناحية البحر كأنه مركب مملوء بالقناديل وكانت عادتهم اذا رأوه أخذوا جارية بكرا فزينوها وادخلوها الى بدخانة وهي بيت الاصنام وكان مبنيا على ضفة البحر وله طاق ينظر اليه منه ويتركونها هنالك ليلة ثم يأتون عند الصباح فيجدونها مفتضة ميتة ولا يزالون فى كل شهر يقترعون بينهم فمن أصابته القرعة أعطي بنته ثم انه قدم عليهم مغربي يسمى بابي البركات البربري وكان حافظا للقرآن العظيم فنزل بدار عجوز منهم بجزيرة المهل فدخل عليها يوما وقد جمعت أهلها وهن يبكين كانهن فى مأتم فاستفهمهن عن شأنهن فلم يفهمنه فاتى ترجمان فاخبره أن العجوز كانت القرعة عليها وليس لها الا بنت واحدة يقتلها العفريت فقال لها أبو البركات أنا أتوجه عوضا من بنتك بالليل وكان سناطا لا لحية له فاحتملوه تلك الليلة وأدخلوه الى بدخانة وهو متوضيء واقام يتلو القرآن ثم ظهر له العفريت من الطاق فداوم التلاوة فلما كان منه بحيث يسمع القراءة غاص فى البحر وأصبح المغربي وهو يتلو على حاله فجاءت العجوز وأهلها وأهل الجزيرة ليستخرجوا البنت على عادتهم فيحرقوها فوجدوا المغربي يتلو فمضوا به الى ملكهم وكان يسمى شنورازة (بفتح الشين المعجم

وضم النون وواو وراء والف وزاى وهاء) واعلموه بخبره فعجب منه وعرض المغربي عليه الاسلام ورغبه فيه فقال له أقم عندنا الى الشهر الآخر فان فعلت كفعلك ونجوت من العفريت أسلمت فأقام عندهم وشرح الله صدر الملك للاسلام فأسلم قبل تمام الشهر وأسلم أهله وأولاده وأهل دولته ثم حمل المغربي لما دخل الشهر الى بدخانة ولم يأت العفريت فجعل يتلو حتى الصباح وجاء السلطان والناس معه فوجدوه على حاله من التلاوة فكسروا الاصنام وهدموا بدخانة وأسلم أهل الجزيرة وبعثوا الى سائر الجزائر فأسلم أهلها وأقام المغربي عندهم معظما وتمذهبوا بمذهبه مذهب الامام مالك رضي الله عنه وهم الى هذا العهد يعظمون المغاربة بسببه وبني مسجداً هو معروف باسمه وقرأت على مقصورة الجامع منقوشا في الخشب أسلم السلطان أحمد شنورازة على يد أبي البركات البربري المغربي وجعل ذلك السلطان ثلث مجابي الجزائر صدقة على أبناء السبيل إذ كان إسلامه بسببهم فسمى على ذلك حتى الآن وبسبب هذا العفريت خرب من هذه الجزائر كثير قبل الاسلام ولما دخلناها لم يكن لي علم بشأنه فبينا أنا ليلة في بعض شأني اذ سمعت الناس يجهرون بالتهليل والتكبير ورأيت الاولاد على رؤسهم المصاحف والنساء يضربون في الطسوت وأواني النحاس فعجبت من فعلهم وقلت ما شأنكم فقالوا ألا تنظر الى البحر فنظرت فاذا مثل المركب الكبير وكأنه مملوء سرجا ومشاعل فقالوا ذلك العفريت وعادته أن يظهر مرة في الشهر فاذا فعلنا ما رأيت انصرف عنا ولم يضرنا

— ذكر سلطانة هذه الجزائر —

ومن عجائبها إن سلطانتها امرأة وهي خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر بن السلطان صلاح الدين صالح البنجالي وكان الملك لجدها ثم لابيها فلما مات أبوها ولي أخوها شهاب الدين وهو صغير السن فتزوج الوزير عبد الله بن محمد الحضرمي أمه وغلب عليه وهو الذي تزوج أيضا هذه السلطانة خديجة بعد وفاة زوجها الوزير جمال الدين كما سنذكره فلما بلغ شهاب الدين مبلغ الرجال أخرج ربيبه الوزير عبد الله ونفاه الى جزائر السويد واستقل بالملك واستوزر أحد مواليه ويسمى علي كلكي ثم عزله بعد ثلاثة أعوام ونفاه الى السويد وكان يذكر عن السلطان شهاب الدين المذكور انه يختلف الى حرم أهل دولته وخواصه بالليل فخلعوه لذلك ونفوه الى اقليم هلدتني وبعثوا من قتله بها ولم يكن بقي من بيت الملك الا اخواته خديجة الكبري ومريم وفاطمة فقدموا خديجة سلطانة وكانت متزوجة لخطيبهم جمال الدين فصار وزيرا وغالبا على الامر وقدم ولده محمد للخطابة عوضا منه ولكن الاوامر

انما تنفذ باسم خديجة وهم يكتبون الاوامر فى سعف النخل بحديدة معوجة شبه السكين ولا يكتبون فى الكاغد الا المصاحف وكتب العلم ويذكرها الخطيب يوم الجمعة وغيرها فيقول اللهم انصر أمتك التى اخترتها على علم على العالمين وجعلتها رحمة لكافة المسلمين ألا وهي السلطانة خديجة بنت السلطان جلال الدين ابن السلطان صلاح الدين ومن عادتهم اذا قدم الغريب عليهم ومضى الى المشور وهم يسمونه الدار فلا بد له ان يستصحب ثوبين فيخدم لجهة هذه السلطانة ويرمي باحدهما ثم يخدم لوزيرها وهو زوجها جمال الدين ويرمي بالثانى وعسكرها نحو ألف انسان من الغرباء وبعضهم بلديون ويأتون كل يوم الى الدار فيخدمون وينصرفون ومرتبهم الارز يعطاهم من البندر فى كل شهر فاذا تم الشهر أتوا الدار وخدموا وقالوا للوزير بلغ عنا الخدمة واعلم بانا أتينا نطلب مرتبنا فيؤمر لهم بها عند ذلك ويأتى أيضا الى الدار كل يوم القاضى وأرباب الخطط وهم الوزراء عندهم فيخدمون ويبلغ خدمتهم الفتيان وينصرفون

— ذكر أرباب الخطط وسيرهم —

وهم يسمون الوزير الاكبر النائب عن السلطانة كلكي (بفتح الكاف الاولى واللام) ويسمون القاضى فنديار قالوا (وضبط ذلك بفاء مفتوح ونون مسكن ودال مهمل مفتوح وياء آخر الحروف والف وراء وقاف والف ولام مضموم) واحكامهم كلها راجعة الى القاضى وهو أعظم عندهم من الناس أجمعين وأمره ممتثل كامر السلطان وأشد ويجلس على بساط فى الدار وله ثلاثة جزائر يأخذ جباها لنفسه عادة قديمة أجراها السلطان أحمد شنورازة ويسمون الخطيب هنديجرى (وضبط ذلك بفتح الهاء وسكون النون وكسر الدال وياء مدو جيم مفتوح وراء وياء) ويسمون صاحب الديوان الفاملداري (بفتح الفاء والميم والدال المهمل) ويسمون صاحب الاشغال مافاكلوا (بفتح الميم والكاف وضم اللام) ويسمون الحاكم فتنايك (بكسر الفاء وسكون التاء المثناة المعلوة وفتح النون والف وياء آخر الحروف مفتوحة أيضا وكاف) ويسمون قائد البحر مانايك (بفتح الميم والنون والياء) وكل هؤلاء يسمى وزيرا ولا سجن عندهم بتلك الجزائر انما يحبس ارباب الجرائم فى بيوت خشب هى معدة لامتعة التجار ويجعل أحدهم فى خشبة كما يفعل عندنا باسارى الروم

— ذكر وصولى الى هذه الجزائر وتنقل حالى بها —

ولما وصلت اليها نزلت منها بجزيرة كنلوس وهي جزيرة حسنة فيها المساجد الكثيرة ونزلت بدار رجل من صلحائها وأضافنى بها الفقيه على وكان فاضلا له أولاد من طلبة العلم ولقيت بها

رجلا اسمه محمد من أهل ظفار الحموض قاضيا في وقال لي إن دخلت جزيرة المهل أمسكك الوزير بها فانهم لا قاضي عندهم وكان غرضي أن أسافر منها الى المعبر وسرنديب وبنجالة ثم الى الصين وكان قدومي عليها في مركب الناخوذة عمر الهنوري وهو من الحجاج الفضلاء ولما وصلنا كنلوس أقام بها عشرا ثم اكترى كندرة يسافر فيها الى المهل بهدية للسلطانة وزوجها فأردت السفر معه فقال لا تسعك الكندرة أنت وأصحابك فان شئت السفر منفردا عنهم فدونك فأبيت ذلك وسافر فلعبت به الريح وعاد الينا بعد أربعة أيام وقد لقي شدائد فاعتذر لي وعزم علي في السفر معه بأصحابي فكنا نرحل غدوة فننزل في وسط النهار لبعض الجزائر ونرحل فنبيت بأخرى ووصلنا بعد أربعة أيام الى اقليم التيم وكان الكردوي يسمى بها هلالا فسلم علي واضافني وجاء الي ومعه أربعة رجال وقد جعل اثنان عليهم عودا على أكتافهما وعلقا منه أربع دجاجات وجعل الآخران عودا مثله وعلقا منه نحو عشر من جوز النارجيل فعجبت من تعظيمهم لهذا الشيء الحقير فأخبرت انهم صنعوه على جهة الكرامة والاجلال ورحلنا عنهم فنزلنا في اليوم السادس بجزيرة عثمان وهو رجل فاضل من خيار الناس فأكرمنا وأضافنا وفي اليوم الثامن نزلنا بجزيرة لوزير يقال له التلمذي وفي اليوم العاشر وصلنا الى جزيرة المهل حيث السلطانة وزوجها وارسينا بمرساها وعادتهم أن لا ينزل أحد عن المرسى الا باذنهم فاذنوا لنا بالنزول وأردت التوجه الى بعض المساجد فمنعني الخدام الذين بالساحل وقالوا لا بد من الدخول الى الوزير وكنت أوصيت الناخوذة ان يقول اذا سئل عني لا اعرفه خوفا من امساكهم إياي ولم أعلم ان بعض أهل الفضول قد كتب اليهم معرفا بخبري واني كنت قاضيا بدهلي فلما وصلنا الى الدار وهو المشور نزلنا في سقائف على الباب الثالث منه وجاء القاضي عيسى اليمني فسلم علي وسلمت على الوزير وجاء الناخوذة ابراهيم بعشرة أثواب فخدم لجهة السلطانة ورمي بثوب منها ثم خدم للوزير ورمي بثوب آخر كذلك ورمي بجميعها وسئل عني فقال لا أعرفه ثم اخرجوا التنبول وماء الورد وذلك هو الكرامة عندهم وأنزلنا بدار وبعث الينا الطعام وهو قصعة كبيرة فيها الارز تدور بها صحاف فيها اللحم الخليع والدجاج والسمن والسمك ولما كان بالغد مضيت مع الناخوذة والقاضي عيسى اليمني لزيارة زاوية في طرف الجزيرة عمرها الشيخ الصالح نجيب وعدنا ليلا وبعث الوزير الى صبيحة تلك الليلة كسوة وضيافة فيها الارز والسمن والخليع وجوز النارجيل والعسل المصنوع منها وهم يسمونه القرباني (بضم القاف وسكون الراء وفتح الباء الموحدة والف ونون وياء) ومعنى ذلك ماء السكر واتوا بمائة الف ودعة للنفقة وبعد عشرة أيام قدم مركب من سيلان فيه فقراء

من العرب والعجم يعرفوني فعرفوا خدام الوزير بامري فزاد اغتباطا بي وبعث عني عند استهلال رمضان فوجدت الامراء والوزراء وأحضر الطعام في موائد يجتمع على المائدة طائفة فاجلسني الوزير الى جانبه ومعه القاضي عيسى والوزير الفاملد ارى والوزير عمر دهرى ومعناه مقدم العسكر وطعامهم الارز والدجاج والسمن والسمك والخليع والموز المطبوخ ويشربون بعده عسل النارجيل مخلوطا بالافارية وهو يهضم الطعام وفي التاسع من شهر رمضان مات صهر الوزير زوج بنته وكانت قبله عند السلطان شهاب الدين ولم يدخل بها أحد منهما لصغرها فردها أبوها لداره واعطاني دارها وهي من أجمل الدور واستاذنته في ضيافة الفقراء القادمين من زيارة القدم فاذن لي في ذلك وبعث الى خمسا من الغنم وهي عزيزة عندهم لانها مجلوبة من المعبر والمليبار ومقدشو وبعث الارز والدجاج والسمن والابازير فبعثت ذلك كله الى دار الوزير سليمان ما نايك فطبخ لي بها فاحسن في طبخه وزاد فيه وبعث الفرش وأواني النحاس وأفطرنا على العادة بدار السلطانة مع الوزير واستاذنته في حضور بعض الوزراء بتلك الضيافة فقال لي وأنا أحضر أيضا فشكرته وانصرفت الى داري فاذا به قد جاء ومعه الوزراء وأرباب الدولة فجلس في قبة في خشب مرتفعة وكان كل من ياتي من الامراء والوزراء يسلم على الوزير ويرمي بثوب غير مخيط حتى اجتمع مائة ثوب أو نحوها فاخذها الفقراء وقدم الطعام فاكلوا ثم قرأ القراء بالاصوات الحسان ثم أخذوا في السماع والرقص وأعددت النار فكان الفقراء يدخلونها ويطؤنها بالاقدام ومنهم من يا كلها كما تؤكل الحلواء الى ان خمدت

ــــ ذكر بعض احسان الوزير الى ــــ

ولما تمت الليلة انصرف الوزير ومضيت معه فمررنا ببستان للمخزن فقال لي الوزير هذا البستان لك وسا عمر لك فيه دارا لسكناك فشكرت فعله ودعوت له ثم بعث لي من الغد بجارية وقال لي خديمه يقول لك الوزير ان اعجبتك هذه هي لك والا بعثت لك جارية مرهتية وكانت الجواري المرهتيات تعجبني فقلت له انما أريد المرهتية فبعثها الى وكان اسمها قل استان ومعناه زهر البستان وكانت تعرف اللسان الفارسي فاعجبتني وأهل تلك الجزائر لهم لسان لم أكن اعرفه ثم بعث الى في غد ذلك بجارية معبرية تسمي عنبرى ولما كانت الليلة بعدها جاء الوزير الى بعد العشاء الاخيرة في نفر من أصحابه فدخل الدار ومعه غلامان صغيران فسلمت عليه وسالني عن حالي فدعوت له وشكرته فالقي أحد الغلامين بين يديه لقشة (بقشة) وهي شبه السبنية وأخرج منها ثياب حرير وحقا فيه جوهر

فاعطانى ذلك وقال لى لو بعثته لك مع الجارية لقالت هو مالى جئت به من دار مولاى والان هو مالك فاعطه اياه فدعوت له وشكرته وكان أهلا للشكر رحمه الله

ذكر تغيره وما أردته من الخروج ومقامى بعد ذلك

وكان الوزير سليمان مانايك قد بعث الى ان أتزوج بنته فبعثت الى الوزير جمال الدين مستاذنا فى ذلك فعاد الى الرسول وقال لم يعجبه ذلك وهو يحب أن يزوجك بنته اذا انقضت عدتها فابيت أنا ذلك وخفت من شؤمها لانه مات تحتها زوجان قبل الدخول وأصابتني أثناء ذلك حمى مرضت بها ولابد لكل من يدخل تلك الجزيرة ان يحم فقوي عزمي على الرحلة عنها فبعت بعض الحلى بالودع واكتريت مركبا أسافر فيه لبنجالة فلما ذهبت لوداع الوزير خرج الى القاضى فقال الوزير يقول لك ان شئت السفر فاعطنا ما أعطيناك وسافر فقلت له ان بعض الحلى اشتريت به الودع فشانكم واياه فعاد الى فقال يقول انما أعطيناك الذهب ولم نعطك الودع فقلت له أنا أبيعه وآتيكم بالذهب فبعثت الى التجار ليشتروه مني فامرهم الوزير ان لا يفعلوا وقصده بذلك كله ان لا أسافر عنه ثم بعث الى أحد خواصه وقال الوزير يقول لك أقم عندنا ولك كل ما أحببت فقلت فى نفسى أنا تحت حكمهم وان لم أقم مختارا أقمت مضطرا فالاقامة باختيارى اولى وقلت لرسوله نعم انا اقيم معه فعاد اليه ففرح بذلك واستدعانى فلما دخلت اليه قام الى وعانقني وقال نحن نريد قربك وأنت تريد البعد عنا فاعتذرت له فقبل عذري وقلت له ان اردتم مقامى فانا اشترط عليكم شروطا فقال نقبلها فاشترط فقلت له انا لا أستطيع المشي على قدمى ومن عادتهم أن لا يركب أحد هنالك الا الوزير ولقد كنت لما أعطوني الفرس فركبته يتبعني الناس رجالا وصبيانا يعجبون مني حتى شكوت له فضربت الدنقرة وبرح فى الناس ان لا يتبعني أحد والدنقرة (بضم الدال المهمل وسكون النون وضم القاف وفتح الراء) شبه الطست من النحاس تضرب بحديدة فيسمع لها صوت على البعد فاذا ضربوها حينئذ يبرح فى الناس بما يراد فقال لى الوزير ان أردت ان تركب الدولة والا فعندنا حصان ورمكة فاختر أيهما شئت فاخترت الرمكة فاتونى بها فى تلك الساعة وأتونى بكسوة فقلت له وكيف أصنع بالودع الذى اشتريته فقال ابعث أحد أصحابك ليبيعه لك ببنجالة فقلت له على ان تبعث أنت من يعينه على ذلك فقال نعم فبعثت حينئذ رفيقي أبا محمد بن فرحان وبعثوا معه رجلا يسمي الحاج عليا فاتفق ان هال البحر فرموا بكل ماعندهم حتى الزاد والماء والصارى والقرية وأقاموا ست عشرة ليلة لا قلع لهم ولا سكان ولا غيره ثم خرجوا الى جزيرة سيلان بعد جوع وعطش وشدائد

وقدم على صاحبي ابو محمد بعد سنة وقدزار القدم وزارها مرة ثانية معى

— ذكر العيد الذي شاهدته معهم —

ولما تم شهر رمضان بعث الوزير الى بكسوة وخرجنا الى المصلى وقدزينت الطريق التي يمر الوزير عليها من داره الى المصلى وفرشت الثياب فيها وجعلت كتاتى الودع يمنة ويسرة وكل من له على طريقه دار من الامراء والكبار قد غرس عندها النخل الصغار من النارجيل واشجار الفوفل والموز ومد من شجر الي أخرى شرائط وعلق منها الجوز الاخضر ويقف صاحب الدار عند بابها فاذا مر الوزير رمي على رجليه ثوبا من الحرير أو القطن فيأخذها عبيده مع الودع الذي يجعل على طريقه أيضا والوزير ماش على قدميه وعليه فرجية مصرية من المرعز وعمامة كبيرة وهو متقلد فوطة حرير وفوق رأسه أربعة شطور وفى رجليه النعل وجميع الناس سواه حفاة والابواق والانفار والاطبال بين يديه والعساكر امامه وخلفه وجميعهم يكبرون حتي أتوا المصلى فخطب ولده بعد الصلاة ثم أتى بمحفة فركب فيها الوزير وخدم له الامراء والوزراء ورموا بالثياب على العادة ولم يكن ركب فى المحفة قبل ذلك لان ذلك لا يفعله الا الملوك ثم رفعه الرجال وركبت فرسي ودخلنا القصر فجلس بموضع مرتفع وعنده الوزراء والامراء ووقف العبيد بالترسة والسيوف والعصي ثم أتى بالطعام ثم الفوفل والتنبول ثم اتى بصحفة صغيرة فيها الصندل المقاصرى فاذا أكلت جماعة من الناس تلطخوا بالصندل ورأيت على بعض طعامهم يومئذ حوتا من السردين مملوحا غير مطبوخ أهدي لهم من كولم وهو من بلاد المليبار كثير فاخذ الوزير سردينة وجعل يأكلها وقال لى كل منه فانه ليس ببلادنا فقلت كيف آكله وهو غير مطبوخ فقال انه مطبوخ فقلت انا اعرف به فانه ببلادى كثير

— ذكر تزوجى وولايتي القضاء —

وفى الثاني من شوال اتفقت مع الوزير سليمان مانايك على تزوج بنته فبعثت الى الوزير جمال الدين أن يكون عقد النكاح بين يديه بالقصر فاجاب الى ذلك واحضر التنبول على العادة والصندل وحضر الناس وأبطأ الوزير سليمان فاستدعي فلم يأت ثم استدعى ثانية فاعتذر بمرض البنت فقال لى الوزير سرا أن بنته امتنعت وهى مالكة أمر نفسها والناس قد اجتمعوا فهل لك ان تتزوج بربيبة السلطان زوجة أبيها وهي التي ولده متزوج بنتها فقلت له نعم فاستدعى القاضي والشهود ووقعت الشهادة ودفع الوزير الصداق ورفعت الى بعد ايام فكانت من خيار النساء وبلغ حسن معاشرتها انها كانت اذا تزوجت عليها تطيبنى

وتبخراثوابي وهي ضاحكة لا يظهر عليها تغير ولما تزوجتها اكرهني الوزير على القضاء وسبب ذلك اعتراضي على القاضي لكونه كان يأخذ العشر من التركات اذا قسمها على أربابها فقلت له انما لك اجرة تتفق بها مع الورثة ولم يكن يحسن شيئاً فلما وليت اجتهدت جهدي في اقامة رسوم الشرع وليست هنالك خصومات كما هي ببلادنا فاول ما غيرت من عوائد السوء مكث المطلقات في ديار المطلقين وكانت احداهن لا تزال في دار المطلق حتى تتزوج غيره فحسمت علة ذلك وأتي الي بنحو خمسة وعشرين رجلاً ممن فعل ذلك فضربتهم وشهرتهم بالاسواق وأخرجت النساء عنهم ثم اشتددت في اقامة الصلوات وأمرت الرجال بالمبادرة الى الازقة والاسواق أثر صلاة الجمعة فمن وجدوه لم يصل ضربته وشهرته والزمت الائمة والمؤذنين أصحاب المرتبات المواظبة على ماهم بسبيله وكتبت الى جميع الجزائر بنحو ذلك وجهدت أن أكسو النساء فلم أقدر على ذلك

— ذكر قدوم الوزير عبدالله بن محمد الحضرمي الذي نفاه السلطان شهاب الدين الى السويد وماوقع بيني وبينه —

وكنت قد تزوجت ربيبته بنت زوجته وأحببتها حباً شديداً ولما بعث الوزير عنه ورده الى جزيرة المهل بعثت له التحف وتلقيته ومضيت معه الى القصر فسلم على الوزير وأنزله في دار جيدة فكنت أزوره بها واتفق ان اعتكفت في رمضان فزارني جميع الناس الا هو وزارني الوزير جمال الدين فدخل هو معه بحكم الموافقة فوقعت بيننا الوحشة فلما خرجت من الاعتكاف شكا الي اخوال زوجتي ربيبته أولاد الوزير جمال الدين السنجري فان أباهم أوصى عليهم الوزير عبدالله وأن مالهم باق بيده وقد خرجوا عن حجره بحكم الشرع وطلبوا احضاره بمجلس الحكم وكانت عادتي اذا بعثت عن خصم من الخصوم ابعث له قطعة كاغد مكتوبة فعند ما يقف عليها يبادر الى مجلس الحكم الشرعي والا عاقبته فبعثت اليه على العادة فاغضبه ذلك وحقدها لي واضمر عداوتي ووكل من يتكلم عنه وبلغني عنه كلام قبيح وكانت عادة الناس من صغير وكبير ان يخدموا له كما يخدمون للوزير جمال الدين وخدمتهم أن يوصلوا السبابة الى الارض ثم يقبلونها ويضعونها على رؤسهم فامرت المنادي فنادى بدار السلطان على رؤس الاشهاد أنه من خدم للوزير عبدالله كما يخدم للوزير الكبير لزمه العقاب الشديد وأخذت عليه أن لا يترك الناس لذلك فزادت عداوته وتزوجت أيضا زوجة اخرى بنت وزير معظم عندهم كان جده السلطان داود حفيد السلطان أحمد شنورازة ثم تزوجت زوجة كانت تحت السلطان شهاب الدين وعمرت

ثلاث ديار بالبستان الذي أعطانيه الوزير وكانت الرابعة وهي ربيبة الوزير عبد الله تسكن في دارها وهي احبهن الى فلما صاهرت من ذكرتهما بني الوزير واهل الجزيرة وتخوفوا مني لاجل ضعفهم وسعوا بيني وبين الوزير بالنمائم وتولى الوزير عبد الله كبر ذلك حتى تمكنت الوحشة

— ذكر انفصالي عنهم وسبب ذلك —

واتفق في بعض الايام ان عبدا من عبيد السلطان جلال الدين شكته زوجته الى الوزير واعلمته انه عند سرية من سراري السلطان يزني بها فبعث الوزير الشهود ودخلوا دار السرية فوجدوا الغلام نائما معها في فراش واحد وحبسوهما فلما أصبحت وعلمت بالخبر توجهت الى المشور وجلست في موضع جلوسي ولم اتكلم في شيء من امرها فخرج الى بعض الخواص فقال يقول لك الوزير ألك حاجة فقلت لا وكان قصده ان أتكلم في شان السرية والغلام اذا كانت عادتي ان لا تقطع قضية الا حكمت فيها فلما وقع التغير والوحشة قصرت في ذلك فانصرفت الى داري بعد ذلك وجلست بموضع الاحكام فاذا ببعض الوزراء فقال لي الوزير يقول لك انه وقع البارحة كيت وكيت لقضية السرية والغلام فاحكم فيهما بالشرع فقلت له هذه قضية لا ينبغي ان يكون الحكم فيها الا بدار السلطان فعدت اليها واجتمع الناس واحضرت السرية والغلام فامرت بضربهما للخلوة واطلقت سراح المرأة وحبست الغلام وانصرفت الى داري فبعث الوزير الى جماعة من كبراء ناسه في شان تسريح الغلام فقلت لهم اتشفعون في غلام زنجي يهتك حرمة مولاه وانتم بالامس خلعتم السلطان شهاب الدين وقتلتموه بسبب دخوله لدار غلام له وامرت بالغلام عند ذلك فضرب بقضبان الخيزران وهي أشد وقعا من السياط وشهرته بالجزيرة وفي عنقه حبل فذهبوا الى الوزير فاعلموه فقام وقعد واستشاط غضبا وجمع الوزراء ووجوه العسكر وبعث عني فجئته وكانت عادتي ان اخدم له فلم أخدم وقلت سلام عليكم ثم قلت للحاضرين اشهدوا علي اني قد عزلت نفسي عن القضاء لعجزي عنه فكلمني الوزير فصعدت وجلست بموضع اقابله فيه وجاوبته أغلظ جواب واذن مؤذن المغرب فدخل الى داره وهو يقول ويقولون اني سلطان وها انا ذا طلبته لاغضب عليه فغضب علي وانما كان اعتزازي عليهم بسبب سلطان الهند لانهم تحققوا مكانتي عنده وان كانوا على بعد منه فخوفه في قلوبهم متمكن فلما دخل الى داره بعث الى القاضي المعزول وكان جريء اللسان فقال لي ان مولانا يقول لك كيف هتكت حرمته على رؤس الاشهاد ولم تخدم له فقلت له انما كنت اخدم له حين كان قلبي طيبا عليه فلما وقع التغير تركت ذلك وتحية المسلمين انما هي السلام وقد سلمت فبعثه الي ثانية فقال انما غرضك السفر عنا فاعط صدقات النساء وديون الناس وانصرف اذا

شئت فخدمت له على هذا القول وذهبت الى وارى فخلصت مما على من الدين وكان قد اعطاني في تلك الايام فرش دار وجهازها من أواني نحاس وسواها وكان يعطيني كل ما أطلبه ويحبني ويكرمني ولكنه غير خاطره وخوف مني فلما عرف انى قد خلصت الدين وعزمت على السفر ندم على ما قاله وتلكا في الاذن لي في السفر فحلفت بالايمان المغلظة ان لا بد من سفرى ونقلت ما عندى الى مسجد على البحر وطلقت احدي الزوجات وكانت احداهن حاملا فجعلت لها اجلا تسعة اشهر ان عدت فيها والا فامرها بيدها وحملت معي زوجتى التى كانت امرأة السلطان شهاب الدين لاسلمها لابيها بجزيرة ملوك وزوجتى الاولى التي بنتها أخت السلطانة وتواقفت مع الوزيرة عمر دهرد والوزير حسن قائد البحر على ان أمضي الى بلاد المعبر وكان ملكها سلفي فآتي منها بالعساكر لترجع الجزائر الى حكمه وانوب انا عنه فيها وجعلت بيني وبينهم علامة رفع أعلام بيض فى المراكب فاذا رأوها ثاروا فى البر ولم اكن حدثت نفسى بهذا قط حتى وقع ما وقع من التغير وكان الوزير خائفا مني يقول للناس لا بد لهذا ان يأخذ الوزارة اما في حياتي او بعد موتي ويكثر السؤال عن حالى ويقول سمعت ان ملك الهند بعث اليه الاموال ليثور بها علي وكان يخاف من سفرى لئلا آتي بالجيوش من بلاد المعبر فبعث الى ان أقيم حتى يجهز لى مركبا فابيت وشكت اخت السلطانة اليها بسفر امها معي فارادت منعها فلم تقدر على ذلك فلما رأت عزمها على السفر قالت لها ان جميع ما عندك من الحلى هو من مال البندر فان كان لك شهود بان جلال الدين وهبه لك والا فرده وكان حليا له خطر فردته اليهم واتاني الوزراء والوجوه وأنا بالمسجد وطلبوا مني الرجوع فقلت لهم لولا أني حلفت لعدت فقالوا تذهب الى بعض الجزائر ليبر قسمك وتعود فقلت لهم نعم أرضاه لهم فلما كانت الليلة التي سافرت فيها اتيت لوداع الوزير فعانقني وبكى حتي قطرت دموعه على قدمي وبات تلك الليلة يحترس الجزيرة بنفسه خوفا ان يثور عليه اصهارى وأصحابى ثم سافرت ووصلت الى جزيرة الوزير على فاصابت زوجتي اوجاع عظيمة واحبت الرجوع فطلقتها وتركتها هنالك وكتبت للوزير بذلك لانها أم زوجة ولده وطلقت التي كنت ضربت لها الاجل وبعثت عن جارية كنت احبها وسرنا في تلك الجزائر من اقليم الى اقليم

ذكر النساء ذوات الثدى الواحد

وفى بعض تلك الجزائر رأيت امرأة لها ثدى واحد فى صدرها ولها ابنتان احداهما كمثلها ذات ثدي واحد والاخرى ذات ثديين الا ان أحدهما كبير فيه اللبن والآخر صغير لا لبن فيه فعجبت من شانهن ووصلنا الى جزيرة من تلك الجزائر صغيرة ليس بها الا دار واحدة فيها

رجل حائك له زوجة واولاد ونخيلات نارجيل وقارب صغير يصطاد فيه السمك ويسير به الى حيث اراد من الجزائر وفي جزيرته ايضا شجيرات موز ولم نر فيها من طيور البر غير غرابين خرجا الينا لما وصلنا الجزيرة وطافا بمركبنا فغبطت والله ذلك الرجل وودت ان لو كانت تلك الجزيرة لي فانقطعت فيها الى ان ياتيني اليقين ثم وصلت الى جزيرة ملوك حيث المركب الذي للناخوذة ابراهيم وهو الذي عزمت على السفر فيه الي المعبر فجاء الي ومعه أصحابه وأضافوني ضيافة حسنة وكان الوزير قد كتب لي أن أعطى بهذه الجزيرة مائة وعشرين بستوا من الكودة وهي الودع وعشرين قدحا من الاطوان وهو عسل النارجيل وعددا معلوما من التنبول والفوفل والسمك في كل يوم وأقمت بهذه الجزيرة سبعين يوما وتزوجت بها امرأتين وهي من أحسن الجزائر خضرة نضرة رأيت من عجائبها ان الغصن يقتطع من شجرها ويركز في الارض أو الحائط فيورق ويصير شجرة ورأيت الرمان بها لا ينقطع له ثمر بطول السنة وخاف أهل هذه الجزيرة من الناخوذة ابراهيم ان ينهبهم عند سفره فارادوا امساك ما في مركبه من السلاح حتى يوم سفره فوقعت المشاجرة بسبب ذلك وعدنا الى المهل ولم ندخلها وكتبت الى الوزير معلما بذلك فكتب ان لا سبيل لاخذ السلاح وعدنا الى ملوك وسافرنا منها في نصف ربيع الثاني عام خمسة وأربعين وفي شعبان من هذه السنة توفي الوزير جمال الدين رحمه الله وكانت السلطانة حاملا منه فولدت اثر وفاته وتزوجها الوزير عبد الله وسافرنا ولم يكن معنا رئيس عارف ومسافة ما بين الجزائر والمعبر ثلاثة أيام فسرنا نحو تسعة أيام وفي التاسع منها خرجنا الى جزيرة سيلان ورأينا جبل سرنديب فيها ذاهبا في السماء كانه عمود دخان ولما وصلناها قال البحرية ان هذا المرسى ليس في بلاد السلطان الذي يدخل التجار الى بلاده آمنين انما هذا مرسى في بلاد السلطان ايري شكروتي وهو من العتاة المفسدين وله مراكب تقطع في البحر فخفنا ان ننزل بمرساه ثم اشتدت الريح فخفنا الغرق فقلت للناخودة انزلني الى الساحل وأنا آخذ لك الامان من هذا السلطان ففعل ذلك وانزلني بالساحل فاتانا الكفار فقالوا ما أنتم فاخبرتهم اني سلف سلطان المعبر وصاحبه جئت لزيارته وان الذي في المركب هدية له فذهبوا الى سلطانهم فاعلموه بذلك فاستدعاني فذهبت له الى مدينة بطالة (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة والطاء المهمل وتشديدها) وهي حضرته مدينة صغيرة حسنة عليها سور خشب وابراج خشب وجميع سواحلها مملوءة باعواد القرفة تاتي بها السيول فتجمع بالساحل كانها الروابي ويحملها أهل المعبر والمليبار دون ثمن الا انهم يهدون للسلطان في مقابلة ذلك الثوب ونحوه وبين بلاد المعبر وهذه الجزيرة مسيرة يوم وليلة وبها أيضا من

خشب البقم كثير ومن العود الهندي المعروف بالكلخي الا انه ليس كالقماري والقاقلي وسنذكره

ذكر سلطان سيلان

واسمه ايري شكروتي (بفتح الهمزة وسكون الياء وكسر الراء ثم ياء وشين معجم مفتوح وكاف مثله وراء مسكنة وواو مفتوح وتاء معلوة مكسورة وياء) وهو سلطان قوي في البحر رأيت مرة وأنا بالمعبر مائة مركب من مراكبه بين صغار وكبار وصلت الى هنالك وكانت بالمرسي ثمانية مراكب للسلطان برسم السفر الى اليمن فامر السلطان بالاستعداد وحشد الناس لحماية اجفانه فلما يئسوا من انتهاز الفرصة فيها قالوا انما جئنا في حماية مراكب لنا تسير أيضا الى اليمن ولما دخلت على هذا السلطان الكافر قام الي وأجلسني الى جانبه وكلمني باحسن كلام وقال ينزل أصحابك على الامان ويكونون في ضيافتي الى أن يسافروا فان سلطان المعبر بيني وبينه الصحبة ثم أمر بانزالي فاقمت عنده ثلاثة أيام في إكرام عظيم متزايد في كل يوم وكان يفهم اللسان الفارسي ويعجبه ما احدثه به عن الملوك والبلاد ودخلت عليه يوما وعنده جواهر كثيرة أتي بها من مغاص الجوهر الذي ببلاده وأصحابه يميزون النفيس منها من غيره فقال لي هل رأيت مغاص الجوهر في البلاد التي جئت منها فقلت له نعم رأيته بجزيرة قيس وجزيرة كش التي لابن السواملي فقال سمعت بها ثم أخذ حبات منه فقال أيكون في تلك الجزيرة مثل هذه فقلت له رأيت ماهو دونها فاعجبه ذلك وقال هي لك وقال لي لا تستحي واطلب مني ماشئت فقلت له ليس مرادي منذ وصلت هذه الجزيرة الا زيارة القدم الكريمة قدم آدم عليه السلام وهم يسمونه (بابا) ويسمون حواء (ماما) فقال هذا هين نبعث معك من يوصلك فقلت ذلك أريد ثم قلت له وهذا المركب الذي جئت فيه يسافر آمنا الى المعبر واذا عدت انا بعثتني في مراكبك فقال نعم فلما ذكرت ذلك لصاحب المركب قال لي لا اسافر حتى تعود ولو اقمت سنة بسببك فاخبرت السلطان بذلك فقال يقيم في ضيافتي حتى تعود فاعطاني دولة يحملها عبيده على اعناقهم وبعث معي اربعة من الجوكية الذين عادتهم السفر كل عام الى زيارة القدم وثلاثة من البراهمة وعشرة من سائر أصحابه وخمسة عشر رجلا يحملون الزاد وأما الماء فهو بتلك الطريق كثير ونزلنا ذلك اليوم على واد جزناه في معدية مصنوعة من قصب الخيزران ثم رحلنا من هنالك الى منار مندلي (وضبط ذلك بفتح الميم والنون والف وراء مسكنة وميم مفتوح ونون مسكن ودال مهمل مفتوح ولام مكسور وياء) مدينة حسنة هي آخر عمالة السلطان أضافنا اهلها ضيافة حسنة وضيافتهم عجول الجواميس يصطادونها بغابة هنالك ويأتون بها احياء ويأتون بالارز والسمن والحوت والدجاج واللبن ولم

المدينة مسلما غير رجل خراسانى انقطع بسبب مرضه فسافر معنا ورحلنا الى بندر سلاوات (وضبطه بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الدال المهمل وسكون الراء وفتح السين المهمل واللام والواو والف وتاء معلوة) بلدة صغيرة وسافرنا منها فى أوعار كثيرة المياه وبها الفيلة الكثيرة الا انها لا تؤذي الزوار والغرباء وذلك ببركة الشيخ ابى عبد الله بن خفيف رحمه الله وهو أول من فتح هذا الطريق الى زيارة القدم وكان هؤلاء الكفار يمنعون المسلمين من ذلك ويؤذونهم ولا يؤاكلونهم ولا يبايعونهم فلما اتفق للشيخ أبي عبد الله ماذكرناه فى السفر الاول من قتل الفيلة لاصحابه وسلامته من بينهم وحمل الفيل له على ظهره صار الكفار من ذلك العهد يعظمون المسلمين ويدخلونهم دورهم ويطعمون معهم ويطمئنون لهم باهلهم وأولادهم وهم الى الآن يعظمون الشيخ المذكور أشد تعظيم ويسمونه الشيخ الكبير ثم وصلنا بعد ذلك الى مدينة كنكار (وضبط اسمها بضم الكاف الاولى وفتح النون والكاف الثانية وآخره راء) وهى حضرة السلطان الكبير بتلك البلاد وبناؤها فى خندق بين جبلين على خور كبير يسمى خور الياقوت لان الياقوت يوجد به وبخارج هذه المدينة مسجد الشيخ عثمان الشيرازى المعروف بشاوش (بشينين معجمين بينهما واو مضموم) وسلطان هذه المدينة وأهلها يزورونه ويعظمونه وهو كان الدليل الى القدم فلما قطعت يده ورجله صار الادلاء أولاده وغلمانه وسبب قطعه أنه ذبح بقرة وحكم كفار الهنود انه من ذبح بقرة ذبح كمثلها أو جعل فى جلدها وحرق وكان الشيخ عثمان معظما فقطعوا يده ورجله واعطوه مجبى بعض الاسواق

—— ذكر سلطانها ——

وهو يعرف بالكنار (بضم الكاف وفتح النون وألف وراء) وعنده الفيل الابيض لم أر فى الدنيا فيلا أبيض سواه يركبه فى الاعياد ويجعل على جبهته أحجار الياقوت العظيمة واتفق له ان قام عليه أهل دولته وسملوا عينيه وولوا ولده وهو هنالك أعمى

—— ذكر الياقوت ——

والياقوت العجيب البهرمان انما يكون بهذه البلدة فمنه ما يخرج من الخور وهو عزيز عندهم ومنه ما يحفر عنه وجزيرة سيلان يوجد الياقوت فى جميع مواضعها وهى متملكة فيشترى الانسان القطعة منها ويحفر عن الياقوت فيجد احجارا بيضاء مشعبة وهى التي يتكون الياقوت فى أجوافها فيعطيها الحكاكين فيحكونها حتي تنفلق عن أحجار الياقوت فمنه الاحمر ومنه الاصفر ومنه الازرق ويسمونه النيلم (بفتح النون واللام وسكون الياء آخر الحروف وعادتهم ان ما بلغ ثمنه من أحجار الياقوت الى مائة فنم (بفتح الفاء والنون)

فهو للسلطان يعطى ثمنه ويأخذه وما نقص عن تلك القيمة فهو لاصحابه وصرف مائة فنم ستة دنانير من الذهب وجميع النساء بجزيرة سيلان لهن القلائد من الياقوت الملون ويجعلنه فى أيديهن وأرجلهن عوضا من الاسورة والخلاخيل وجوارى السلطان يصنعن منه شبكة يجعلنها على رؤسهن ولقد رأيت على جبهة الفيل الابيض سبعة أحجار منه كل حجر أعظم من بيضة الدجاج ورأيت عند السلطان ايرى شكروتي سكرجة على مقدار الكف من الياقوت فيها دهن العود فجعلت أعجب منها فقال ان عندنا ماهو أضخم من ذلك ثم سافرنا من كنكار فنزلنا بمغارة تعرف باسم اسطا محمود اللورى (بضم اللام) وكان من الصالحين واحتفر تلك المغارة فى سفح جبل عند خور صغير هنالك ثم رحلنا عنها ونزلنا بالخور المعروف بخور بوزنه (بالباء الموحدة وواو وزاى ونون وهاء) وبوزنه هي القرود

— ذكر القرود —

والقرود بتلك الجبال كثيرة جدا وهى سود الالوان لها أذناب طوال ولذكورها لحي كما هي للآدميين وأخبرنى الشيخ عثمان وولده وسواهما ان هذه القرود لها مقدم تتبعه كأنه سلطان يشد على رأسه عصابة من اوراق الاشجار ويتوكأ على عصى ويكون عن يمينه ويساره أربعة من القرود لها عصى بايديها وانه اذا جلس القرد المقدم تقف القرود الاربعة على رأسه وتأتى أنثاه واولاده فتقعد بين يديه كل يوم وتأتى القرود فتقعد علي بعد منه ثم يكلمها أحد القرود الاربعة فتنصرف القرود كلها ثم يأتي كل قرد منها بموزة أو ليمونة أو شبه ذلك فيأكل القرد المقدم واولاده والقرود الاربعة وأخبرنى بعض الجوكية انه رأي القرود الاربعة بين يدى مقدمها وهى تضرب بعض القرود بالعصى ثم تنتف وبره بعد ضربه وذكر لى الثقات انه اذا ظفر قرد من هذه القرود بصبية لا تستطيع الدفاع عن نفسها جامعها وأخبرنى بعض اهل هذه الجزيرة انه كان بداره قرد منها فخلت بنت له بعض البيوت فدخل عليها فصاحت به فغلبها قال ودخلنا عليها وهو بين رجليها فقتلناه ثم كان رحيلنا الى خور الخيزران ومن هذا الخور اخرج أبو عبد الله بن خفيف الياقوتتين اللتين اعطاهما لسلطان هذه الجزيرة حسبما ذكرناه فى السفر الاول ثم رحلنا الى موضع يعرف ببيت العجوز وهو آخر العمارة ثم رحلنا الى مغارة باباطاهر وكان من الصالحين ثم رحلنا الى مغارة السبيك (بفتح السين المهمل وكسر الباء الموحدة وياء مدوكاف) وكان السبيك من سلاطين الكفار وانقطع للعبادة هنالك

— ذكر العلق الطيار —

وبهذا الموضع رأينا العلق الطيار ويسمونه الزلو (بضم الزاى واللام) ويكون بالاشجار والحشائش التى تقرب من الماء فاذا قرب الانسان منه وثب عليه فحيثما وقع من جسده خرج منه الدم الكثير والناس يستعدون له الليمون يعصرونه عليه فيسقط عنهم ويجردون الموضع الذى يقع عليه بسكين خشب معد لذلك ويذكران بعض الزوار مر بذلك الموضع فتعلقت به العلق فأظهر الجلد ولم يعصر عليها الليمون فنزف دمه ومات وكان اسمه باباخوزى (بالخاء المعجم المضموم والزاى) وهنالك مغارة تنسب اليه ثم رحلنا الى السبع مغارات ثم الى عقبة اسكندر ثم مغارة الاصفهانى وعين ماء وقلعة غير عامرة تحتها خور يعرف بغوطة كاه عارفان وهنالك مغارة النارنج ومغارة السلطان وعندها دروازة الجبل أي بابه

— ذكر جبل سرنديب —

وهو من اعلى جبال الدنيا رأيناه من البحر وبيننا وبينه مسيرة تسع ولما صعدناه كنا نرى السحاب أسفل منا قد حال بيننا وبين رؤية اسفله وفيه كثير من الاشجار التي لا يسقط لها ورق والازاهير الملونة والورد الاحمر على قدر الكف ويزعمون ان فى ذلك الورد كتابة يقرأ منها اسم الله تعالى واسم رسوله عليه الصلاة والسلام وفى الجبل طريقان الى القدم أحدهما يعرف بطريق (بابا) والآخر بطريق (ماما) يعنون آدم وحواء عليهما السلام فاما طريق ماما فطريق سهل عليه يرجع الزوار اذا رجعوا ومن مضى عليه فهو عندهم كمن لم يزر وأما طريق بابا فصعب وعر المرتقي وفى أسفل الجبل حيث دروازته مغارة تنسب أيضا للاسكندر وعين ماء ونحت الاولون فى الجبل شبه درج يصعد عليها وغرزوا فيها أوتاد الحديد وعلقوا منها السلاسل ليتمسك بها من يصعده وهى عشر سلاسل ثنتان فى أسفل الجبل حيث الدروازة وسبع متوالية بعدها والعاشرة هي سلسلة الشهادة لان الانسان اذا وصل اليها ونظر الى أسفل الجبل ادركه الوهم فيتشهد خوف السقوط ثم اذا جاوزت هذه السلسلة وجدت طريقا مهملا ومن السلسلة العاشرة الى مغارة الخضر سبعة أميال وهي فى موضع فسيح عندها عين ماء تنسب اليه أيضا ملآى بالحوت ولا يصطاده احد وبالقرب منها حوضان منحوتان فى الحجارة عن جنبتي الطريق وبمغارة الخضر يترك الزوار ما عندهم ويصعدون منها ميلين الى أعلى الجبل حيث القدم

— ذكر القدم —

واثر القدم الكريمة قدم أبينا آدم صلى الله عليه وسلم فى صخرة سوداء مرتفعة بموضع فسيح وقد غاصت القدم الكريمة فى الصخرة حتي عاد موضعها منخفضا وطولها احد عشر

شبرا وأتى اليها أهل الصين قديما فقطعوا من الصخرة موضع الابهام وما يليه وجعلوه في كنيسة بمدينة الزيتون يقصدونها من اقصى البلاد وفي الصخرة حيث القدم تسع حفر منحوتة يجعل الزاور من الكفار فيها الذهب واليواقيت والجواهر فترى الفقراء اذا وصلوا مغارة الخضر يتسابقون منها لاخذ ما بالحفر ولم نجد نحن بها الا يسير حجيرات وذهب أعطيناها الدليل والعادة أن يقيم الزوار بمغارة الخضر ثلاثة أيام يأتون فيها الى القدم غدوة وعشيا وكذلك فعلنا ولما تمت الايام الثلاثة عدنا على طريق ماما فنزلنا بمغارة شيم وهو شيث ابن آدم عليهما السلام ثم الى خور السمك ثم الى قرية كرمله (بضم الكاف وسكون الراء وضم الميم) ثم الى قرية جبركاوان (بفتح الجيم والباء الموحدة وسكون الراء وفتح الكاف والواو وآخره نون) ثم الى قرية دلدينوة (بدالين مهملين مكسورين بينهما لام مسكن وياء مد ونون مفتوح وواو مفتوح وتاء تأنيث) ثم الى قرية آتقلنجة (بهمزة مفتوحة وتاء مثناة مسكنة وقاف ولام مفتوحين ونون مسكن وجيم مفتوح وهنالك (كان) يشتي الشيخ أبو عبد الله بن خفيف وكل هذه القري والمنازل هي بالجبل وعند أصل الجبل في هذا الطريق درخت روان ودرخت هي (بفتح الدال المهمل والراء وسكون الخاء المعجم وتاء معلوة) وروان (بفتح الراء والواو والف ونون) وهي شجرة عادية لا يسقط لها ورق ولم أر من رأي ورقها ويعرفونها أيضاً بالماشية لان الناظر اليها من أعلى الجبل يراها بعيدة منه قريبة من أسفل الجبل والناظر اليها من أسفل الجبل يراه بعكس ذلك ورأيت هنالك جملة من الجوكيين ملازمين أسفل الجبل ينتظرون سقوط ورقها وهي بحيث لا يمكن التوصل اليها البتة ولهم اكاذيب في شأنها من جملتها ان من اكل من أوراقها عاد له الشباب ان كان شيخا وذلك باطل وتحت هذا الجبل الخور العظيم الذي يخرج منه الياقوت وماؤه يظهر في رأى العين شديد الزرقة ورحلنا من هنالك يومين الى مدينة دينور (وضبط اسمها بدال مهمل مكسور وياء مد ونون وواو مفتوحين وراء) مدينة عظيمة على البحر يسكنها التجار وبها الصنم المعروف بدينور في كنيسة عظيمة فيها نحو الالف من البراهمة والجوكية ونحو خمسمائة من النساء بنات الهنود يغنين كل ليلة عند الصنم ويرقصن والمدينة ومجابيها وقف على الصنم وكل من بالكنيسة ومن يرد عليها يأكلون من ذلك والصنم من ذهب على قدر الآدمي وفي موضع العينين منه ياقوتتان عظيمتان أخبرت انهما تضيئان بالليل كالقنديلين ثم رحلنا الى مدينة قالى (بالقاف وكسر اللام) وهي صغيرة على ستة فراسخ من دينور وبها رجل من المسلمين يعرف بالناخودة ابراهيم أضافنا بموضعه

ورحلنا الى مدينة كلنبو (وضبط اسمها بفتح الكاف واللام وسكون النون وضم الباء الموحدة وواو) وهي من أحسن بلاد سرنديب واكبرها وبها يسكن الوزير حاكم البحر جالستي ومعه نحو خمسمائة من الحبشة ثم رحلنا فوصلنا بعد ثلاثة أيام الى بطالة وقد تقدم ذكرها ودخلنا الى سلطانها الذي تقدم ذكره ووجدت الناخودة ابراهيم في انتظاري فسافرنا بقصد بلاد المعبر وقويت الريح وكاد الماء يدخل في المركب ولم يكن لنا رئيس عارف ثم وصلنا الي حجارة كاد المركب ينكسر فيها ثم دخلنا بحرا قصيرا فتجلس المركب ورأينا الموت عيانا ورمي الناس بما معهم وتوادعوا وقطعنا صاري المركب فرمينا به وصنع البحرية معدية من الخشب وكان بيننا وبين البر فرسخان فاردت أن انزل في المعدية وكان لي جاريتان وصاحبان من أصحابي فقال اتنزل وتتركنا فآثرتهما على نفسي وقلت أنزلا انتما والجارية التي احبها فقالت الجارية اني أحسن السباحة فاتعلق بحبل من حبال المعدية وأعوم معهم فنزل رفيقاي واحدهما محمد بن فرحان التوزرى والآخر رجل مصري والجارية معهم والاخرى تسبح وربط البحرية في المعدية حبالا وسبحوا بها وجعلت معهم ما عز على من المتاع والجواهر والعنبر فوصلوا الى البر سالمين لان الريح كانت تساعدهم وأقمت بالمركب ونزل صاحبه الى البر على الدقة وشرع البحرية في عمل اربع من المعادي فجاء الليل قبل تمامها ودخل معنا الماء فصعدت الى المؤخر وأقمت به حتى الصباح وحينئذ جاء الينا نفر من الكفار في قارب لهم ونزلنا معهم الى الساحل ببلاد المعبر فاعلمناهم انا من اصحاب سلطانهم وهم تحت ذمته فكتبوا اليه بذلك وهو على مسيرة يومين في الغزو وكتبت أنا اليه أعلمه بما اتفق على وادخلنا اولئك الكفار الى غيضة عظيمة فاتونا بفاكهة تشبه البطيخ يثمرها شجرة المقل وفي داخلها شبه قطن فيه عسلية يستخرجونها ويصنعون منها حلواء يسمونها التل وهي تشبه السكر واتوا بسمك طيب واقمنا ثلاثة أيام ثم وصل من جهة السلطان امير يعرف بقمر الدين معه جماعة فرسان ورجال وجاؤا بالدولة وبعشرة أفراس فركبت وركب أصحابي وصاحب المركب واحدى الجاريتين وحملت الاخرى في الدولة ووصلنا الى حصن هركاتو (وضبط اسمه بفتح الهاء وسكون الراء وفتح الكاف وألف وتاء معلوة مضمومة وواو) وبتنا به وتركت فيه الجوارى وبعض الغلمان والاصحاب ووصلنا في اليوم الثاني الى محلة السلطان

ذكر سلطان بلاد المعبر

هو غياث الدين الدامغاني وكان في أول أمره فارسا من فرسان الملك مجير بن أبي الرجا أحد خدام السلطان محمد ثم خدم الامير حاجى بن السيد السلطان جلال الدين ثم ولى

الملك وكان يدعى سراج الدين قبله بالمالى تسمى غياث الدين وكانت بلاد المعبر تحت حكم السلطان محمد ملك دهلى ثم ثار بها صهرى الشريف جلال الدين احسن شاه وملك بها خمسة أعوام ثم قتل وولى أحد أمرائه وهو علاء الدين أدبجى (بضم الهمزة وفتح الدال المهمل وسكون الياء آخر الحروف وكسر الجيم) فملك سنة ثم خرج الى غزو الكفار فاخذ لهم اموالا كثيرة وغنائم واسعة وعاد الى بلاده وغزاهم فى السنة الثانية فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة واتفق يوم قتله لهم ان رفع المغفر عن رأسه ليشرب فاصابه سهم غرب فمات من حينه فولوا صهره قطب الدين ثم لم يحمدوا سيرته فقتلوه بعد أربعين يوما وولى بعده السلطان غياث الدين وتزوج بنت السلطان الشريف جلال الدين التى كنت متزوجا اختها بدهلى

—— ذكر وصولى الى السلطان غياث الدين ——

ولما وصلنا الى قرب من منزله بعث بعض الحجاب لتلقينا وكان قاعدا فى برج خشب وعادتهم بالهند كلها أن لا يدخل أحد على السلطان دون خف ولم يكن عندي خف فاعطانى بعض الكفار خفا وكان هنالك من المسلمين جماعة فعجبت من كون الكافر كان أتم مروءة منهم ودخلت على السلطان فامرنى بالجلوس ودعا القاضي الحاج صدر الزمان بهاء الدين وأنزلنى فى جواره فى ثلاثة من أخبية وهم يسمونها الخيام وبعث بالفرش وبطعامهم وهو الارز واللحم وعادتهم هنالك أن يسقوا اللبن الرائب على الطعام كما يفعل ببلادنا ثم اجتمعت به بعد ذلك والقيت له أمر جزائر ذيبة لمهل وان يبعث الجيش اليها فاخذ فى ذلك بالعزم وعين المراكب لذلك وعين الهدية لسلطانتها والخلع للوزراء والامراء والعطايا لهم وفوض الى فى عقد نكاحه مع أخت السلطانة وأمر بوسق ثلاثة مراكب بالصدقة لفقراء الجزائر وقال لى يكون رجوعك بعد خمسة أيام فقال له قائد البحر خواجة سرلك لا يمكن السفر الى الجزائر الا بعد ثلاثة أشهر من الآن فقال لى السلطان اما اذا كان الامر هكذا فامض الى فتن حتى تقضي هذه الحركة وتعود الى حضرتنا متره ومنها تكون الحركة فقمت معه بخلال ما بعثت عن الجوارى والاصحاب

—— ذكر ترتيب رحيله وشنيع فعله فى قتل النساء والولدان ——

وكانت الارض التي نسلكها غيضة واحدة من الاشجار والقصب بحيث لا يسلكها أحد فامر السلطان أن يكون مع كل واحد ممن فى الجيش من كبير وصغير قادوم لقطع ذلك فاذا نزلت المحلة ركب الى الغابة والناس معه فقطعوا تلك الاشجار من غدوة النهار الى الزوال ثم يؤتى بالطعام فيأكل جميع الناس طائفة بعد أخرى ثم يعودون الى قطع الاشجار الى العشى وكل من وجدوه من الكفار فى الغيضة أسروه وصنعوا خشبة محددة الطرفين فجعلوها على كتفيه

يحملها ومعه امرأته وأولاده ويؤتى بهم الى المحلة وعادتهم ان يصنعوا على المحلة سورا من خشب يكون له أربعة أبواب ويسمونه الكتكر (بفتح الكافين وسكون التاء المعلوة وآخره راء) ويصنعون على دار السلطان كتكرا ثانيا ويصنعون خارج الكتكر الاكبر مصاطب ارتفاعها نحو نصف قامة ويوقدون عليها النار بالليل ويبيت عندها العبيد والمشاؤن ومع كل واحد منهم حزمة من رقيق القصب فاذا أتى أحد من الكفار ليضربوا على المحلة ليلا أوقد كل واحد منهم الحزمة التي بيده فعاد الليل شبه النهار لكثرة الضياء وخرجت الفرسان في اتباع الكفار فاذا كان عند الصباح قسم الكفار الماسورون بالامس أربعة اقسام وأتى الى كل باب من أبواب الكتكر بقسم منهم فركزت بالخشب التي كانوا يحملونها بالامس عنده ثم ركزوا فيها حتى تنفذهم ثم تذبح نساؤهم ويربطن بشعورهن الى تلك الخشبات ويذبح الاولاد الصغار في حجورهن ويتركون هنالك وتنزل المحلة ويشتغلون بقطع غيضة أخرى ويصنعون بمن أسروه كذلك وذلك أمر شنيع ماعلمته لاحد من الملوك وبسببه عجل الله حينه ولقد رأيته يوما والقاضي عن يمينه وأنا عن شماله وهو يا كل معنا وقد أتى بكافر معه امرأته وولد سنه سبع فاشار الى السيافين بيده ان يقطعوا رأسه ثم قال لهم وزن أوو بسرا ومعناه وابنه وزوجته فقطعت رقابهم وصرفت بصري عنهم فلما قمت وجدت رؤسهم مطروحة بالارض وحضرت عنده يوما وقد أتى برجل من الكفار فتكلم بما لم أفهمه فاذا بجماعة من الزبانية قد استلوا سكاكينهم فبادرت القيام فقال لى الى أين فقلت أصلى العصر ففهم عني وضحك وأمر بقطع يديه ورجليه فلما عدت وجدته متشحطا في دمائه

— ذكر هزيمته للكفار وهي من اعظم فتوحات الاسلام —

وكان فيما يجاور بلاده سلطان كافر يسمى بلاديو (بفتح الباء الموحدة ولام والف ولام ثانية ودال مهمل مكسور وياء آخر الحروف مفتوحة وواو مسكن) وهو من كبار سلاطين الكفار يزيد عسكره على مائة الف ومعه نحو عشرين الفا من المسلمين اهل الذعارة وذوى الجنايات والعبيد الفارين فطمع في الاستيلاء على بلاد المعبر وكان عسكر المسلمين ستة آلاف منهم النصف من الجياد والنصف الثاني لا خير فيهم ولا غناء عندهم فلقوه بظاهر مدينة كبان فهزمهم ورجعوا الى حضرة مترة ونزل الكافر على كبان وهي من أكبر مدنهم وأحصنها وحاصرها عشرة أشهر ولم يبق لهم من الطعام الا قوت أربعة عشر يوما فبعث لهم الكافر ان يخرجوا على الامان ويتركوا له البلد فقالوا له لا بد من مطالعة سلطاننا بذلك فوعدهم الى تمام أربعة عشر يوما فكتب الى السلطان غياث الدين بامرهم فقرأ كتابهم

على الناس يوم الجمعة فبكوا وقالوا نبيع أنفسنا من الله فان الكافر ان أخذ تلك المدينة انتقل الى حصارنا فالموت تحت السيوف أولى بنا فتعاهدوا على الموت وخرجوا من الغد ونزعوا العمائم عن رؤسهم وجعلوها في اعناق الخيل وهي علامة من يريد الموت وجعلوا ذوي النجدة والابطال منهم في المقدمة وكانوا ثلاثمائة وجعلوا على الميمنة سيف الدين بهادور وكان فقيها ورعا شجاعا وعلى الميسرة الملك محمد السلحدار وركب السلطان في القلب ومعه ثلاثة آلاف وجعل الثلاثة الآلاف الباقين ساقة لهم وعليهم أسد الدين كيخسرو الفارسي وقصدوا محلة الكافر عند القايلة واهلها على غرة وخيلهم في المرعى فاغاروا عليها وظن الكفار انهم سراق فخرجوا اليهم على غير تعبية وقاتلوهم فوصل السلطان غياث الدين فانهزم الكفار شر هزيمة واراد سلطانها ان يركب وكان ابن ثمانين سنة فادركه ناصر الدين بن اخي السلطان الذي ولي الملك بعده فاراد قتله ولم يعرفه فقال له أحد غلمانه هو السلطان فاسره وحمله الى عمه فاكرمه في الظاهر حتى جبي منه الاموال والفيلة والخيل وكان يعده السراح فلما استصفى ما عنده ذبحه وسلخه وملأ جلده بالتبن فعلق على سور مترة ورأيته بها معلقا ولنعد الى كلامنا فنقول ورحلت عن المحلة فوصلت الى مدينة فتن (بفتح الفاء والتاء المثناة المشددة ونون وهي كبيرة حسنة على الساحل ومرساها عجيب قد صنعت فيه قبة خشب كبيرة قائمة على الخشب الضخام يصعد اليها على طريق خشب مسقف فاذا جاء العدو ضموا اليها الاجفان التي تكون بالمرسى وصعدها الرجال والرماة فلا يصيب العدو فرصة وبهذه المدينة مسجد حسن مبني بالحجارة وبها العنب الكثير والرمان الطيب ولقيت الشيخ الصالح محمد النيسابوري أحد الفقراء المولهين الذين يسدلون شعورهم على اكتافهم ومعه سبع رباه يأكل مع الفقراء ويقعد معهم وكان معه نحو ثلاثين فقيرا لاحدهم غزالة تكون مع الاسد في موضع واحد فلا يعرض لها وأقمت بمدينة فتن وكان السلطان غياث الدين قد صنع له أحد الجوكية حبوبا للقوة على الجماع وذكروا ان من جملة اخلاطها برادة الحديد فاكل منها فوق الحاجة فمرض ووصل الى فتن فخرجت الى لقائه وأهديت له هدية فلما استقر بها بعث عن قائد البحر خواجة سرور فقال له لا تشتغل بسوى المراكب المعينة للسفر الى الجزائر وأراد ان يعطيني قيمة الهدية فابيت ثم ندمت لانه مات فلم آخذ شيئا واقام بفتن نصف شهر ثم رحل الى حضرته واقمت انا بعده نصف شهر ثم رحلت الى حضرته وهي مدينة مترة (بضم الميم وسكون التاء المعلوة وفتح الراء) مدينة كبيرة متسعة الشوارع واول من اتخذها حضرة صهري السلطان الشريف جلال الدين

أحسن شاه وجعلها شبيهة بدهلي وأحسن بناءها ولما قدمتها وجدت بها وباء يموت منه الناس موتا ذريعا فمن مرض مات من ثاني يوم مرضه او ثالثه وان ابطا موته فالى الرابع فكنت اذا خرجت لا أري الا مريضا او ميتا واشتريت بها جارية على انها صحيحة فماتت في يوم آخر ولقد جاءت الي في بعض الايام امراة كان زوجها من وزراء السلطان أحسن شاه ومعها ابن لها سنه ثمانية أعوام نبيل كيس فطن فشكت ضعف حالها فاعطيتهما نفقة وهما صحيحان سويان فلما كان من الغد جاءت تطلب لولدها المذكور كفنا واذا به قد توفي من حينه وكنت أرى بمشور السلطان حين مات المئين من الخدم اللاتي أتي بهن لدق الارز المعمول منه الطعام لغير السلطان وهن مريضات قد طرحن انفسهن في الشمس ولما دخل السلطان مترة وجد أمه وامرأته وولده مرضي فاقام بالمدينة ثلاثة أيام ثم خرج الى نهر على فرسخ منها كانت عليه كنيسة للكفار وخرجت اليه في يوم خمس فامر بانزالي الى جانب القاضي ولما ضربت لي الاخبية رأيت الناس يسرعون ويموج بعضهم في بعض فمن قائل ان السلطان مات ومن قائل ان ولده هو الميت ثم تحقق ذلك فكان الولد هو الميت ولم يكن له سواه فكان موته مما زاد في مرضه وفي الخميس بعده توفيت أم السلطان

ـــ ذكر وفاة السلطان وولاية بن اخيه وانصرافي عنه ـــ

وفي الخميس الثالث توفي السلطان غياث الدين وشعرت بذلك فبادرت الدخول الى المدينة خوف الفتنة ولقيت ناصر الدين ابن أخيه الوالي بعده خارجا الى المحلة قد وجه عنه اذ ليس للسلطان ولد فطلبني في الرجوع معه فابيت وأثر ذلك في قلبه وكان ناصر الدين هذا خديما بدهلي قبل ان يملك عمه فلما ملك عمه هرب في زي الفقراء اليه فكان من القدر ملكه بعده ولما بويع مدحته الشعراء فاجزل لهم العطاء واول من قام منشدا القاضي صدر الزمان فاعطاه خمسمائة دينار وخلعة ثم الوزير المسمي بالقاضي فاعطاه الفي دينار دراهم واعطاني انا ثلاثمائة دينار وخلعة وبث الصدقات في الفقراء والمساكين ولما خطب الخطيب اول خطبة خطبها باسمه نثرت عليه الدنانير والدراهم في أطباق الذهب والفضة وعمل عزاء السلطان غياث الدين فكانوا يختمون القرآن على قبره كل يوم ثم يقرأ العشارون ثم يؤتى بالطعام فيأكل الناس ثم يعطون الدراهم كل انسان على قدره واقاموا على ذلك اربعين يوما ثم يفعلون ذلك في مثل يوم وفاته من كل سنة واول ما بدأ به السلطان ناصر الدين ان عزل وزير عمه وطلبه بالاموال وولي الوزارة الملك بدر الدين الذي بعثه عمه الي وانا بفتن ليتلقاني فتوفي سريعا فولي الوزارة خواجه سرور قائد البحر وامر ان يخاطب بخواجه

جهان كما يخاطب الوزير بدهلى ومن خاطبه بغير ذلك غرم دنانير معلومة ثم ان السلطان
ناصر الدين قتل ابن عمته المتزوج بنت السلطان غياث الدين وتزوجها بعده وبلغه ان الملك
مسعود ازاره فى محبسه قبل موته فقتله أيضا وقتل الملك بهادور وكان من الشجعان الكرماء
الفضلاء وامر لى بجميع ما كان عينه عمه من المراكب برسم الجزائر ثم أصابتنى الحمي القاتلة
هنالك فظننت انها القاضية والهمني الله الى التمر الهندى وهو هنالك كثير فاخذت نحو
رطل منه وجعلته فى الماء ثم شربته فاسهلنى ثلاثة ايام وعافانى الله من مرضي فكرهت تلك
المدينة وطلبت الاذن فى السفر فقال لى السلطان كيف تسافر ولم يبق لايام السفر الى
الجزائر غير شهر واحد أقم حتي نعطيك جميع ما أمر لك به خوند عالم فابيت وكتب لى الى فتن
لاسافر فى أى مركب أردت وعدت الى فتن فوجدت ثمانية من المراكب تسافر الى اليمن
فسافرت فى أحدها ولقينا اربعة اجفان فقاتلتنا يسيرا ثم انصرفت ووصلنا الى كولم
وكان فى بقية مرض فاقمت بها ثلاثة اشهر ثم ركبت فى مركب بقصد السلطان جمال الدين
الهنورى فخرج علينا الكفار بين هنور وفاكنور

— ذكر سلب الكفار لنا —

ولما وصلنا الى الجزيرة الصغرى بين هنور وفاكنور خرج علينا الكفار فى اثني عشر مركبا
حربية وقاتلونا قتالا شديدا وتغلبوا علينا فاخذوا جميع ماعندى مما كنت ادخره للشدائد
واخذوا الجواهر واليواقيت التى أعطانيها ملك سيلان واخذوا ثيابي والزرادات التي كانت
عندى مما اعطانيه الصالحون والاولياء ولم يتركوا لي ساترا خلا السراويل وأخذوا ما كان
لجميع الناس وانزلونا بالساحل فرجعت الى قالقوط فدخلت بعض المساجد فبعث الى أحد
الفقهاء بثوب وبعث القاضى بعمامة وبعث بعض التجار بثوب آخر وتعرفت هنالك بزوج
الوزير عبدالله بالسلطانة خديجة بعد موت الوزير جمال الدين وبان زوجتى التي تركتها
حاملا ولدت ولدا ذكرا فخطر لى السفر الى الجزائر وتذكرت العداوة التي بيني وبين الوزير
عبدالله ففتحت المصحف فخرج لى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا فاستخرت
الله وسافرت فوصلت بعد عشرة أيام الى جزائر ذيبة المهل ونزلت منها بكنلوس فاكرمني
واليها عبد العزيز المقدشاوى وأضافني وجهز لى كندرة ووصلت بعد ذلك الى هللى وهي
الجزيرة التي تخرج السلطانة وأخواتها اليها برسم التفرج والسباحة ويسمون ذلك التتجر ويلعبون
فى المراكب ويبعث لها الوزراء والامراء بالهدايا والتحف متى كانت بها ووجدت بها أخت
السلطانة وزوجها الخطيب محمد بن الوزير جمال الدين وامها التى كانت زوجتي فجاء الخطيب

الى وأتوا بالطعام ومر بعض أهل الجزيرة الى الوزير عبد الله فاعلموه بقدومي فسأل عن حالي وعمن قدم معي وأخبر أني جئت برسم حمل ولدي وكان سنه نحو عامين واتته امه تشكو من ذلك فقال لها أنا لا أمنعه من حمل ولده وصادرني في دخول الجزيرة وأنزلني بدار تقابل برج قصره ليتطلع على حالي وبعث الي بكسوة كاملة وبالتنبول وماء الورد على عادتهم وجئت بثوبي حرير للرمي عند السلام فاخذوهما ولم يخرج الوزير الى ذلك اليوم وأتى الي بولدي فظهر لي ان اقامته معهم خير له فرددته اليهم وأقمت خمسة أيام وظهر لي ان تعجيل السفر أولى فطلبت الاذن في ذلك فاستدعاني الوزير ودخلت عليه واتوني بالثوبين اللذين أخذوهما مني فرميتهما عند السلام على العادة واجلسني الى جانبه وسالني عن حالي وأكلت معه الطعام وغسلت يدي معه في الطست وذلك شيء لا يفعله مع أحد وأتوا بالتنبول وانصرفت وبعث الي باثواب وبساتي من الودع وأحسن أفعاله وأجمل وسافرت وقمنا على ظهر البحر ثلاثا واربعين ليلة ثم وصلنا الى بلاد بنجالة (وضبطها بفتح الباء الموحدة وسكون النون وجيم معقود وألف ولام مفتوح) وهي بلاد متسعة كثيرة الارز ولم أر في الدنيا أرخص أسعارا منها لكنها مظلمة وأهل خراسان يسمونها دوز خست (دوزخ) بور (ر) نعمة معناه جهنم ملآى بالنعم رأيت الارز يباع في أسواقها خمسة وعشرين رطلا دهلية بدينار فضي والدينار الفضي هو ثمانية دراهم ودرهمهم كالدرهم النقرة سواء والرطل الدهلي عشرون رطلا مغربية وسمعتهم يقولون ان ذلك غلاء عندهم وحدثني محمد المصمودي المغربي وكان من الصالحين وسكن هذا البلد قديما ومات عندي بدهلي انه كانت له زوجة وخادم فكان يشتري قوت ثلاثتهم في السنة بثمانية دراهم وانه كان يشتري الارز في قشره بحساب ثمانين رطلا دهلية بثمانية دراهم فاذا دقه خرج منه خمسون رطلا صافية وهي عشرة قناطير ورأيت البقرة تباع بها للحلب بثلاثة دنانير فضة وبقرهم الجواميس ورأيت الدجاج السمان تباع بحساب ثمان بدرهم واحد وفراخ الحمام يباع خمسة عشر منها بدرهم ورأيت الكبش السمين يباع بدرهمين ورطل السكر باربعة دراهم وهو رطل دهلي ورطل الجلاب بثمانية دراهم ورطل السمن باربعة دراهم ورطل السيرج بدرهمين ورأيت ثوب القطن الرقيق الجيد الذي ذرعه ثلاثون ذراعا يباع بدينارين ورأيت الجارية المليحة للفراش تباع بدينار من الذهب واحد وهو دينارا ونصف دينار من الذهب المغربي واشتريت بنحو هذه القيمة جارية تسمى عاشورة وكان لها جمال رائع واشتري بعض أصحابي غلاما صغير السن حسنا اسمه لؤلؤ بدينارين من الذهب وأول مدينة دخلناها من بلاد بنجالة مدينة سدكاوان

(وضبط اسمها بضم السين وسكون الدال المهملين وفتح الكاف والواو وآخره نون) وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر الاعظم ويجتمع بها نهر الكنك الذى يحج اليه الهنود ونهر الجون ويصبان فى البحر ولهم فى النهر مراكب كثيرة يقاتلون بها أهل بلاد اللكنوتى

ذكر سلطان بنجالة

وهو السلطان فخر الدين الملقب بفخره (بالفاء والخاء المعجم والراء) سلطان فاضل محب فى الغرباء وخصوصا الفقراء والمتصوفة وكانت مملكة هذه البلاد للسلطان ناصر الدين بن السلطان غياث الدين بلبن وهو الذى ولى ولده معز الدين الملك بدهلى فتوجه لقتاله والتقيا بالنهر وسمى لقاؤهما لقاء السعدين وقد ذكرنا ذلك وانه ترك الملك لولده وعاد الى بنجالة فاقام بها الى أن توفى وولى ابنه شمس الدين الى أن توفى فولى ابنه شهاب الدين الى أن غلب عليه اخوه غياث الدين بهادور بور فاستنصر شهاب الدين بالسلطان غياث الدين تغلق فنصره وأخذ بهادور بور أسيرا ثم اطلقه ابنه محمد لما ملك على ان يقاسمه ملكه فنكث عليه فقاتله حتى قتل وولى على هذه البلاد صهرا له فقتله العسكر واستولى على ملكها على شاه وهو اذ ذاك ببلاد اللكنوتى فلما رأى فخر الدين ان الملك قد خرج عن أولاد السلطان ناصر الدين وهو مولى لهم خالف بسدكاوان وبلاد بنجالة واستقل بالملك واشتدت الفتنة بينه وبين على شاه فاذا كانت أيام الشتاء والوحل أغار فخر الدين على بلاد اللكنوتى فى البحر لقوته فيه واذا عادت الايام التى لا مطر فيها اغار على شاه على بنجالة فى البر لقوته فيه ﴿حكاية﴾ وانتهي حب الفقراء بالسلطان فخر الدين الى ان جعل أحدهم نائبا عنه فى الملك بسدكاوان وكان يسمي شيدا (بفتح السين المعجم والدال المهمل بينهما ياء آخر الحروف) وخرج الى قتال عدوله فخالف عليه شيدا وأراد الاستبداد بالملك وقتل ولد السلطان فخر الدين ولم يكن له ولد غيره فعلم بذلك فكر عائدا الى حضرته ففر شيدا ومن اتبعه الى مدينة ستركاوان وهي منيعة فبعث السلطان بالعساكر الى حصاره فخاف أهلها على انفسهم فقبضوا على شيدا وبعثوه الى عسكر السلطان فكتبوا اليه بامره فامرهم أن يبعثوا اله رأسه فبعثوه وقتل بسببه جماعة كبيرة من الفقراء ولما دخلت سدكاوان لم أر سلطانها ولا لقيته لانه مخالف علي ملك الهند فخفت عاقبة ذلك وسافرت من سدكاوان بقصد جبال كامرو وهي (بفتح الكاف والميم وضم الراء) وبينها وبين سدكاوان مسيرة شهر وهى جبال متسعة متصلة بالصين وتتصل أيضا ببلاد التبت حيث غزلان المسك وأهل هذا الجبل يشبهون الترك ولهم قوة على الخدمة والغلام منهم يساوى أضعاف مايساويه الغلام من غيرهم وهم مشهورون بمعاناة السحر

والاشتغال به وكان قصدى بالمسير الى هذه الجبال لقاء ولى من الاولياء بها وهو الشيخ جلال الدين التبريزى

— ذكر الشيخ جلال الدين —

وهذا الشيخ من كبار الاولياء وافراد الرجال له الكرامات الشهيرة والمآثر العظيمة وهو من المعمرين أخبرنى رحمه الله انه ادرك الخليفة المستعصم بالله العباسي ببغداد وكان بها حين قتله وأخبرنى أصحابه بعد هذه المدة انه مات وهو ابن مائة وخمسين وانه كان له نحو أربعين سنة يسرد الصوم ولا يفطر الا بعد مواصلة عشر وكانت له بقرة يفطر على حليبها ويقوم الليل كله وكان نحيف الجسم طوالا خفيف العارضين وعلى يديه أسلم أهل تلك الجبال ولذلك أقام بينهم

— كرامة له —

أخبرنى بعض أصحابه انه استدعاهم قبل موته بيوم واحد واوصاهم بتقوى الله وقال لهم انى أسافر عنكم غدا ان شاء الله وخليفتي عليكم الله الذي لا إله الا هو فلما صلى الظهر من الغد قبضه الله في آخر سجدة منها ووجدوا فى جانب الغار الذي كان يسكنه قبرا محفورا عليه الكفن والحنوط فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه به رحمه الله — كرامة له أيضا —

ولما قصدت زيارة هذا الشيخ لقينى أربعة من أصحابه على مسيرة يومين من موضع سكناه فاخبروني ان الشيخ قال للفقراء الذين معه قد جاءكم سائح المغرب فاستقبلوه وانهم أتوا لذلك بامر الشيخ ولم يكن عنده علم بشيء من أمرى وانما كوشف به وسرت معهم الى الشيخ فوصلت الى زاويته خارج الغار ولا عمارة عندها وأهل تلك البلاد من مسلم وكافر يقصدون زيارته ويأتون بالهدايا والتحف فيأكل منها الفقراء والواردون وأما الشيخ فقد اقتصر على بقرة يفطر على حليبها بعد عشر كما قدمناه ولما دخلت عليه قام الى وعانقني وسألني عن بلادي وأسفارى فاخبرته فقال لى أنت مسافر العرب فقال له من حضر من أصحابه والعجم ياسيدنا فقال والعجم فاكرموه فاحتملوني الى الزاوية وأضافونى ثلاثة أيام

— حكاية عجيبة فى ضمنها كرامات له —

ولما كان يوم دخولى الى الشيخ رأيت عليه فرجية مرعز فاعجبتني وقلت فى نفسى ليت الشيخ اعطانيها فلما دخلت عليه للوداع قام الى جانب الغار وجرد الفرجية وألبسنيها مع طاقية من رأسه ولبس مرقعة فاخبرونى الفقراء ان الشيخ لم تكن عادته ان يلبس تلك الفرجية وانما لبسها عند قدومي وانه قال لهم هذه الفرجية يطلبها المغربي ويأخذها منه سلطان كافر ويعطيها لاخينا برهان الدين الصاغرجي وهى له وبرسمه كانت فلما أخبرنى الفقراء بذلك قلت لهم قد حصلت لى بركة الشيخ بأن كساني لباسه وانا لا أدخل بهذه

الفرجية على سلطان كافر ولا مسلم وانصرفت عن الشيخ فاتفق لى بعد مدة طويلة اني دخلت بلاد الصين وانتهيت الى مدينة الخنسا فافترق مني أصحابي لكثرة الزحام وكانت الفرجية على فبينا أنا في بعض الطرق اذا بالوزير فى موكب عظيم فوقع بصره على فاستدعاني واخذ بيدي وسألني عن مقدمى ولم يفارقنى حتي وصلت الى دار السلطان معه فاردت الانفصال فمنعني وادخلني على السلطان فسألني عن سلاطين الاسلام فاجبته ونظر الى الفرجية فاستحسنها فقال لى الوزير جردها فلم يمكنني خلاف ذلك فاخذها وامرلى بعشر خلع وفرس مجهز ونفقة وتغير خاطرى لذلك ثم تذكرت قول الشيخ انه يأخذها سلطان كافر فطال عجبي من ذلك ولما كان فى السنة الاخرى دخلت دار ملك الصين بخان بالق فقصدت زاوية الشيخ برهان الدين الصاغرجي فوجدته يقرأ والفرجية عليه بعينها فعجبت من ذلك وقلبتها بيدى فقال لى لم تقلبها وانت تعرفها فقلت له نعم هى التي أخذها لى سلطان الخنسا فقال لى هذه الفرجية صنعها اخى جلال الدين برسمي وكتب الى أن الفرجية تصلك على يد فلان ثم أخرج لى الكتاب فقرأته وعجبت من صدق يقين الشيخ واعلمته باول الحكاية فقال لى أخى جلال الدين اكبر من ذلك كله هو يتصرف فى الكون وقد انتقل الى رحمة الله ثم قال لى بلغني انه كان يصلى الصبح كل يوم بمكة وانه يحج كل عام لانه كان يغيب عن الناس يومى عرفة والعيد فلا يعرف أين ذهب ولما ودعت الشيخ جلال الدين سافرت الى مدينة حبنق (وضبط اسمها بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة وسكون النون وقاف) وهى من أكبر المدن واحسنها يشقها النهر الذي ينزل من جبال كامرو يسمي النهر الازرق ويسافر فيه الى بنجالة وبلاد اللكنوتى وعليه النواعير والبساتين والقري يمنة ويسرة كما هي على نيل مصر وأهلها كفار تحت الذمة يؤخذ منهم نصف ما يزدرعون ووظائف سوي ذلك وسافرنا فى هذا النهر خمسة عشر يوما بين القرى والبساتين فكانا نمشى فى سوق من الاسواق وفيه من المراكب مالا يحصى كثرة وفى كل مركب منها طبل فاذا التقي المركبان ضرب كل واحد طبله وسلم بعضهم على بعض وأمر السلطان فخر الدين المذكور أن لا يؤخذ بذلك النهر من الفقراء نول وان يعطى الزاد لمن لازاد له منهم واذا وصل الفقير الى مدينة أعطى نصف دينار وبعد خمسة عشر يوما من سفرنا في النهر كما ذكرناه وصلنا الى مدينة سنر كاوان وسنر (بضم السين المهمل والنون وسكون الراء) وهي المدينة التى قبض أهلها على الفقير شيدا عندما لجأ اليها ولما وصلناها وجدنا بها جنكا يريد السفر الى بلاد الجاوة وبينهما أربعون يوما فركبنا فيه ووصلنا بعد

خمسة عشر يوما الى بلاد البرهنكار الذين أفواههم كأفواه الكلاب (وضبطها بفتح الباء الموحدة والراء والنون والكاف وسكون الهاء) وهذه الطائفة من الهمج لا يرجعون الى دين الهنود ولا الى غيره وسكناهم في بيوت قصب مسقفة بحشيش الارض على شاطيء البحر وعندهم من أشجار الموز والفوفل والتنبول كثير ورجالهم على مثل صورتنا الا ان افواههم كافواه الكلاب وأما نساؤهم فلسن كذلك ولهن جمال بارع ورجالهم عرايا لا يستترون الا ان الواحد منهم يجعل ذكره وأنثييه في جعبة من القصب منقوشة معلقة في بطنه ويستتر نساؤهم باوراق الشجر ومعهم جماعة من المسلمين من أهل بنجالة والجاوة ساكنون في حارة على حدة أخبرونا انهم يتناكحون كالبهائم لا يستترون بذلك ويكون للرجل منهم ثلاثون امرأة فما دون ذلك او فوقه وانهم لا يزنون واذا زنا أحد منهم فحد الرجل ان يصلب حتى يموت او يؤتى صاحبه او عبده فيصلب عوضا منه ويسرح هو وحد المرأة ان يامر السلطان جميع خدامه فينكحونها واحدا بعد واحد بحضرته حتي تموت ويرمون بها في البحر ولاجل ذلك لا يتركون أحدا من أهل المراكب ينزل اليهم الى ان كان من المقيمين عندهم وانما يبايعون الناس ويشاورونهم على الساحل ويسوقون اليهم الماء على الفيلة لانه بعيد من الساحل ولا يتركونهم لاستقائه خوفا على نسائهم لانهن يطمحن الى الرجال الحسان والفيلة كثيرة عندهم ولا يسعها احد غير سلطانهم ثم تشترى منهم بالاثواب ولهم كلام غريب لا يفقهه الا من ساكنهم واكثر التردد اليهم ولما وصلنا الى ساحلهم أتوا الينا في قوارب صغار كل قارب من خشبة واحدة منحوتة وجاؤا بالموز والارز والتنبول والفوفل والسمك

— ذكر سلطانهم —

وأتي الينا سلطانهم راكبا على فيل عليه شبه بردعة من الجلود ولباس السلطان ثوب من جلود المعز وقد جعل الوبر الى خارج وفوق رأسه ثلاث عصائب من الحرير ملونات وفي يده حربة من القصب ومعه نحو عشرين من أقاربه على الفيلة فبعثنا اليه هدية من الفلفل والزنجبيل والقرفة والحوت الذي يكون بجزائر ذيبة المهل واثوابا بنجالية وهم لا يلبسونها انما يكسونها الفيلة في أيام عيدهم ولهذا السلطان على كل مركب ينزل ببلاده جارية ومملوك وثياب لكسوة الفيل وحلى ذهب تجعله زوجته في حزمها وأصابع رجليها ومن لم يعط هذه الوظيفة صنعوا له سحرا يهيج به البحر فيهلك أو يقارب الهلاك

— حكاية —

واتفق في ليلة من ليالى إقامتنا بمرساهم ان غلاما لصاحب المركب ممن تردد الى هؤلاء الطائفة نزل من المركب ليلا وتواعد مع امرأة أحد كبرائهم الى موضع شبه الغار على

الساحل وعلم بذلك زوجها فجاء في جمع من أصحابه الى الغار فوجدها به فحملا الى سلطانهم فامر بالغلام فقطعت انثياه وصلب وأمر بالمرأة فجامعها الناس حتي ماتت ثم جاء السلطان الى الساحل فاعتذر عما جرى وقال انالانجد بدامن امضاء أحكامنا ووهب لصاحب المركب غلاما عوض الغلام المطلوب ثم سافرنا عن هؤلاء وبعد خمسة وعشرين يوما وصلنا الي جزيرة الجاوة (بالجيم) وهي التي ينسب اليها اللبان الجاوى رأيناها على مسيرة نصف يوم وهي خضرة نضرة وأكثر أشجارها النارجيل والفوفل والقرنفل والعود الهندي والشكي والبركي والعنبة والجمون والنارنج الحلو وقصب الكافور وبيع أهلها وشراؤهم بقطع قصدير وبالذهب الصيني التبر غير المسبوك والكثير من أفاويه الطيب التى ببلاد الكفار إنما هو منها وأما ببلاد المسلمين فهو أقل من ذلك ولما وصلنا المرسي خرج الينا أهلها في مراكب صغار ومعهم جوز النارجيل والموز والعنبة والسمك وعادتهم ان يهدوا ذلك للتجار فيكافئهم كل انسان علي قدره وصعد الينا أيضا نائب صاحب البحر وشاهد من معنا من التجار وأذن لنا في النزول الى البر فنزلنا الى البندر وهي قرية كبيرة على ساحل البحر بها دور يسمونها السرحي (بفتح السين المهمل وسكون الراء وفتح الحاء المهمل) وبينها وبين البلد أربعة أميال ثم كتب بهروز نائب صاحب البحر الى السلطان فعرفه بقدومي فامر الامير دولسة بلقائي والقاضي الشريف أمير سيد الشيرازى وتاج الدين الاصبهاني وسواهم من الفقهاء فخرجوا لذلك وجاؤا بفرس من مراكب السلطان وأفراس سواه فركبت وركب أصحابي ودخلنا الى حضرة السلطان وهي مدينة سمطرة (بضم السين المهمل والميم وسكون الطاء وفتح الراء) مدينة حسنة كبيرة عليها سور خشب وأبراج خشب

ــــ ذكر سلطان الجاوة ــــ

وهو السلطان الملك الظاهر من فضلاء الملوك وكرمائهم شافعي المذهب محب فى الفقهاء يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة وهو كثير الجهاد والغزو ومتواضع ياتي الى صلاة الجمعة ماشيا على قدميه وأهل بلاده شافعية محبون فى الجهاد يخرجون معه تطوعا وهم غالبون على من يليهم من الكفار والكفار يعطونهم الجزية على الصلح

ــــ ذكر دخولنا الى داره واحسانه الينا ــــ

ولما قصدنا الى دار السلطان وجدنا بالقرب منه رماحا مركوزة عن جانبي الطريق وهي علامة على نزول الناس فلايتجاوزها من كان راكبا فنزلنا عندها ودخلنا المشور فوجدنا نائب السلطان وهو يسمي عمدة الملك فقام الينا وسلم علينا وسلامهم بالمصافحة وقعدنا معه وكتب

بطاقة الى السلطان يعلمه بذلك وختمها ودفعها لبعض الفتيان فأتاه الجواب على ظهرها ثم جاء أحد ببقشة والبقشة (بضم الباء الموحدة وسكون القاف وفتح الشين المعجم) هي السبنية فاخذها النائب بيده واخذ بيدي وأدخلني الى دويرة يسمونها فردخانة على وزن زردخانة (الا أن أولها فاء) وهي موضع راحته بالنهار فان العادة ان يأتي السلطان الى المشور بعد الصبح ولا ينصرف الا بعد العشاء الآخرة وكذلك الوزراء والامراء الكبار وأخرج من البقشة ثلاث فوط احداها من خالص الحرير والاخرى حرير وقطن واخرى حرير وكتان وأخرج ثلاث أثواب يسمونها التحتانيات من جنس الفوط وأخرج ثلاثة من الثياب مختلفة الاجناس تسمى الوسطانيات وأخرج ثلاثة أثواب من الارمك أحدها أبيض وأخرج ثلاث عمائم فلبست فوطة منها عوض السراويل على عادتهم وثوبا من كل جنس وأخذ أصحابي ما بقي منها ثم جاؤا بالطعام أكثره الارز ثم أتوا بنوع من الفقاع ثم أتوا بالتنبول وهو علامة الانصراف فاخذناه وقمنا وقام النائب لقيامنا وخرجنا عن المشور فركبنا وركب النائب معنا وأتوا بنا الى بستان عليه حائط خشب وفي وسطه دار بناؤها بالخشب مفروشة بقطائف قطن يسمونها المخملات (بالميم والخاء المعجم) ومنها مصبوغ وغير مصبوغ وفي البيت أسرة من الخيزران فوقها مضربات من الحرير ولحف خفاف ومخاد يسمونها البوالشت فجلسنا بالدار ومعنا النائب ثم جاء الامير دولسة بجاريتين وخادمين وقال لي يقول لك السلطان هذه على قدرنا لا على قدر السلطان محمد ثم خرج النائب وبقي الامير دولسة عندي وكانت بيني وبينه معرفة لانه كان ورد رسولا على السلطان بدهلي فقلت له متى تكون رؤية السلطان فقال لي ان العادة عندنا ان لا يسلم القادم على السلطان الا بعد ثلاثة ليذهب عنه تعب السفر ويثوب اليه ذهنه فاقمنا ثلاثة أيام يأتي الينا الطعام ثلاث مرات في اليوم وتاتينا الفواكه والطرف مساء وصباحا فلما كان اليوم الرابع وهو يوم الجمعة أتاني الامير دولسة فقال لي يكون سلامك على السلطان بمقصورة الجامع بعد الصلاة فاتيت المسجد وصليت به الجمعة مع حاجبه قيران (بفتح القاف وسكون الياء آخر الحروف وفتح الراء) ثم دخلت الى السلطان فوجدت القاضي أمير سيد والطلبة عن يمينه وشماله فصافحني وسلمت عليه وأجلسني عن يساره وسالني عن السلطان محمد وعن أسفاري فاجبته وعاد الى المذاكرة في الفقه على مذهب الشافعي ولم يزل كذلك الى صلاة العصر فلما صلاها دخل بيتا هنالك فنزع الثياب التي كانت عليه وهي ثياب الفقهاء وبها يأتي المسجد يوم الجمعة ماشيا ثم لبس ثياب الملك وهي الاقبية من الحرير والقطن

— ذكر انصرافه الى داره وترتيب السلام عليه —

ولما خرج من المسجد وجد الفيلة والخيل على بابه والعادة عندهم انه اذا ركب السلطان الفيل ركب من معه الخيل واذا ركب الفرس ركبوا الفيلة ويكون أهل العلم عن يمينه فركب ذلك اليوم على الفيل وركبنا الخيل وسرنا معه الى المشور فنزلنا حيث العادة ودخل السلطان راكبا وقد اصطف فى المشور الوزراء والامراء والكتاب وأرباب الدولة ووجوه العسكر صفوفا فاول الصفوف صف الوزراء والكتاب ووزراؤه أربعة فسلموا عليه وانصرفوا الى موضع وقوفهم ثم صف الامراء فسلموا ومضوا الى مواقفهم وكذلك تفعل كل طائفة ثم صف الشرفاء والفقهاء ثم صف الندماء والحكماء والشعراء ثم صف وجوه العسكر ثم صف الفتيان والمماليك ووقف السلطان على فيله ازاء قبة الجلوس ورفع فوق رأسه شطر مرصع وجعل عن يمينه خمسون فيلا مزينة وعن شماله مثلها وعن يمينه أيضا مائة فرس وعن شماله مثلها وهى خيل النوبة ووقف بين يديه خواص الحجاب ثم أتى أهل الطرب من الرجال فغنوا بين يديه وأتى بخيل مجللة بالحرير لها خلاخيل ذهب وارسان حرير مزركشة فرقصت الخيل بين يديه فعجبت من شانها وكنت رأيت مثل ذلك عند ملك الهند ولما كان عند الغروب دخل السلطان الى داره وانصرف الناس الى منازلهم

— ذكر خلاف ابن أخيه وسبب ذلك —

وكان له ابن أخ متزوج بنته فولاه بعض البلاد وكان الفتى يتعشق بنتا لبعض الامراء ويريد تزوجها والعادة هنالك أنه اذا كانت لرجل من الناس أميرا وسوقى أو سواه بنت قد بلغت مبلغ النكاح فلا بد ان يستامر السلطان فى شانها ويبعث السلطان من النساء من تنظر اليها فان أعجبته صفتها تزوجها والا تركها يزوجها أولياؤها ممن يشاؤا والناس هنالك يرغبون فى تزويج السلطان بناتهم لما يحوزن به من الجاه والشرف ولما استامر والد البنت التى تعشقها ابن أخى السلطان بعث السلطان من نظر اليها وتزوجها واشتد شغف الفتى بها ولم يجد سبيلا اليها ثم ان السلطان خرج الى الغزو وبينه وبين الكفار مسيرة شهر فخالفه ابن أخيه الى سمطرة ودخلها اذ لم يكن عليها سور حينئذ وادعى الملك وبايعه بعض الناس وامتنع آخرون وعلم عمه بذلك فقفل عائدا اليها فاخذ ابن أخيه ماقدر عليه من الاموال والذخائر وأخذ الجارية التى تعشقها وقصد بلاد الكفار بمل جاوة ولهذا بنى عمه السور على سمطرة وكانت اقامتى عنده بسمطرة خمسة عشر يوما ثم طلبت منه السفر اذ كان أوانه ولا يتهيا السفر الى الصين فى كل وقت فجهز لنا جنكا وزودنا وأحسن وأجمل جزاه الله خيرا وبعث

معنا من أصحابه من ياتي لنا بالضيافة الى الجنك وسافرنا بطول بلاده احدى وعشرين ليلة ثم وصلنا الى مل جاوة (بضم الميم) وهي بلاد الكفار وطولها مسيرة شهرين وبها الافاويه العطرة والعود الطيب القاقلي والقماري وقاقلة وقمارة من بعض بلادها وليس ببلاد السلطان الظاهر بالجاوة الا اللبان والكافور وشيء من القرنفل وشيء من العود الهندي وانما معظم ذلك بمل جاوة ولنذكر ما شاهدناه منها ووقفنا على اعيانه وحققناه

— ذكر اللبان —

وشجرة اللبان صغيرة تكون بقدر قامة الانسان الى مادون ذلك وأغصانها كاغصان الخرشف وأوراقها صغار رقاق وربما سقطت فبقيت الشجرة منها دون ورقة واللبان صمغية تكون في أغصانها وهي في بلاد المسلمين أكثر منها في بلاد الكفار

— ذكر الكافور —

واما شجر الكافور فهي قصب كقصب بلادنا الا ان الانابيب منها اطول وأغلظ ويكون الكافور في داخل الانابيب فاذا كسرت القصبة وجد في داخل الانبوب مثل شكله من الكافور والسر العجيب فيه انه لا يتكون في تلك القصب حتى يذبح عند أصولها شيء من الحيوان والا لم يتكون شيء منه والطيب المتناهي في البرودة الذي يقتل منه وزن الدرهم بتجميد الروح وهو المسمى عندهم بالحر دالة هو الذي يذبح عند قصبه الآدمي ويقوم مقام الآدمي في ذلك الفيلة الصغار

— ذكر العود الهندي —

واما العود الهندي فشجره يشبه شجر البلوط الا ان قشره رقيق وأوراقه كاوراق البلوط سواء ولا ثمر له وشجرته لا تعظم كل العظم وعرقه طويلة ممتدة وفيها الرائحة العطرة وأما عيدان شجرته وورقها فلا عطرية فيها وكل ما ببلاد المسلمين من شجره فهو متملك واما الذي في بلاد الكفار فاكثره غير متملك والمتملك منه ما كان بقاقلة وهو أطيب العود وكذلك القماري هو أطيب أنواع العود ويبيعونه لاهل الجاوة بالاثواب ومن القماري صنف يطبع عليه كالشمع وأما العطاس فانه يقطع العرق منه ويدفن في التراب أشهرا فتبقى فيه قوته وهو من أعجب أنواعه

— ذكر القرنفل —

واما أشجار القرنفل فهي عادية ضخمة وهي ببلاد الكفار أكثر منها ببلاد الاسلام وليست بمتملكة لكثرتها والمجلوب الى بلادنا منها هو العيدان والذي يسميه أهل بلادنا نور القرنفل هو الذي يسقط من زهره وهو شبيه بزهر النارنج وثمر القرنفل هو جوزبوا المعروفة في بلادنا بجوزة الطيب والزهر المتكون فيها هو البسباسة رأيت ذلك كله وشاهدته ووصلنا

الى مرسى قاقلة فوجدنا به جملة من الجنوك معدة للسرقة ولمن يستعصى عليهم من الجنوك
فان لهم على كل جنك وظيفة ثم نزلنا من الجنك الى مدينة قاقلة وهى بقافين آخر هما مضموم
ولامها مفتوح وهي مدينة حسنة عليها سور من حجارة منحوتة عرضه بحيث تسير فيه
ثلاثة من الفيلة وأول مارأيت بخارجها الفيلة عليها الاحمال من العود الهندي يوقدونه فى
بيوتهم وهو بقيمة الحطب عندنا أو أرخص ثمنا هذا اذا ابتاعوا فيما بينهم واما للتجار
فيبيعون الحمل منه بثوب من ثياب القطن وهى اغلى عندهم من ثياب الحرير والفيلة بها
كثيرة جدا عليها يركبون ويحملون وكل انسان يربط فيلته على بابه وكل صاحب حانوت
يربط فيله عنده يركبه الى داره ويحمل وكذلك جميع أهل الصين والخطا على مثل هذا الترتيب

— ذكر سلطان مل جاوه —

وهو كافر رأيته خارج قصره جالسا على قبة ليس بينه وبين الارض بساط ومعه ارباب
دولته والعساكر يعرضون عليه مشاة ولا خيل هنالك الا عند السلطان وانما يركبون
الفيلة وعليها يقاتلون فعرف شانى فاستدعانى فجئت وقلت السلام على من اتبع الهدى فلم
يفقهوا الا لفظ السلام فرحب بي وأمر أن يفرش لى ثوب أقعد عليه فقلت للترجمان كيف
أجلس على الثوب والسلطان قاعد على الارض فقال هكذا عادته يقعد على الارض تواضعا
وانت ضيف وجئت من سلطان كبير فيجب اكرامك فجلست وسالني عن السلطان فاوجز
فى سؤاله وقال لى تقيم عندنا فى الضيافة ثلاثة أيام وحينئذ يكون انصرافك

— ذكر عجيبة رأيتها بمجلسه —

ورأيت فى مجلس هذا السلطان رجلا بيده سكين شبه سكين المسفر قد وضعه علي رقبة
نفسه وتكلم بكلام كثير لم أفهمه ثم أمسك السكين بيديه معا وقطع عنق نفسه فوقع رأسه
لحدة السكين وشدة امساكه بالارض فعجبت من شانه وقال لى السلطان أيفعل احد هذا
عندكم فقلت له مارأيت هذا قط فضحك وقال هؤلاء عبيدنا يقتلون أنفسهم فى محبتنا
وامر به فرفع واحرق وخرج لاحراقه النواب وارباب الدولة والعساكر والرعايا واجرى
الرزق الواسع على أولاده واهله واخوانه وعظموا لاجل فعله واخبرنى من كان حاضرا
فى ذلك المجلس ان الكلام الذي تكلم به كان تقرير المحبته فى السلطان وانه يقتل نفسه
فى حبه كما قتل ابوه نفسه فى حب ابيه وجده نفسه فى حب جده ثم انصرفت عن المجلس
وبعث الى بضيافة ثلاثة أيام وسافرنا فى البحر فوصلنا بعد أربعة وثلاثين يوما الى البحر
الكاهل وهو الراكد وفيه حمرة زعموا انها من تربة ارض تجاوره ولا ريح فيه ولا موج

ولا حركة مع اتساعه ولا يقبل هذا البحر تتبع كل جنك من جنوك الصين ثلاثة مراكب كما ذكرناه تجذف به فتجره ويكون في الجنك مع ذلك نحو عشرين مجذافا كبارا كالصوارى يجتمع على المجذاف منها ثلاثون رجلا او نحوها ويقومون قياما صفين كل صف يقابل الآخر وفي المجذاف حبلان عظيمان كالطوابيس فتجذف احدى الطائفتين الحبل ثم تتركه وتجذف الطائفة الاخري وهم يغنون عند ذلك باصواتهم الحسان واكثر ما يقولون لعلى لعلى وأقمنا على ظهر هذا البحر سبعة وثلاثين يوما وعجبت البحرية من التسهيل فيه فانهم يقيمون فيه خمسين يوما الى أربعين وهي انهى ما يكون من التيسير عليهم ثم وصلنا الى بلاد طوالسي وهي (بفتح الطاء المهمل والواو وكسر السين المهمل) وملكن هو المسمي بطوالسي وهي بلاد عريضة وملكها يضاهي ملك الصين وله الجنوك الكثيرة يقاتل بها اهل الصين حتى يصالحوه على شيء وأهل هذه البلاد عبدة اوثان حسان الصور أشبه الناس بالترك في صورهم والغالب على ألوانهم الحمرة ولهم شجاعة ونجدة ونساؤهم يركبن الخيل ويحسن الرماية ويقاتلن كالرجال سواء وأرسينا من مراسيهم بمدينة كيلوكري (وضبطها بكاف مفتوح وياء آخر الحروف مسكنة ولام مضموم وكاف مفتوح وراء مكسور) وهي من أحسن مدنهم واكبرها وكان يسكن بها ابن ملكهم فلما ارسينا بالمرسي جاءت عساكرهم ونزل الناخودة اليهم ومعه هدية لابن الملك فسالهم عنه فاخبروه ان أباه ولاه بلدا غيرهم وولى بنته تلك المدينة (واسمها أردجا بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهمل وجيم)

— ذكر هذه الملكة —

ولما كان في اليوم الثاني من حلولنا بمرسى كيلوكرى استدعت هذه الملكة الناخودة صاحب المركب والكواني وهو الكاتب والتجار والرؤساء والتنديل وهو مقدم الرجال وسباه سالار وهو مقدم الرماة لضيافة صنعتها لهم على عادتها ورغب الناخودة مني ان احضر معهم فابيت لانهم كفار لا يجوز اكل طعامهم فلما حضروا عندها قالت لهم هل بقي احد منكم لم يحضر فقال لها الناخودة لم يبق الا رجل واحد بخشي وهو القاضي بلسانهم وبخشي (بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء وكسر الشين المعجمين) وهو لا ياكل طعامكم فقالت ادعوه فجاء جنادرتها واصحاب الناخودة فقالوا أجب الملكة فاتيتها وهي بمجلسها الاعظم وبين يديها نسوة بايديهن الازمة يعرضن ذلك عليها وحولها النساء القواعد وهن وزيراتها وقد جلسها تحت السرير على كراسي الصندل وبين يديها الرجال ومجلسها مفروش بالحرير وعليه ستور حرير وخشبة من الصندل وعليه صفائح الذهب وبالمجلس مساطب خشب منقوش

عليها أوانى ذهب كثيرة من كبار وصغار كالخوابي والقلال والبواقيل أخبرنى الناخودة انها مملوة بشراب مصنوع من السكر مخلوط بالافاويه يشربونه بعد الطعام وانه عطر الرائحة حلو المطعم يفرح ويطيب النكهة ويهضم ويعين على الباءة فلما سلمت على الملكة قالت لى بالتركية حسن مسن يخشي مسن (خوشميسن يخشميسن) معناه كيف حالك كيف انت واجلستني على قرب منها وكانت تحسن الكتاب العربى فقالت لبعض خدامها دواة وبتك كاتور (كتور)، معناه الدواة والكاغد فاتي بذلك فكتبت فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالت ما هذا فقلت لها تنضرى (تنكرى) نام وتنضرى (بفتح التاء المثناة وسكون النون وفتح الضاد وراء وياء) ونام (بنون والف وميم) ومعنى ذلك اسم الله فقالت خشن (خوش)، ومعناه جيد ثم سالتني من أي البلاد قدمت فقلت لها من بلاد الهند فقالت بلاد الفلفل فقلت نعم فسالتني عن تلك البلاد واخبارها فاجبتها فقالت لا بد ان أغزوها وآخذها لنفسي فاني يعجبني كثرة مالها وعساكرها فقلت لها افعلى وامرت لى باثواب وحمل فيلين من الارز وبجاموستين وعشرة من الضان وأربعة أرطال جلاب وأربعة مرطبانات وهى ضخمة مملوءة بالزنجبيل والفلفل والليمون والعنبا كل ذلك مملوح مما يستعد للبحر واخبرني الناخودة ان هذه الملكة لها فى عسكرها نسوة وخدم وجواريقاتلن كالرجال وانها تخرج في العساكر من رجال ونساء فتغير على عدوها وتشاهد القتال وتبارز الابطال واخبرنى انها وقع بينها وبين بعض أعدائها قتال شديد وقتل كثير من عسكرها وكادوا ينهزمون فدفعت بنفسها وخرقت الجيوش حتى وصلت الى الملك الذى كانت تقاتله فطعنته طعنة كان فيها حتفه فمات وانهزمت عساكره وجاءت برأسه على رمح فافتكه أهله منها بمال كثير فلما عادت الى أبيها ملكها تلك المدينة التى كانت بيد أخيها واخبرنى ان ابناء الملوك يخطبونها فتقول لا اتزوج الا من يبارزني فيغلبني فيتحامون مبارزتها خوف المعرة ان غلبتهم ثم سافرنا عن بلاد طوالسى فوصلنا بعد سبعة عشر يوما والريح مساعدة لنا ونحن نسير بها أشد السير واحسنه الى بلاد الصين واقليم الصين متسع كثير الخيرات والفواكه والزرع والذهب والفضة لا يضاهيه فى ذلك اقليم من اقاليم الارض ويخترقه النهر المعروف بآب حيات معنى ذلك ماء الحياة ويسمى ايضا نهر السبر (السرو) كاسم النهر الذى بالهند ومنبعه من جبال بقرب مدينة خان بالق تسمي كوه بوزنه معناه جبل القرود ويمر في وسط الصين مسيرة ستة اشهر الى ان ينتهى الى صين الصين وتكتنفه القرى والمزارع والبساتين والاسواق كنيل مصر الا ان هذا أكثر عمارة وعليه النواعير الكثيرة وببلاد الصين السكر الكثير مما

يضاهي المصري بل يفضله والاعناب والاجاص وكنت أظن ان الاجاص العثماني الذي بدمشق لا نظير له حتي رأيت الاجاص الذي بالصين وبها البطيخ العجيب يشبه بطيخ خوارزم واصفهان وكل ما ببلادنا من الفوا كه فان بها ما هو مثله واحسن منه والقمح بها كثير جداً ولم أر قمحاً أطيب منه وكذلك العدس والحمص

ذكر الفخار الصيني

وأما الفخار الصيني فلا يصنع منه الا بمدينة الزيتون وبصين كلان وهو من تراب جبال هنالك تقد فيه النار كالفحم وسنذكر ذلك ويضيفون اليه حجارة عندهم ويوقدون النار عليها ثلاثة أيام ثم يصبون عليها الماء فيعود الجميع ترابا ثم يخمرونه فالجيد منه ما خمر شهراً كاملا ولا يزاد على ذلك والدون ما خمر عشرة أيام وهو هنالك بقيمة الفخار ببلادنا او أرخص ثمنا ويحمل الى الهند وسائر الاقاليم حتي يصل الى بلادنا بالمغرب وهو أبدع أنواع الفخار

ذكر دجاج الصين

ودجاج الصين وديوكها ضخمة جداً أضخم من الاوز عندنا وبيض الدجاج عندهم أضخم من بيض الاوز عندنا وأما الاوز عندهم فلا ضخامة لها ولقد اشترينا دجاجة فاردنا طبخها فلم يسع لحمها في برمة واحدة فجعلناها في برمتين ويكون الديك بها على قدر النعامة وربما انتتف ريشها فيبقى بضعة حمراء وأول ما رأيت الديك الصيني بمدينة كولم فظننته نعامة وعجبت منه فقال لي صاحبه ان ببلاد الصين ما هو أعظم منه فلما وصلت الى الصين رأيت مصداق ما أخبرني به من ذلك

ذكر بعض من أحوال أهل الصين

وأهل الصين كفار يعبدون الاصنام ويحرقون موتاهم كما تفعل الهنود وملك الصين تترى من ذرية تنكيزخان وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكناهم ولهم فيها المساجد لاقامة الجمعات وسواها وهم معظمون محترمون وكفار الصين يأكلون لحوم الخنازير والكلاب ويبيعونها في أسواقهم وهم أهل رفاهية وسعة عيش الا انهم لا يحتفلون في مطعم ولا ملبس وترى التاجر الكبير منهم الذي لا تحصي أمواله كثرة وعليه جبة قطن خشنة وجميع أهل الصين انما يحتفلون في أواني الذهب والفضة ولكل واحد منهم عكاز يعتمد عليه في المشي ويقولون هو الرجل الثالثة والحرير عندهم كثير جداً لان الدود تتعلق بالثمار وتأكل منها فلا تحتاج الى كثير مؤنة ولذلك كثر وهو لباس الفقراء والمساكين بها ولولا التجار لما كانت له قيمة ويباع الثوب الواحد من القطن عندهم بالاثواب الكثيرة من الحرير وعادتهم ان يسبك التاجر ما يكون عنده من الذهب والفضة قطعا تكون

القطعة منها من قنطار فما فوقه وما دونه ويجعل ذلك على باب داره ومن كان له خمس قطع منها جعل في أصبعه خاتما ومن كانت له عشر جعل خاتمين ومن كان له خمس عشرة سموه الستى (بفتح السين المهمل وكسر التاء المعلوة) وهو بمعنى الكارمى بمصر ويسمون القطعة الواحدة منها بركالة (بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الكاف واللام)

— ذكر دراهم الكاغد التي بها يبيعون ويشترون —

واهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم وجميع مايتحصل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعا كما ذكرناه وانما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد كل قطعة منها بقدر الكف مطبوعة بطابع السلطان وتسمي الخمس والعشرون قطعة منها بالشت (بباء موحدة والف ولام مكسور وشين معجم مسكن وتاء معلوة) وهى بمعني الدينار عندنا واذا تمزقت تلك الكواغد في يد انسان حملها الى دار كدار السكة عندنا فأخذ عوضها جددا ودفع تلك ولا يعطي على ذلك أجرة ولا سواها لان الذين يتولون عملها لهم الارزاق الجارية من قبل السلطان وقد وكل بتلك الدار أمير من كبار الامراء واذا مضى الانسان الى السوق بدرهم فضة أو دينار يريد شراء شيء لم يأخذ منه ولا يلتفت عليه حتى يصرفه بالبالشت ويشترى به ما أراد

— ذكر التراب الذى يوقدونه مكان الفحم —

وجميع أهل الصين والخطا انما فحمهم تراب عندهم منعقد كالطفل عندنا ولونه لون الطفل تأتى الفيلة بالاحمال منه فيقطعونه قطعا على قدر قطع الفحم عندنا ويشعلون النار فيه فيقد كالفحم وهو أشد حرارة من نار الفحم واذا صار رمادا عجنوه بالماء ويبسوه وطبخوا به ثانية ولا يزالون يفعلون به كذلك الى ان يتلاشى ومن هذا التراب يصنعون أواني الفخار الصيني ويضيفون اليه حجارة سواه كما ذكرناه

— ذكر ما خصوا به من احكام الصناعات —

وأهل الصين أعظم الامم احكاما للصناعات وأشدهم اتقانا فيها وذلك مشهور من حالهم قد وصفه الناس في تصانيفهم فاطنبوا فيه وأما التصوير فلا يجاريهم أحد في احكامه من الروم ولا من سواهم فان لهم فيه اقتدارا عظيما ومن عجيب ماشاهدت لهم من ذلك اني مادخلت قط مدينة من مدنهم ثم عدت اليها الا ورأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد موضوعة في الاسواق ولقد دخلت الى مدينة السلطان فمررت على سوق النقاشين ووصلت الى قصر السلطان مع أصحابي ونحن على زى العراقيين فلما عدت من القصر عشيا مررت بالسوق المذكورة فرأيت صورتي وصورة أصحابي منقوشة في كاغد

قد الصقوه بالحائط فجعل كل واحد منا ينظر الى صورة صاحبه لا تخطىء شيا من شبهه وذكر لى ان السلطان أمرهم بذلك وانهم أتوا الى قصر ونحن به فجعلوا ينظرون الينا ويصورون صورنا ونحن لم نشعر بذلك وتلك عادة لهم فى تصوير كل من يمر بهم وتنتهى حالهم فى ذلك الى ان الغريب اذا فعل ما يوجب فراره عنهم بعثوا صورته الى البلاد وبحث عنه فحيثما وجد شبه تلك الصورة أخذ قال ابن جزى هذا مثل ما حكاه أهل التاريخ من قضية سابور ذى الاكتاف ملك الفرس حين دخل الى بلاد الروم متنكرا وحضر وليمة صنعها ملكهم وكانت صورته على بعض الاوانى فنظر اليها بعض خدام قيصر فانطبعت على صورة سابور فقال للملك ان هذه الصورة تخبرنى ان كسري معنا فى هذا المجلس وكان الامر على ما قاله وجري فيه ما هو مسطور فى الكتب

ذكر عادتهم فى تقييد ما فى المراكب

وعادة أهل الصين اذا أراد جنك من جنوكهم السفر صعد اليه صاحب البحر وكتابه وكتبوا من يسافر فيه من الرماة والخدام والبحرية وحينئذ يباح لهم السفر فاذا عاد الجنك الى الصين صعدوا اليه أيضا وقابلوا ما كتبوه باشخاص الناس فان فقدوا أحدا ممن قيدوه طلبوا صاحب الجنك به فاما ان ياتى ببرهان على موته اوفراره اوغير ذلك مما يحدث عليه والا أخذ فيه فاذا فرغوا من ذلك أمروا صاحب المركب ان يملي عليهم تفصيلا بجميع ما فيه من السلع قليلها وكثيرها ثم ينزل من فيه ويجلس حفاظ الديوان لمشاهدة ما عندهم فان عثروا على سلعة قد كتمت عنهم عاد الجنك بجميع ما فيه مالا للمخزن وذلك نوع من الظلم ما رأيته ببلاد من بلاد الكفار ولا المسلمين الا بالصين اللهم الا انه كان بالهند ما يقرب منه وهو ان من عثر على سلعة له قد غاب على مغرمها أغرم أحد عشر مغرما ثم رفع السلطان ذلك لما رفع المغارم

ذكر عادتهم فى منع التجار عن الفساد

واذا قدم التاجر المسلم على بلد من بلاد الصين خير فى النزول عند تاجر من المسلمين المتوطنين معين اوفى الفندق فان احب النزول عند التاجر حصر ماله وضمنه التاجر المستوطن وانفق عليه منه بالمعروف فاذا أراد السفر بحث عن ماله فان وجد شيء منه قد ضاع أغرمه التاجر المستوطن الذي ضمنه وان أراد النزول بالفندق سلم ماله لصاحب الفندق وضمنه وهو يشتري له ما أحب ويحاسبه فان أراد التسري اشترى له جارية واسكنه بدار يكون بابها فى الفندق وانفق عليهما والجواري رخيصات الاثمان ان لاأهل الصين أجمعين

يبيعون أولادهم وبناتهم وليس ذلك عيبا عندهم غير انهم لا يجبرون على السفر مع مشتريهم ولا يمنعون أيضا منه ان اختاروه وكذلك ان اراد التزوج تزوج وأما انفاق ماله في الفساد فشيء لا سبيل له اليه ويقولون لا نريد ان يسمع في بلاد المسلمين انهم يخسرون أموالهم في بلادنا فانها أرض فساد وحسن فائت

— ذكر حفظهم للمسافرين في الطرق —

وبلاد الصين آمن البلاد وأحسنها حالا للمسافرين فان الانسان يسافر منفردا مسيرة تسعة أشهر وتكون معه الاموال الطائلة فلا يخاف عليها وترتيب ذلك ان لهم في كل منزل ببلادهم فندقا عليه حاكم يسكن به في جماعة من الفرسان والرجال فاذا كان بعد المغرب أو العشاء الآخرة جاء الحاكم الى الفندق ومعه كاتبه فكتب أسماء جميع من يبيت به من المسافرين وختم عليها وأقفل باب الفندق عليهم فاذا كان بعد الصبح جاء ومعه كاتبه فدعا كل انسان باسمه وكتب بها تفصيلا وبعث معهم من يوصلهم الى المنزل الثاني له ويأتيه ببراءة من حاكمه ان الجميع قد وصلوا اليه وان لم يفعل طالبه بهم وهكذا العمل في كل منزل ببلادهم من صين الصين الى خان بالق وفي هذه الفنادق جميع ما يحتاج اليه المسافر من الازواد وخصوصا الدجاج والاوز وأما الغنم فهي قليلة عندهم * ولنعد الى ذكر سفرنا فنقول لما قطعنا البحر كانت أول مدينة وصلنا اليها مدينة الزيتون وهذه المدينة ليس بها زيتون ولا بجميع بلاد أهل الصين والهند ولكنه اسم وضع عليها وهي مدينة عظيمة كبيرة تصنع بها ثياب الكمخا والاطلس وتعرف بالنسبة اليها وتفضل على الثياب الخنساوية والخنبالقية ومرساها من أعظم مراسي الدنيا أو هو أعظمها رأيت به نحو مائة جنك كبار وأما الصغار فلا تحصي كثرة وهو خور كبير من البحر يدخل في البر حتى يختلط بالنهر الاعظم وهذه المدينة وجميع بلاد الصين يكون للانسان بها البستان والارض وداره في وسطها كمثل ما هي ببلدة سجلماسة ببلادنا وبهذا عظمت بلادهم والمسلمون ساكنون بمدينة على حدة وفي يوم وصولي اليها رأيت بها الامير الذي توجه الى الهند رسولا بالهدية ومضي في صحبتنا وغرق به الجنك فسلم علي وعرف صاحب الديوان بي فانزلني في منزل حسن وجاء الى قاضي المسلمين تاج الدين الاردويلي وهو من الافاضل الكرماء وشيخ الاسلام كمال الدين عبد الله الاصفهاني وهو من الصلحاء وجاء الى كبار التجار فيهم شرف الدين التبريزي أحد التجار الذين استدنت منهم حين قدومي على الهند وأحسنهم معاملة حافظ القرآن مكثر للتلاوة وهؤلاء التجار لسكناهم في بلاد الكفار اذا قدم عليهم المسلم فرحوا به أشد الفرح

وقالوا جاء من أرض الاسلام وله يعطون زكوات أموالهم فيعود غنيا كواحد منهم وكان بها من المشايخ الفضلاء برهان الدين الكازروني له زاوية خارج البلد واليه يدفع التجار النذور التي ينذرونها للشيخ أبي اسحق الكازروني ولما عرف صاحب الديوان اخباري كتب الي القان وهو ملكهم الاعظم يخبره بقدومي من جهة ملك الهند فطلبت منه أن يبعث معي من يوصلني الى بلاد الصين (صين الصين) وهم يسمونه صين كلان لاشاهد تلك البلاد وهي في عمالته بخلال مايعود جواب القان فاجاب الى ذلك وبعث معي من أصحابه من يوصلني وركبت في النهر في مركب يشبه أجفان بلادنا الغزوية الا أن الجذافين يجذفون فيه قياما وجميعهم في وسط المركب والركاب في المقدم والمؤخر ويظللون على المركب ثياب تصنع من نبات بلادهم يشبه الكتان وليس به وهو أرق من القنب وسافرنا في هذا النهر سبعة وعشرين يوما وفي كل يوم نرسو عند الزوال بقرية نشتري بها مانحتاج اليه ونصلي الظهر ثم ننزل بالعشي الى أخرى هكذا الى أن وصلنا الى مدينة صين كلان (بفتح الكاف) وهي مدينة صين الصين وبها يصنع الفخار وبالريتون أيضا وهنالك يصب نهر آب حياة في البحر ويسمونه مجمع البحرين وهي من أكبر المدن وأحسنها أسواقا ومن أعظم أسواقها سوق الفخار ومنها يحمل الى سائر بلاد الصين والى الهند واليمن وفي وسط هذه المدينة كنيسة عظيمة لها تسعة أبواب داخل كل باب اسطوان ومصاطب يقعد عليها الساكنون بها وبين البابين الثاني والثالث منها موضع فيه بيوت يسكنها العميان وأهل الزمانات ولكل واحد منهم نفقته وكسوته من أوقاف الكنيسة وكذلك فيما بين الابواب كلها وفي داخلها المارستان للمرضى والمطبخة لطبخ الاغذية وفيها الاطباء والخدام وذكر لي أن الشيوخ الذين لاقدرة لهم على التكسب لهم نفقتهم وكسوتهم بهذه الكنيسة وكذلك الايتام والارامل ممن لا حال لهم وعمر هذه الكنيسة بعض ملوكهم وجعل هذه المدينة وماو ليها من القرى والبساتين وقفا عليها وصورة ذلك الملك مصورة بالكنيسة المذكورة وهم يعبدونها وفي بعض جهات هذه المدينة بلدة المسلمين لهم بها المسجد الجامع والزاوية والسوق ولهم قاض وشيخ ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الاسلام تكون أمور المسلمين كلها راجعة اليه وقاض يقضي بينهم وكان نزولي عند أوحد الدين السنجاري وهو أحد الفضلاء الاكابر ذو الاموال الطائلة وأقمت عنده أربعة عشر يوما وتحف القاضي وسائر المسلمين تتوالى علي وكل يوم يصنعون دعوة جديدة ويأتون اليها بالعشارين الحسان والمغنين وليس وراء هذه المدينة مدينة لا للكفار ولا للمسلمين وبينها وبين سد ياجوج وماجوج ستون

يوما فيها ذكر لى يسكنها كفار رحالة يا كلون بنى آدم اذا ظفروا بهم ولذلك لا تسلك بلادهم ولا يسافر اليها ولم أر بتلك البلاد من رأى السد ولا من رأى من رآه

—— حكاية عجيبة ——

ولما كنت بصين كلان سمعت أن بها شيخا كبيرا قد أناف على مائتى سنة وانه لا يا كل ولا يشرب ولا يحدث ولا يباشر النساء مع قوته التامة وانه ساكن فى غار بخارجها يتعبد فيه فتوجهت الى الغار فرأينه على بابه وهو نحيف شديد الحمرة عليه أثر العبادة ولا لحية له فسلمت عليه فامسك يدي وشمها وقال للترجمان هذا من طرف الدنيا كما نحن من طرفها الآخر ثم قال لى لقد رأيت عجبا أتذكر يوم قدومك الجزيرة التي فيها الكنيسة والرجل الذى كان جالسا بين الاصنام واعطاك عشرة دنانير من الذهب فقلت نعم فقال أنا هو فقبلت يده وفكر ساعة ثم دخل الغار فلم يخرج الينا وكانه ظهر منه الندم على ما تكلم به فتهجمنا ودخلنا الغار عليه فلم نجده ووجدنا بعض أصحابه ومعه جملة بوالشت من الكاغد فقال هذه ضيافتكم فانصرفوا فقلنا له ننتظر الرجل فقال لو أقمتم عشر سنين لم تروه فان عادته اذا اطلع أحد على سر من أسراره لا يراه بعده ولا تحسب انه غاب عنك بل هو حاضر معك فعجبت من ذلك وانصرفت فاعلمت القاضي وشيخ الاسلام وأوحد الدين السنجارى بقضيته فقالوا كذلك عادته مع من ياتي اليه من الغرباء ولا يعلم احد ما ينتحله من الاديان والذى ظننتموه احد اصحابه هو هو واخبروني انه كان غاب عن هذه البلاد نحو خمسين سنة ثم قدم عليها منذ سنة وكان السلاطين والامراء والكبراء ياتونه زائرين فيعطيهم التحف على اقدارهم وياتيه الفقراء كل يوم فيعطي لكل احد على قدره وليس في الغار الذى هو به ما يقع عليه البصر وانه يحدث عن السنين الماضية ويذكر النبي صلى الله عليه وسلم ويقول لو كنت معه لنصرته ويذكر الخليفتين عمر بن الخطاب وعلى بن ابي طالب باحسن الذكر ويثني عليهما ويلعن يزيد بن معاوية ويقع فى معاوية وحدثونى عنه بامور كثيرة وأخبرنى أوحد الدين السنجارى قال دخلت عليه بالغار فاخذ بيدى فخيل لى أنى فى قصر عظيم وانه قاعد فيه على سرير وفوق راسه تاج وعن جانبيه الوصائف الحسان والفواكه تتساقط فى انهار هنالك وتخيلت انى اخذت تفاحة لآ كلها فاذا انا بالغار وبين يديه وهو يضحك مني واصابنى مرض شديد لازمنى شهورا فلم اعد اليه واهل تلك البلاد يعتقدون انه مسلم لكن لم يره احد يصلى واما الصيام فهو صائم أبدا وقال لى القاضي ذكرت له الصلاة فى بعض الايام فقال لى اتدرى أنت ما أصنع ان صلاتى غير صلاتك واخباره كلها غريبة وفى اليوم الثاني من لقائه سافرت

راجعا الى مدينة الزيتون و بعد وصولى اليها بايام جاء أمر القان بوصولى الى حضرته على البر والكرامة ان شئت فى النهر والا ففى البر فاخترت السفر فى النهر فجهزوا لى مركبا حسنا من المراكب المعدة لركوب الامراء وبعث الامير معنا أصحابه ووجه لنا الامير والقاضى والتجار المسلمون أزوادا كثيرة وسرنا فى الضيافة نتغدى بقرية ونتعشى باخرى فوصلنا بعد سفر عشرة أيام الى مدينة قنجنفو (وضبط اسمها بفتح القاف وسكون النون وفتح الجيم وسكون النون الآخر وضم الفاء وواو) مدينة كبيرة حسنة فى بسيط أفيح والبساتين محدقة بها فكانها غوطة دمشق وعند وصولنا خرج الينا القاضي وشيخ الاسلام والتجار ومعهم الاعلام والطبول والابواق والانفار وأهل الطرب وأتوا بالخيل فركبنا ومشوا بين أيدينا لم يركب معنا غير القاضي والشيخ وخرج أمير البلد وخدامه وضيف السلطان عندهم معظم أشد التعظيم ودخلنا المدينة ولها أربعة أسوار يسكن ما بين السور الاول والثاني عبيد السلطان من حراس المدينة وسمارها ويسمون البصوانان (الباسوانان) (بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد المهمل وواو وألف ونون وألف ونون) ويسكن ما بين السور الثانى والثالث الجنود المركبون والامير الحاكم على البلد ويسكن داخل السور الثالث المسلمون وهنالك نزلنا عند شيخهم ظهير الدين القرلانى (بضم القاف وسكون الراء) ويسكن داخل السور الرابع الصينيون وهو أعظم المدن الاربعة ومقدار ما بين كل باب منها والذى يليه ثلاثة أميال وأربعة ولكل انسان كما ذكرناه بستانه وداره وأرضه

— حكاية —

وبينا أنا يوما فى دار ظهير الدين القرلانى اذا بمركب عظيم لبعض الفقهاء المعظمين عندهم فاستؤذن له على وقالوا مولانا قوام الدين السبتى فعجبت من اسمه ودخل الى فلما حصلت المؤانسة بعد السلام سنح لى انى أعرفه فاطلت النظر اليه فقال أراك تنظر الى نظر من يعرفنى فقلت له من أي البلاد أنت فقال من سبتة فقلت له وأنا من طنجة فجدد السلام على وبكى حتى بكيت لبكائه فقلت له هل دخلت بلاد الهند فقال لى نعم دخلت حضرة دهلى فلما قال لى ذلك تذكرت له وقلت أأنت البشرى قال نعم وكان وصل الى دهلى مع خاله أبى قاسم المرسى وهو يومئذ شاب لا نبات بعارضيه من حذاق الطلبة يحفظ الموطا وكنت أعلمت سلطان الهند بامره فاعطاه ثلاثة آلاف دينار وطلب منه الاقامة عنده فابي وكان قصده فى بلاد الصين فعظم شانه بها واكتسب الاموال الطائلة أخبرني ان له نحو خمسين غلاما ومثلهم من الجوارى واهدي الى منهم غلامين وجاريتين وتحفا كثيرة ولقيت اخاه بعد ذلك ببلاد السودان فيا بعد ما بينهما وكانت اقامتى بقنجنفو خمسة عشر يوما وسافرت منها وبلاد

الصين على مافيها من الحسن لم تكن تعجبني بل كان خاطري شديد التغير بسبب غلبة الكفر عليها فمتى خرجت عن منزلي رأيت المناكير الكثيرة فاقلقني ذلك حتى كنت ألازم المنزل فلا اخرج الا لضرورة وكنت اذا رأيت المسلمين بها فكاني لقيت أهلي وأقاربي ومن تمام فضيلة هذا الفقيه البشري ان سافر معي لما رحلت عن قنجنفو أربعة أيام حتي وصلت الى مدينة بيوم قطلو (وهي بباء موحدة مفتوحة وياء آخر الحروف ساكنة وواو مفتوحة وميم وقاف مضموم وطاء مسكنة ولام مضموم وواو) مدينة صغيرة يسكنها الصينيون من جند وسوقة وليس بها للمسلمين الا أربعة من الدور أهلها من جهة الفقيه المذكور نزلنا بدار احدهم واقمنا عنده ثلاثة ايام ثم ودعت الفقيه وانصرفت فركبت النهر علي العادة نتغدى بقرية ونتعشي باخرى الى ان وصلنا بعد سبعة عشر يوما منها الى مدينة الخنساء واسمها على نحو اسم الخنساء الشاعرة ولا ادرى اعربي هو ام وافق العربي وهذه المدينة اكبر مدينة رأيتها على وجه الارض طولها مسيرة ثلاثة أيام يرحل المسافر فيها وينزل وهي على ماذكرناه من ترتيب عمارة الصين كل أحد له بستانه وداره وهي منقسمة الى ست مدن سنذكرها وعند وصولنا اليها خرج الينا قاضيها فخر الدين وشيخ الاسلام بها واولاد عثمان بن عفان المصري وهم كبراء المسلمين بها ومعهم علم ابيض والاطبال والانفار والابواق وخرج اميرها فى موكبه ودخلنا المدينة وهي ست مدن علي كل مدينة سور ويحدق بالجميع سور واحد فاول مدينة منها يسكنها حراس المدينة وأميرهم حدثني القاضي وسواه انهم اثنا عشر ألفا في زمام العسكرية وبتنا ليلة دخولنا فى دار أميرهم وفى اليوم الثاني دخلنا المدينة الثانية على باب يعرف بباب اليهود ويسكن بها اليهود والنصاري والترك عبدة الشمس وهم كثير وامير هذه المدينة من اهل الصين وبتنا عنده الليلة الثانية وفى اليوم الثالث دخلنا المدينة الثالثة ويسكنها المسلمون ومدينتهم حسنة واسواقهم مرتبة كترتيبها فى بلاد الاسلام وبها المساجد والمؤذنون سمعناهم يؤذنون بالظهر عند دخولنا ونزلنا منها بدار اولاد عثمان بن عفان المصرى وكان احد التجار الكبار استحسن هذه المدينة فاستوطنها وعرفت بالنسبة اليه واورث عقبه به الجاه والحرمة وهم على ما كان عليه ابوهم من الايثار على الفقراء والاعانة للمحتاجين ولهم زاوية تعرف بالعثمانية حسنة العمارة لها اوقاف كثيرة وبها طائفة من الصوفية وبني عثمان المذكور المسجد الجامع بهذه المدينة ووقف عليه وعلى الزاوية اوقافا عظيمة وعدد المسلمين بهذه المدينة كثير وكانت اقامتنا عندهم خمسة عشر يوما فكنا كل يوم وليلة فى دعوة جديدة ولا يزالون يحتلفون فى اطعمتهم ويركبون معنا كل يوم للنزهة فى اقطار المدينة

وركبوا معي يومافدخلنا الى المدينة الرابعة وهي دار الامارة وبها سكني الامير الكبير قرطي ولما دخلنا من بابها ذهب عني أصحابي ولقيني الوزير وذهب بي الى دار الامير الكبير قرطي فكان من أخذه الفرجية التي أعطانيها ولي الله جلال الدين الشيرازي ما قد ذكرته وهذه المدينة منفردة لسكني عبيد السلطان وخدامه وهي من أحسن المدن الست ويشقها انهار ثلاثة أحدها خليج يخرج من النهر الاعظم وتأتي فيه القوارب الصغار الى هذه المدينة بالمرافق من الطعام وأحجار الوقد وفيه السفن للنزهة والمشور في وسط هذه المدينة وهو كبير جدا ودار الامارة في وسطه وهو يحف بها من جميع الجهات وفيه سقائف فيها الصناع يصنعون الثياب النفيسة وآلات الحرب اخبرني الامير قرطي ان عددهم ألف وستمائة معلم كل واحد منهم يتبعه الثلاثة والاربعة من المتعلمين وهم اجمعون عبيد القان وفي ارجلهم القيود ومساكنهم خارج القصر ويباح لهم الخروج الى اسواق المدينة دون الخروج على بابها ويعرضون كل يوم على الامير مائة مائة فان نقص احدهم طلب به اميره وعادتهم انه اذا خدم أحدهم عشر سنين فك عنه قيده وكان يخير في النظرين اما ان يقيم في الخدمة غير مقيد واما ان يسير حيث شاء من بلاد القان ولا يخرج عنها واذا بلغ سنه خمسين عاما أعتق من الاشغال وانفق عليه وكذلك ينفق على من بلغ هذه السن أو نحوها من سواهم ومن بلغ ستين سنة عدوه كالصبي فلم تجر عليه الاحكام والشيوخ بالصين يعظمون تعظيما كثيرا ويسمي احدهم آطا ومعناه الوالد

— ذكر الامير الكبير قرطي —

وضبط اسمه (بضم القاف وسكون الراء وفتح الطاء المهمل وسكون الياء) وهو أمير أمراء الصين اضافنا بداره وصنع الدعوة ويسمونها الطوي (بضم الطاء المهمل وفتح الواو) وحضرها كبار المدينة وأتي بالطباخين المسلمين فذبحوا وطبخوا الطعام وكان هذا الامير على عظمته ينا ولنا الطعام بيده ويقطع اللحم بيده وأقمنا في ضيافته ثلاثة أيام وبعث ولده معنا الى الخليج فركبنا في سفينة تشبه الحراقة وركب ابن الامير في أخري ومعه أهل الطرب واهل الموسيقى وكانوا يغنون بالصيني وبالعربي وبالفارسي وكان ابن الامير معجبا بالغناء الفارسي فغنوا شعرا منه وأمرهم بتكريره مرارا حتى حفظته من أفواههم وله تلحين عجيب وهو (رجز)

تادل بمحنت داديم * در بحر فكرا فتاديم

جن (جون) در نماز استاديم * قوى بمحراب اندرى (اندريم

واجتمعت بذلك الخليج من السفن طائفة كبيرة لهم القلاع الملونة ومظلات الحرير وسفنهم منقوشة أبدع نقش وجعلوا يتحاملون ويترامون بالنارنج والليمون وعدنا بالعشى الى دار الامير فبتنا بها وحضر أهل الطرب فغنوا بانواع من الغناء العجيب — حكاية المشعوذ —
وفي تلك الليلة حضر أحد المشعوذة وهو من عبيد القان فقال له الامير أرنا من عجائبك فاخذ كرة خشب لها ثقب فيها سيور طوال فرمى بها الى الهواء فارتفعت حتى غابت عن الابصار ونحن في وسط المشور أيام الحر الشديد فلما لم يبق من السير في يده الا يسير أمر متعلما له فتعلق به وصعد في الهواء الى ان غاب عن ابصارنا فدعاه فلم يجبه ثلاثا فاخذ سكينا بيده كالمغتاظ وتعلق بالسير الى ان غاب أيضا ثم رمى بيد الصبي الى الارض ثم رمى برجله ثم بيده الاخرى ثم برجله الاخرى ثم بجسده ثم برأسه ثم هبط وهو ينفخ وثيابه ملطخة بالدم فقبل الارض بين يدي الامير وكلمه بالصيني وأمر له الامير بشيء ثم انه أخذ أعضاء الصبي فالصق بعضها ببعض وركضه برجله فقام سويا فعجبت منه وأصابني خفقان القلب كمثل ما كان أصابني عند ملك الهند حين رأيت مثل ذلك فسقوني دواء أذهب عني ما وجدت وكان القاضي أفخر الدين الى جانبي فقال لي والله ما كان من صعود ولا نزول ولا قطع عضو وانما ذلك شعوذة وفي غد تلك الليلة دخلنا من باب المدينة الخامسة وهي من أكبر المدن يسكنها عامة الناس وأسواقها حسان وبها الحذاق بالصنائع وبها تصنع الثياب الخنساوية ومن عجيب ما يصنعون بها أطباق يسمونها الدست وهي من القصب وقد الصقت قطعه أبدع الصاق ودهنت بصبغ أحمر مشرق وتكون هذه الاطباق عشرة واحدا في جوف آخر لطورقتها تظهر لرائيها كأنها طبق واحد ويصنعون غطاء يغطي جميعها ويصنعون من هذا القصب صحافا ومن عجائبها ان تقع من العلو فلا تنكسر ويجعل فيها الطعام السخن فلا يتغير صباغها ولا يحول وتجلب من هنالك الى الهند وخراسان وسواها ولما دخلنا هذه المدينة بتنا ليلة في ضيافة أميرها وبالغد دخلنا من باب يسمى كشتي وانا الى المدينة السادسة ويسكنها البحرية والصيادون والجلاقطة والنجارون ويدعون دود كاران (درود كران) والأصباهية وهم الرماة والبيادة وهم الرجالة وجميعهم عبيد السلطان ولا يسكن معهم سواهم وعددهم كثير وهذه المدينة على ساحل النهر الاعظم بتنا بها ليلة في ضيافة أميرها وجهز لنا الامير قرطى مركبا بما يحتاج اليه من زاد وسواه وبعث معنا أصحابه برسم التضييف وسافرنا من هذه المدينة وهي آخر أعمال الصين ودخلنا الى بلاد الخطا (بكسر الخاء المعجم وطاء مهمل) وهي أحسن بلاد الدنيا عمارة ولا يكون في جميعها موضع غير معمور فانه ان بقي موضع غير معمور طالب

أهله أو من يواليهم بخراجه والبساتين والقرى والمزارع منتظمة بجانبي هذا النهر من مدينة الخنسا الى مدينة خان بالق وذلك مسيرة أربعة وستين يوما وليس بها أحد من المسلمين الا من كان حاضرا غير مقيم لانها ليست بدار مقام وليس بها مدينة مجتمعة انما هي قرى وبسائط فيها الزرع والفواكه والسكر ولم أر في الدنيا مثلها غير مسيرة أربعة ايام من الانبار الى عانة وكنا كل ليلة ننزل بالقري لاجل الضيافة حتي وصلنا الى مدينة خان بالق (وضبط اسمها بخاء معجم وألف ونون مسكن وباء معقود وألف ولام مكسور وقاف) وتسمي أيضا خانقو (بخاء معجم ونون مكسور وقاف وواو) وهي حضرة القان والقان هو سلطانهم الاعظم الذى مملكته بلاد الصين والخطا ولما وصلنا اليها أرسينا على عشرة أميال منها على العادة عندهم وكتب الى أمراء البحر بخبرنا فاذنوا لنا في دخول مرساها فدخلناه ثم نزلنا الى المدينة وهى من اعظم مدن الدنيا وليست على ترتيب بلاد الصين في كون البساتين داخلها انما هى كسائر البلاد والبساتين بخارجها ومدينة السلطان في وسطها كالقصبة حسبما نذكره ونزلت عند الشيخ برهان الدين الصاغرجي وهو الذى بعث اليه ملك الهند باربعين ألف دينار واستدعاه فاخذ الدنانير وقضى بها دينه وأبي ان يسير اليه وقدم على بلاد الصين فقدمه القان على جميع المسلمين الذين ببلاده وخاطبه بصدر الجهان

ـــ ذكر سلطان الصين والخطا الملقب بالقان ـــ

والقان عندهم سمة لكل من يلى الملك ملك الاقطار كمثل ما يسمي كل من ملك بلاد اللور باتابك واسمه باشاى (بفتح الباء المعقودة والشين المعجمة وسكون الياء) وليس للكفار على وجه الارض مملكة أعظم من مملكته

ـــ ذكر قصره ـــ

وقصره في وسط المدينة المختصة بسكناه وأكثر عمارته بالخشب المنقوش وله ترتيب عجيب وعليه سبعة أبواب فالباب الاول منها يجلس به الكتوال وهو أمير البوابين وله مصاطب مرتفعة عن يمين الباب ويساره فيها المماليك البرددارية وهم حفاظ باب القصر وعددهم خمسمائة رجل وأخبرت انهم كانوا فيما تقدم ألف رجل والباب الثاني يجلس عليه الاصباهية وهم الرماة وعددهم خمسمائة والباب الثالث يجلس عليه النزارية (بالنون والزاي) وهم أصحاب الرماح وعددهم خمسمائة والباب الرابع يجلس عليه التغدارية (بالتاء المثناة والغين المعجم) وهم أصحاب السيوف والترسة والباب الخامس فيه ديوان الوزارة وبه سقائف كثيرة فالسقيفة العظمى يقعد بها الوزير على مرتبة هائلة مرتفعة ويسمون ذلك الموضع المسند وبين يدى الوزير دواة عظيمة من الذهب وتقابل هذه السقيفة سقيفة كاتب السر وعن

يمينها سقيفة كتاب الرسائل وعن يمين سقيفة الوزير سقيفة كتاب الاشغال وتقابل هذه السقائف سقائف أربع احداها تسمي ديوان الاشراف يقعد بها المشرف والثانية سقيفة ديوان المستخرج وأميرها من كبار الامراء والمستخرج هو ما يبقى قبل العمال وقبل الامراء من إقطاعاتهم والثالثة ديوان الغوث ويجلس فيها أحد الامراء الكبار ومعه الفقهاء والكتاب فمن لحقته مظلمة استغاث بهم والرابعة ديوان البريد يجلس فيها أمير الاخباريين والباب السادس من أبواب القصر يجلس عليه الجندارية وأميرهم الاعظم والباب السابع يجلس عليه الفتيان ولهم ثلاثة سقائف احداها سقيفة الحبشان منهم والثانية سقيفة الهنود والثالثة سقيفة الصينيين ولكل طائفة منهم أمير من الصينيين

ـــ ذكر خروج القان لقتال ابن عمه وقتله ـــ

ولما وصلنا حضرة خان بالق وجدنا القان غائبا عنها اذذاك وخرج للقاء ابن عمه فيروز القائم عليه بناحية قراقرم وبش بالغ من بلاد الخطا وبينها وبين الحضرة مسيرة ثلاثة أشهر عامرة واخبرني صدر الجهان برهان الدين الصاغرجي ان القان لما جمع الجيوش وحشد الحشود اجتمع عليه من الفرسان مائة فوج كل فوج منها من عشرة آلاف فارس وأميرهم يسمى امير طومان وكان خواص السلطان واهل دخلته خمسين ألفا زائدا الى ذلك وكانت الرجالة خمسمائة الف ولما خرج خالف عليه اكثر الامراء واتفقوا على خلعه لانه كان قد غير احكام اليساق وهي الاحكام التي وضعها تنكيزخان جدهم الذى خرب بلاد الاسلام فمضوا الى ابن عمه القائم وكتبوا الى القان ان يخلع نفسه وتكون مدينة الخنساء اقطاعا له فابى ذلك وقاتلهم فانهزم وقتل وبعد ايام من وصولنا الى حضرته ورد الخبر بذلك فزينت المدينة وضربت الطبول والابواق والانفار واستعمل اللعب والطرب مدة شهر ثم جيء بالقان المقتول وبنحو مائة من المقتولين بني عمه واقاربه وخواصه فحفر للقان ناووس عظيم وهو بيت تحت الارض وفرش باحسن الفرش وجعل فيه القان بسلاحه وجعل معه ما كان فى داره من اوانى الذهب والفضة وجعل معه اربع من الجوارى وستة من خواص المماليك معهم اوانى الشراب وبني باب البيت وجعل فوقه التراب حتى صار كالتل العظيم ثم جاؤا باربعة افراس فاجروها عند قبره حتي وقفت ونصبوا اخشبا على القبر وعلقوها عليه بعد ان ادخلوا فى دبر كل فرس خشبة حتى خرجت من فمه وجعل اقارب القان المذكورون فى نواويس ومعهم سلاحهم واوانى دورهم وصلبوا على قبور كبارهم وكانوا عشرة ثلاثة من الخيل على كل قبر وعلى قبور الباقين فرسا فرسا وكان هذا اليوم يوما مشهودا لم يتخلف عنه احد من الرجال ولا

النساء المسلمين والكفار وقد لبسوا أجمعون ثياب العزاء وهي الطيالسة البيض للكفار والثياب البيض للمسلمين وأقام خواتين القان وخواصه في الاخبية على قبره أربعين يوما وبعضهم يزيد على ذلك الى سنة وصنعت هنالك سوق يباع فيه ما يحتاجون اليه من طعام وسواه وهذه الافعال لا أذكر ان أمة تفعلها سواهم في هذا العصر فاما الكفار من الهنود وأهل الصين فيحرقون موتاهم وسواهم من الامم يدفنون الميت ولا يجعلون معه أحدا لكن أخبرني الثقات ببلاد السودان ان الكفار منهم اذا مات ملكهم صنعوا له ناووسا وادخلوا معه بعض خواصه وخدامه وثلاثين من أبناء كبارهم وبناتهم بعد أن يكسروا أيديهم وأرجلهم ويجعلون معهم أواني الشراب وأخبرني بعض كبار مسوفة ممن يسكن بلاد كوبر مع السودان واختصه سلطانهم انه كان له ولد فلما مات سلطانهم أرادوا أن يدخلوا ولده مع من أدخلوه من أولادهم قال فقلت لهم كيف تفعلون ذلك وليس على دينكم ولا من ولدكم وفديته منهم بمال عريض ولما قتل القان كما ذكرناه واستولى ابن عمه فيروز على الملك اختار ان تكون حضرته مدينة قراقرم (وضبطها بفتح القاف الاولى والراء وضم الثانية وضم الراء الثانيه) لقربها من بلاد بني عمه ملوك تركستان وما وراء النهر ثم خالفت عليه الامراء ممن لم يحضر لقتل القان وقطعوا الطرق وعظمت الفتن

ذكر رجوعي الى الصين ثم الى الهند

ولما وقع الخلاف وتسعرت الفتن أشار على الشيخ برهان الدين وسواه ان أعود الى الصين قبل تمكن الفتن ووقفوا معي الى نائب السلطان فيروز فبعث معي ثلاثة من أصحابه وكتب لي بالضيافة وسرنا منحدرين في النهر الى الخنساء ثم الى قنجنفو ثم الى الزيتون فلما وصلتها وجدت الجنوك على السفر الى الهند وفي جملتها جنك للملك الظاهر صاحب الجاوة أهله مسلمون وعرفني وكيله وسر بقدومي وصادفنا الريح الطيبة عشرة أيام فلما قاربنا بلاد طوالسي تغيرت الريح وأظلم الجو وكثر المطر وأقمنا عشرة أيام لا نرى الشمس ثم دخلنا بحرا لا نعرفه وخاف أهل الجنك فارادوا الرجوع الى الصين فلم يتمكن ذلك وأقمنا اثنين وأربعين يوما لا نعرف في أي البحار نحن

ذكر الرخ

ولما كان في اليوم الثالث والاربعين ظهر لنا بعد طلوع الفجر جبل في البحر بيننا وبينه نحو عشرين ميلا والريح تحملنا الى صوبه فعجب البحرية وقالوا لسنا بقرب من البر ولا يعهد في البحر جبل وان اضطرتنا الريح اليه هلكنا فلجأ الناس الى التضرع والاخلاص وجددوا التوبة وابتهلنا الى الله بالدعاء وتوسلنا بنبيه صلى الله عليه وسلم ونذر التجار التصدقات

الكثيرة وكتبتها لهم فى زمام بخطى وسكنت الريح بعض سكون ثم رأينا ذلك الجبل عند طلوع الشمس قدار تفع في الهواء وظهر الضوء فيما بينه وبين البحر فعجبنا من ذلك ورأيت البحرية يبكون ويودع بعضهم بعضا فقلت ماشا نكم فقالوا ان الذى تخيلناه جبلاهو الرخ وان رآنا أهلكنا وبيننا إذذاك وبينه اقل من عشرة اميال ثم ان الله تعالى من علينا بريح طيبة صرفتنا عن صوبه فلم نره ولا عرفنا حقيقة صورته وبعد شهرين من ذلك اليوم وصلنا الى الجاوة ونزلنا الى سمطرة فوجدنا سلطانها الملك الظاهر قد قدم من غزاة له وجاء بسبي كثير فبعث لى جاريتين وغلامين وانزلني علي العادة وحضرت اعراس ولده مع بنت اخيه

— ذكر اعراس ولد الملك الظاهر —

وشاهدت يوم الجلوة فرايتهم قد نصبوا فى وسط المشور منبرا كبيرا وكسوه بثياب الحرير وجاءت العروس من داخل القصر على قدميها بادية الوجه ومعها نحو أربعين من الخواتين يرفعن اذيالها من نساء السلطان وأمرائه ووزرائه وكلهن باديات الوجوه ينظر اليهن كل من حضر من رفيع أو وضيع وليست تلك بعادة لهن الا فى الاعراس خاصة وصعدت العروس المنبر وبين يديها أهل الطرب رجالا ونساء يلعبون ويغنون ثم جاء الزوج على فيل مزين على ظهره سرير وفوقه قبة شبيه البوجة والتاج علي رأس العروس المذكور عن يمينه ويساره نحو مائة من أبناء الملوك وامراء قد لبسوا البياض وركبوا الخيل المزينة وعلى رؤوسهم الشواشي المرصعة وهم أتراب العروس ليس فيهم ذو لحية ونثرت الدنانير والدراهم على الناس عند دخوله وقعد السلطان بمنظرة له يشاهد ذلك ونزل ابنه فقبل رجله وصعد المنبر الى العروس فقامت اليه وقبلت يده وجلس الى جانبها والخواتين يروحن عليها وجاؤا بالفوفل والتنبول فاخذه الزوج بيده وجعل منه فى فمها ثم اخذت هى بيديها وجعلت فى فمه ثم اخذ الزوج بفمه ورقة تنبول وجعلها فى فمها وذلك كله على اعين الناس ثم فعلت هي كفعله ثم وضع عليها الستر ورفع المنبر وهما فيه الى داخل القصر وأكل الناس وانصرفوا ثم لما كان من الغد جمع الناس وأجرى له أبوه ولاية العهد وبايعه الناس وأعطاهم العطاء الجزل من الثياب والذهب وأقمت بهذا الجزيرة شهرين ثم ركبت فى بعض الجنوك وأعطاني السلطان كثيرا من العود والكافور والقرنفل والصندل وردنى وسافرت عنه فوصلت بعد اربعين يوما الى كولم فنزلت بها فى جوار القزويني قاضي المسلمين وذلك فى رمضان وحضرت بها صلاة العيد فى مسجدها الجامع وعادتهم أن ياتوا المسجد ليلا فلا يزالون يذكرون الله الى الصبح ثم يذكرون الى حين صلاة العيد ثم يصلون ويخطب الخطيب وينصرفون ثم سافرنا من كولم الى

قالقوط وأقمنا بها أياما وأردت العودة الى دهلى ثم خفت من ذلك فركبت البحر فوصلت بعد ثمان وعشرين ليلة الى ظفار وذلك فى محرم سنة ثمان وأربعين ونزلت بدار خطيبها عيسي بن طاطا

— ذكر سلطانها —

ووجدت سلطانها فى هذه الكرة الملك الناصر ابن الملك المغيث الذى كان ملكا بها حين وصولى اليها فيما تقدم ونائبه سيف الدين عمر أمير جندر التركى الاصل وانزلني هذا السلطان واكرمنى ثم ركبت البحر فوصلت الى مسقط (بفتح الميم) وهي بلدة صغيرة بها السمك الكثير المعروف بقلب الماس ثم سافرنا الى مرسى القريات (وضبطها بضم القاف وفتح الراء والياء آخر الحروف والف وتاء مثناة) ثم سافرنا الى مرسي شبة (وضبط اسمها بفتح الشين المعجم وفتح الباء الموحدة وتشديدها) ثم الى مرسى كلبة ولفظها على لفظ مؤنثة الكلب ثم الى قلهات وقد تقدم ذكرها وهذه البلاد كلها من عمالة هرمز وهي محسوبة من بلاد عمان ثم سافرنا الى هرمز واقمنا بها ثلاثا وسافرنا فى البر الى كورستان ثم الى اللار ثم الى خنج بال وقد تقدم ذكر جميعها ثم سافرنا الى كارزى (وضبط اسمها بفتح الكاف وسكون الراء وكسري الزاى) وأقمنا بها ثلاثا ثم سافرنا الي جمكان (وضبط اسمها بفتح الجيم والميم والكاف وآخره نون) ثم سافرنا منها الى ميمن (وضبط اسمها بفتح الميمين وبينها ياء آخر الحروف مسكنه واخره نون) ثم سافرنا الى بسا (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة والسين المهمل مع تشديدها) ثم الى مدينة شيراز فوجدنا سلطانها أبا اسحاق على ملكه الا أنه كان غائبا عنها ولقيت بها شيخنا الصالح العالم مجد الدين قاضي القضاة وهو قد كف بصره نفعه الله ونفع به ثم سافرت الى ماين ثم الي يزدخاص ثم الى كايل ثم الي كشك زر ثم الى اصبهان ثم الى تستر ثم الى الحويزا ثم الى البصرة وقد تقدم ذكر جميعها وزرت بالبصرة القبور الكريمة التي بها وهى قبر الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وحليمة السعدية وابى بكرة وأنس بن مالك والحسن البصري وثابت البناني ومحمد بن سيرين ومالك بن دينار ومحمد بن واسع وحبيب العجمي وسهل بن عبد الله التستري رضى الله تعالى عنهم أجمعين ثم سافرنا من البصرة فوصلنا الى مشهد على بن أبى طالب رضى الله عنه وزرناه ثم توجهنا الى الكوفة فزرنا مسجدها المبارك ثم الى الحلة حيث مشهد صاحب الزمان واتفق فى بعض تلك الايام ان وليها بعض الامراء فمنع أهلها من التوجه على عادتهم الى مسجد صاحب الزمان وانتظاره هنالك ومنع عنهم الدابة التي كانوا ياخذونها كل ليلة من الامير فاصابت ذلك الوالى علة مات منها سريعا فزاد ذلك فى فتنة الرافضة وقالوا انما أصابه ذلك لاجل منعه الدابة فلم تمنع بعد ثم سافرت الى صرصر ثم الى مدينة بغداد

وصلتها فى شوال سنة ثمان واربعين و لقيت بها بعض المغاربة فعرفنى بكائنة طريف واستيلاء الروم على الخضراء جبرالله صدع الاسلام فى ذلك

— ذكر سلطانها —

وكان سلطان بغداد والعراق فى عهد دخولى اليها فى التاريخ المذكور الشيخ حسن ابن عمة السلطان أبى سعيد رحمه الله ولما مات ابو سعيد استولى على ملكه بالعراق و تزوج زوجته دلشاد بنت دمشق خواجة ابن الامير الجوبان حسبما كان فعله السلطان ابو سعيد من تزوج زوجة الشيخ حسن وكان السلطان حسن غائبا عن بغداد فى هذه المدة متوجها لقتال السلطان أتابك افراسياب صاحب بلاد اللور ثم رحلت من بغداد فوصلت الى مدينة الانبار ثم الى هيت ثم الى الحديثة ثم الى عانة وهذه البلاد من أحسن البلاد وأخصبها والطريق فيما بينها كثير العمارة كان الماشي فى سوق من الاسواق وقد ذكرنا انا لم نر ما يشبه البلاد التي على نهر الصين الا هذه البلاد ثم وصلت الى مدينة الرحبة وهي التي تنسب الى مالك بن طوق ومدينة الرحبة أحسن بلاد العراق وأول بلاد الشام ثم سافرنا منها الى السخنة وهي بلدة حسنة اكثر سكانها الكفار من النصارى وانما سميت السخنة لحرارة مائها وفيها بيوت للرجال وبيوت للنساء يستحمون فيها ويستقون الماء ليلا ويجعلونه فى السطوح ليبرد ثم سافرنا الى تدمر مدينة نبي الله سليمان عليه السلام التي بنتها له الجن كما قال النابغة (بسيط)* يبنون تدمر بالصفاح والعمد ثم سافرنا منها الى مدينة دمشق الشام وكانت مدة مغيبي عنها عشرين سنة كاملة وكنت تركت بها زوجة لى حاملا وتعرفت وأنا ببلاد الهند انها ولدت ولدا ذكرا فبعثت حينئذ الى جده للام وكان من أهل مكناسة المغرب أربعين دينارا ذهبا هنديا فحين وصولى الى دمشق فى هذه الكرة لم يكن لى هم الا السؤال عن ولدى فدخلت المسجد فوفق لى نور الدين السخاوى امام المالكية وكبيرهم فسلمت عليه فلم يعرفني فعرفته بنفسي وسألته عن الولد فقال مات منذ ثنتى عشرة سنة واخبرنى ان فقيها من أهل طنجة يسكن بالمدرسة الظاهرية فسرت اليه لاساله عن والدى وأهلى فوجدته شيخا كبيرا فسلمت عليه وانتسبت له فاخبرنى ان والدي توفى منذ خمس عشرة سنة وان الوالدة بقيد الحياة وأقمت بدمشق الشام بقية السنة والغلاء شديد والخبز قد انتهى الى قيمة سبع اواقى بدرهم نقرة واوقيتهم اربع أواقى مغربية وكان قاضي قضاة المالكية اذ ذاك جمال الدين المسلاتى وكان من اصحاب الشيخ علاء الدين القونوى وقدم معه دمشق فعرف بها ثم ولى القضاء وقاضى قضاة الشافعية تقى الدين بن السبكى وامير دمشق ملك الامراء ارغون شاه

— حكاية —

ومات فى تلك الايام بعض كبراء دمشق واوصى بمال للمساكين فكان المتولى لانفاذ الوصية

يشترى الخبز ويفرقه عليهم كل يوم بعد العصر فاجتمعوا في بعض الليالى وتزاحموا واختطفوا الخبز الذي يفرق عليهم ومدوا ايديهم الى خبز الخبازين وبلغ ذلك الامير أرغون شاه فاخرج زبانيته فكانوا حيث مالقوا أحدا من المساكين قالوا له تعال تاخذ الخبز فاجتمع منهم عدد كثير فحبستهم تلك الليلة وركب من الغدو أحضرهم تحت القلعة وأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وكان أكثرهم برآء عن ذلك وأخرج طائفة الحرافيش عن دمشق فانتقلوا الى حمص وحماه وحلب وذكر لى انه لم يعش بعد ذلك الا قليلا وقتل ثم سافرت من دمشق الى حمص ثم حماة ثم المعرة ثم سرمين ثم الى حلب وكان أمير حلب فى هذا العهد الحاج رغطى (بضم الراء وسكون الغين المعجم وفتح الطاء المهمل وياء آخر الحروف مسكنة)

﴿حكاية﴾ واتفق فى تلك الايام ان فقيرا يعرف بشيخ المشايخ وهو ساكن فى جبل خارج مدينة عنتاب والناس يقصدونه وهم يتبركون به وله تلميذ ملازم له وكان متجردا عزبا لا زوجة له قال فى بعض كلامه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصبر عن النساء وأنا أصبر عنهن فشهد عليه بذلك وثبت عند القاضى ورفع امره الى ملك الامراء وأتي به وبتلميذه الموافق له على قوله فافتى القضاة الاربعة وهم شهاب الدين المالكي وناصر الدين العديم الحنفى وتقى الدين ابن الصائغ الشافعى وعز الدين الدمشقي الحنبلى بقتلهما معا فقتلا وفى أوائل شهر ربيع الاول عام تسعة وأربعين بلغني الخبر فى حلب ان الوباء وقع بغزة وانه انتهى عدد الموتى فيها الى زائد على الالف فى يوم واحد فسافرت الى حمص فوجدت الوباء قد وقع بها ومات يوم دخولى اليها نحو ثلثمائة انسان ثم سافرت الى دمشق ووصلتها يوم الخميس وكان أهلها قد صاموا ثلاثة أيام وخرجوا يوم الجمعة الى مسجد الاقدام حسبما ذكرناه فى السفر الاول فخفف الله الوباء عنهم فانتهى عدد الموتى عندهم الى ألفين واربعمائة في اليوم ثم سافرت الى عجلون ثم الى بيت المقدس ووجدت الوباء قد ارتفع عنه ولقيت خطيبه عز الدين بن جماعة ابن عم عز الدين قاضى القضاة بمصر وهو من الفضلاء الكرماء ومرتبه على الخطابة ألف درهم فى الشهر

— حكاية —

وصنع الخطيب عز الدين يوما دعوة ودعانى فيمن دعاه اليها فسألته عن سببها فاخبرني انه نذر أيام الوباء انه ان ارتفع ذلك ومر عليه يوم لا يصلى فيه على ميت صنع الدعوة ثم قال لى ولما كان بالامس لم اصل على ميت فصنعت الدعوة التي نذرت ووجدت من كنت اعهده من جميع الاشياخ بالقدس قد انتقلوا الى جوار الله تعالى رحمهم الله فلم يبق منهم الا القليل مثل المحدث العالم الامام صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلائي ومثل الصالح شرف الدين الخشى شيخ

بزاوية المسجد الاقصى واقيت الشيخ سليمان الشيرازى فاضا فنى ولم الق بالشام ومصر من وصل الى قدم آدم عليه السلام سواه ثم سافرت عن القدس ورافقني الواعظ المحدث شرف الدين سليمان المليانى وشيخ المغاربة بالقدس الصوفى الفاضل طلحة العبد الوادى فوصلنا الى مدينة الخليل عليه السلام وزرناه ومن معه من الانبياء عليهم السلام ثم سرنا الى غزة فوجدنا معظمها خاليا من كثرة من مات بها فى الوباء وأخبرنا قاضيها ان العدول بها كانوا ثمانين فبقي منهم الربع وان عدد الموتى بها انتهي الى الف ومائة فى اليوم ثم سافرنا فى البر فوصلت الى دمياط ولقيت بها قطب الدين النقشوانى وهو صائم الدهر ورافقنى منها الى فارسكور وسمنود ثم الى أبي صير (بكسر الصاد المهمل وياء وراء) ونزلنا فى زاوية لبعض المصريين بها ﴿حكاية﴾ وبينما نحن بتلك الزاوية اذ دخل علينا أحد الفقراء فسلم وعرضنا عليه الطعام فابى وقال انما قصدت زيارتكم ولم يزل ليلته تلك ساجدا وراكعا ثم صلينا الصبح واشتغلنا بالذكر والفقير بركن الزاوية فجاء الشيخ بالطعام ودعاه فلم يجبه فمضى اليه فوجده ميتا فصلينا عليه ودفناه رحمة الله عليه ثم سافرت الى المحلة الكبيرة ثم إلى نحرارية ثم الى ابيار ثم الى دمنهور ثم الى الاسكندرية فوجدت الوباء قد خف بها بعد ان بلغ عدد الموتى الى الف وثمانين فى اليوم ثم سافرت الى القاهرة وبلغنى ان عدد الموتى ايام الوباء انتهي فيها الى أحد وعشرين الفا فى اليوم ووجدت جميع من كان بها من المشايخ الذين أعرفهم قد ماتوا رحمهم الله تعالى

— ذكر سلطانها —

وكان ملك ديار مصر فى هذا العهد الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون وبعد ذلك خلع عن الملك وولى أخوه الملك الصالح ولما وصلت القاهرة وجدت قاضى القضاة عز الدين ابن قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة قد توجه الى مكة فى ركب عظيم يسمونه الرجبي لسفرهم فى شهر رجب واخبرت ان الوباء لم يزل معهم حتى وصلوا عقبة أيلة فارتفع عنهم ثم سافرت من القاهرة الى بلاد الصعيد وقد تقدم ذكرها الى عيذاب وركبت منها البحر فوصلت الى جدة ثم سافرت منها الى مكة شرفها الله تعالى وكرمها فوصلتها فى الثانى والعشرين لشعبان سنة تسع واربعين ونزلت فى جوار امام المالكية الصالح الولى الفاضل أبي عبدالله محمد بن عبد الرحمن المدعو بخليل فصمت شهر رمضان بمكة وكنت أعتمر كل يوم على مذهب الشافعي ولقيت ممن اعهده من اشياخها شهاب الدين الحنفى وشهاب الدين الطبرى وابامحمد اليافعي ونجم الدين الاصفوني والحرازى وحججت فى تلك السنة ثم سافرت مع الركب الشامى الى طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزرت

قبره المكرم المطيب زاده الله طيبا وتشريفا وصليت في المسجد الكريم طهره الله وزاده تعظيما وزرت من بالبقيع من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ولقيت من الاشياخ أبا محمد بن فرحون ثم سافرنا من المدينة الشريفة الى العلا وتبوك ثم الى بيت المقدس ثم الى مدينة الخليل صلى الله عليه وسلم ثم الى غزة ثم الى منازل الرمل وقد تقدم ذكر ذلك كله ثم الى القاهرة وهنالك تعرفنا أن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين أبا عنان أيده الله تعالى قد ضم الله به نشر الدولة المرينية وشفى ببركته بعد اشفائها البلاد المغربية وأفاض الاحسان على الخاص والعام وغمر جميع الناس بسابغ الانعام فتشوفت النفوس الى المثول ببابه وأملت لثم ركابه فعند ذلك قصدت القدوم على حضرته العلية مع ماشقني من تذكار الاوطان والحنين الى الاهل والخلان والمحبة الى بلادي التي لها الفضل عندي على البلدان

بلاد بها نيطت على تمائمي * وأول أرض مس جلدي ترابها

فركبت البحر في قرقورة لبعض التونسيين صغيرة وذلك في صفر سنة خمسين وسرت حتى نزلت بجربة وسافر المركب المذكور الى تونس فاستولى العدو عليه ثم سافرت في مركب صغير الى قابس فنزلت في ضيافة الاخوين الفاضلين أبي مروان وأبي العباس ابني مكي أميري جربة وقابس وحضرت عندهما مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركبت في مركب الى سفاقس ثم توجهت في البحر الى بليانة ومنها سرت في البر مع العرب فوصلت بعد مشقات الي مدينة تونس والعرب محاصرون لها

ــ ذكر سلطانها ــ

وكانت تونس في ايالة مولانا أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين علم الاعلام وأوحد الملوك الكرام أسد الآساد وجواد الاجواد القانت الاواب الخاشع العادل أبي الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ناصر دين الاسلام الذي سارت الامثال بجوده وشاع في الاقطار أثر كرمه وفضله ذي المناقب والمفاخر والفضائل والمآثر الملك العادل الفاضل أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين قاهر الكفار ومبيدها ومبدي آثار الجهاد ومعيدها ناصر الايمان الشديد السطوة في ذات الرحمان . العابد الزاهد الراكع الساجد الخاشع الصالح أبي يوسف ابن عبد الحق رضى الله عنهم أجمعين وأبقي الملك في عقبهم الى يوم الدين ولما وصلت تونس قصدت الحاج أبا الحسن الناميسي لما بيني وبينه من مودات القرابة والبلدية فانزلني بداره وتوجه معي الى المشور فدخلت المشور الكريم وقبلت يد مولانا أبي الحسن رضى الله عنه

وأمرني بالقعود فقعدت وسالني عن الحجاز الشريف وسلطان مصر فاجبته وسالنى عن
ابن تيفراجين فاخبرته بما فعلت المغاربة معه وإرادتهم قتله بالاسكندرية وما لقى من اذايتهم
انتصارا منهم لمولانا أبي الحسن رضى الله عنه وكان فى مجلسه من الفقهاء الامام أبو عبدالله
السطي والامام أبو عبد الله محمد بن الصباغ ومن اهل تونس قاضيها أبو على عمر بن عبد
الرفيع وابو عبدالله بن هارون وانصرفت عن المجلس الكريم فلما كان بعد العصر استدعاني
مولانا ابو الحسن وهو ببرج يشرف على موضع القتال ومعه الشيوخ الجلة أبو عمر وعثمان بن
عبد الواحد التنالفتي وابو حسون زيان بن أمريون العلوي وابو زكرياء يحيي بن سليمان العسكرى
والحاج ابو الحسن النامسي فسالني عن ملك الهند فاجبته عما سال ولم أزل اتردد الى مجلسه
الكريم ايام اقامتى بتونس وكانت ستة وثلاثين يوما ولقيت بتونس اذذاك الشيخ الامام خاتمة
العلماء وكبيرهم اباعبدالله الابلى وكان فى فراش المرض وباحثني عن كثير من امور رحلتي
ثم سافرت من تونس فى البحر مع القطلانيين فوصلنا الى جزيرة سردانية من جزر الروم
ولها مرسى عجيب عليه خشب كبار دائرة به وله مدخل كانه باب لا يفتح الا باذن منهم وفيها
حصون دخلنا أحدها وبه اسواق كثيرة ونذرت لله تعالى ان خلصنا الله منها صوم شهرين
متتابعين لاننا تعرفنا ان اهلها عازمون على اتباعنا اذا خرجنا عنها ليأسرونا ثم خرجنا عنها
فوصلنا بعد عشر الى مدينة تنس ثم الى مازونة ثم الى مستغانم ثم الى تلمسان فقصدت العباد
وزرت الشيخ ابامدين رضى الله عنه ونفع به ثم خرجت عنها على طريق مدرومة وسلكت
طريق اخندقان وبت بزاوية الشيخ ابراهيم ثم سافرنا منها فبينما نحن بقرب ازغنغان اذ
خرج علينا خمسون راجلا وفارسان وكان معى الحاج ابن قريعات الطنجي واخوه محمد
المستشهد بعد ذلك فى البحر فعزمنا على قتالهم ورفعنا علما ثم سالمونا وسالمناهم والحمد لله
ووصلت الى مدينة تازي وبها تعرفت خبر موت والدتى بالوباء رحمها الله تعالى ثم سافرت
عن تازي فوصلت يوم الجمعة فى اواخر شهر شعبان المكرم من عام خمسين وسبعمائة الى
حضرة فاس فمثلت بين يدى مولانا الاعظم. الامام الاكرم. أمير المؤمنين. المتوكل على رب
العالمين. ابي عنان وصل الله علوه. وكبت عدوه. فانستني هيبته هيبة سلطان العراق وحسنه
حسن ملك الهند وحسن اخلاقه حسن خلق ملك اليمن وشجاعته شجاعة ملك الترك
وحلمه حلم ملك الروم وديانته ديانة ملك تركستان وعلمه علم ملك الجاوة وكان بين يديه
وزيره الفاضل ذو المكارم الشهيرة والمآثر الكثيرة ابو زيان ابن ودرار فسالني عن الديار
المصرية اذ كان قد وصل اليها فاجبته عما سال وغمرنى من احسان مولانا ايده الله تعالى بما

أعجزني شكره والله ولي مكافاته وألقيت عصى التسيار ببلاده الشريفة بعد أن تحققت بفضل الانصاف انها أحسن البلدان لان الفواكه بها متيسرة والمياه والاقوات غير متعذرة وقل إقليم يجمع ذلك ولقد احسن من قال (مجتث)

الغرب أحسن ارض * ولي دليل عليه

البدر يرقب منه * والشمس تسعى اليه

ودراهم الغرب صغيرة وفوائدها كثيرة واذا تاملت أسعاره مع اسعار ديار مصر والشام ظهر لك الحق في ذلك ولاح فضل بلاد المغرب فاقول ان لحوم الاغنام بديار مصر تباع بحساب ثمان عشرة أوقية بدرهم نقرة والدرهم النقرة ستة دراهم من دراهم المغرب وبالمغرب يباع اللحم اذا غلا سعره ثمان عشرة أوقية بدرهمين وهما ثلث النقرة وأما السمن فلا يوجد بمصر في أكثر الاوقات والذي يستعمله أهل مصر من انواع الادام لا يلتفت اليه بالمغرب ولان أكثر ذلك العدس والحمص يطبخونه في قدور راسيات ويجعلون عليه السيرج والبسلا وهو صنف من الجلبان يطبخونه ويجعلون عليه الزيت والقرع يطبخونه ويخلطونه باللبن والبقلة الحمقاء يطبخونها كذلك وأعلا أغصان اللوز يطبخونها ويجعلون عليها اللبن والقلقاس يطبخونه وهذا كله متيسر بالمغرب لكن أغني الله عنه بكثرة اللحم والسمن والزبد والعسل وسوي ذلك وأما الخضر فهي أقل الاشياء ببلاد مصر وأما الفواكه فاكثرها مجلوبة من الشام وأما العنب فاذا كان رخيصا بيع عندهم ثلاثة ارطال من أرطالهم بدرهم نقرة ورطلهم ثنتا عشرة أوقية وأما بلاد الشام فالفواكه بها كثيرة الا انها ببلاد الغرب ارخص منها ثمنا فان العنب يباع بها بحساب رطل من أرطالهم بدرهم نقرة ورطلهم ثلاثة أرطال مغربية واذا رخص ثمنه بيع بحساب رطلين بدرهم نقرة والاجاص يباع بحساب عشر أواق بدرهم نقرة وأما الرمان والسفرجل فتباع الحبة منه بثمانية فلوس وهي درهم من درهم المغرب وأما الخضر فيباع بالدرهم النقرة منها أقل مما يباع في بلادنا بالدرهم الصغير وأما اللحم فيباع فيها الرطل منه من أرطالهم بدرهمين ونصف درهم نقرة فاذا تاملت ذلك كله تبين لك ان بلاد المغرب أرخص البلاد أسعارا وأكثرها خيرات وأعظمها مرافق وفوائد ولقد زاد الله بلاد المغرب شرفا الى شرفها وفضلا الى فضلها بامامة مولانا أمير المؤمنين الذي مد ظلال الامن في اقطارها وأطلع شمس العدل في أرجائها وأفاض سحاب الاحسان في باديتها وحاضرتها وطهرها من المفسدين وأقام بها رسوم الدنيا والدين وأنا أذكر ما عاينته وتحققته من عدله وحلمه وشجاعته واشتغاله بالعلم وتفقهه وصدقته الجارية ورفع المظالم

— ذكر بعض فضائل مولانا أيده الله —

أما عدله فاشهر من أن يسطر فى كتاب فمن ذلك جلوسه للمشتكين من رعيته وتخصيصه يوم الجمعة للمساكين منهم وتقسيمه ذلك اليوم بين الرجال والنساء وتقديمه النساء لضعفهن فتقرأ قصصهن بعد صلاة الجمعة الى العصر ومن وصلت نوبتها نودي باسمها ووقفت بين يديه الكريمتين يكلمها دون واسطة فان كانت متظلمة عجل انصافها او طالبة احسان وقع اسعافها ثم اذا صليت العصر قرأت قصص الرجال وفعل مثل ذلك فيها ويحضر المجلس الفقهاء والقضاة فيرد اليهم ما تعلق بالاحكام الشرعية وهذا شيء لم أرفى الملوك من يفعله على هذا التمام ويظهر فيه مثل هذا العدل فان ملك الهند عين بعض امرائه لاخذ القصص من الناس وتلخيصها ورفعها اليه دون حضور أربابها بين يديه وأما حلمه فقد شاهدت منه العجائب فانه أيده الله عفا عن الكثير ممن تعرض لقتال عساكره والمخالفة عليه وعن أهل الجرائم الكبار التى لا يعفو عن جرائمهم الا من وثق بربه وعلم علم اليقين معنى قوله تعالى والعافين عن الناس قال ابن جزى من أعجب ماشاهدته من حلم مولاه أيده الله انى منذ قدومي على بابه الكريم فى آخر عام ثلاثة وخمسين الى هذا العهد وهو أوائل عام سبعة وخمسين لم أشاهد أحدا أمر بقتله الا من قتله الشرع فى حد من حدود الله تعالى قصاص او حرابة هذا على اتساع المملكة وانفساح البلاد واختلاف الطوائف ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم من الاعصار ولا فيما تباعد من الاقطار وأما شجاعته فقد علم ما كان منه فى المواطن الكريمة من الثبات والاقدام مثل يوم قتال بني عبد الوادى وغيرهم ولقد سمعت خبر ذلك اليوم ببلاد السودان وذكر ذلك عند سلطانهم فقال هكذا والا فلا قال ابن جزي لم يزل الملوك الاقدمون تتفاخر بقتل الآساد وهزائم الاعادى ومولانا ايده الله كان قتل الاسد عليه أهون من قتل الشاة على الاسد فانه لما خرج الاسد على الجيش بوادى النجارين من المعمورة بحوز سلا وتحامته الابطال وفرت امامه الفرسان والرجال برز اليه مولانا ايده الله غير محتفل به ولا متهيب منه فطعنه بالرمح ما بين عينيه طعنة خربها صريعا لليدين وللفم واما هزائم الاعادي فانها اتفقت للملوك بثبوت جيوشهم وإقدام فرسانهم فيكون حظ الملوك الثبوت والتحريض على القتال وأما مولانا ايده الله فانه اقدم على عدوه منفردا بنفسه الكريمة بعد علمه بفرار الناس وتحققه انه لم يبق معه من يقاتل فعند ذلك وقع الرعب فى قلوب الاعداء وانهزموا أمامه فكان من العجائب فرار الامم امام واحد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين وما هو الا ثمرة ما يمتن به أعلى مقامه من التوكل على الله والتفويض اليه وأما اشتغاله بالعلم فها هو أيده الله تعالى يعقد

مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح ويحضر لذلك أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وفروع مذهب مالك رضى الله عنه وكتب المتصوفة وفى كل علم منها له القدح المعلى يجلو مشكلاته بنور فهمه ويلقي نكته الرائقة من حفظه وهذا شأن الائمة المهتدين والخلفاء الراشدين ولم أر من ملوك الدنيا من بلغت عنايته بالعلم الى هذه النهاية فقد رأيت ملك الهند يتذاكر بين يديه بعد صلاة الصبح في العلوم المعقولات خاصة ورأيت ملك الجاوة يتذاكر بين يديه بعد صلاة الجمعة فى الفروع على مذهب الشافعي خاصة وكنت أعجب من ملازمة ملك تركستان لصلاتي العشاء الآخرة والصبح في الجماعة حتى رأيت ملازمة مولانا أيده الله فى الصلوات كلها في الجماعة ولقيام رمضان والله يختص برحمته من يشاء قال ابن جزى لو ان عالما ليس له شغل الا بالعلم ليلا ونهارا لم يكن يصل الى أدنى مراتب مولانا أيده الله فى العلوم مع اشتغاله بأمور الامة وتدبيره لسياسة الاقاليم النائية. ومباشرته من حال ملكه مالم يباشره أحد من الملوك ونظره بنفسه فى شكايات المظلومين ومع ذلك كله فلا تقع بمجلسه الكريم مسألة علم فى أى علم كان إلا جلا مشكلها وباحث فى دقائقها واستخرج غوامضها واستدرك على علماء مجلسه مافاتهم من مغلقاتها ثم سما أيده الله الى العلم الشريف التصوفى ففهم اشارات القوم وتخلق بأخلاقهم وظهرت آثار ذلك فى تواضعه مع رفعته وشفقته على رعيته ورفقه فى أمره كله واعطى للآداب حظا جزيلا من نفسه فاستعمل أحسنها منزعا وأعظمها موقعا وصارت عنه الرسالة الكريمة والقصيدة اللتان بعثهما الى الروضة الشريفة المقدسة الطاهرة روضة سيد المرسلين وشفيع المذنبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبهما بخط يده الذى يخجل الروض حسنا وذلك شيء لم يتعاط أحد من ملوك الزمان إنشاءه ولا رام إدراكه ومن تأمل التوقيعات الصادرة عنه أيده الله تعالى وأحاط علما بمحصولها لاح له فضل ماوهب الله لمولانا من البلاغة التي فطره عليها وجمع له بين الطبيعي والمكتسب منها وأما صدقاته الجارية وما أمر به من عمارة الزوايا بجميع بلاده لاطعام الطعام للوارد والصادر فذلك مالم يفعله أحد من الملوك غير السلطان أتابك أحمد وقد زاد عليه مولانا أيده الله بالتصدق على المساكين باطعام كل يوم والتصدق بالزرع على المتسترين من أهل البيوت قال ابن جزى اخترع مولانا أيده الله فى الكرم والصدقات امورا لم تخطر فى الاوهام ولا اهتدت اليها السلاطين فمنها اجراء الصدقات على المساكين بكل بلد من بلاده على الدوام ومنها تعيين الصدقة الوافرة للمسجونين فى جميع البلاد أيضا ومنها

كون تلك الصدقات خبزا مخبوزا متيسرا الانتفاع به ومنها كسوة المساكين والضعفاء والعجائز والمشايخ والملازمين للمساجد بجميع بلاده ومنها تعيين الضحايا لهؤلاء الاصناف في عيد الاضحى ومنها التصدق بما يجتمع في مجابي ابواب بلاده يوم سبعة وعشرين من رمضان اكراما لذلك اليوم الكريم وقياما بحقه ومنها اطعام الناس في جميع البلاد ليلة المولد الكريم واجتماعهم لاقامة رسمه ومنها اعذار اليتامى من الصبيان وكسوتهم يوم عاشوراء ومنها صدقته على الزمنى والضعفاء بأزواج الحرث يقيمون بها أودهم ومنها صدقته على المساكين بحضرته بالطنافس الوثيرة والقطائف الجياد يفترشونها عند رقادهم وتلك مكرمة لا يعلم لها نظير ومنها بناء المرستانات في كل بلد من بلاده وتعيين الأوقاف الكثيرة لمؤن المرضى وتعيين الاطباء لمعالجتهم والتصرف في طبهم الى غير ذلك مما ابدع فيه من انواع المكارم وضروب المآثر كافا الله أياديه وشكر نعمه وأما رفعه للمظالم عن الرعية فمنها الرتب التي كانت تؤخذ بالطرقات أمر ايده الله بمحو رسمها وكان لها مجبى عظيم فلم يلتفت اليه وما عند الله خير وأبقى وأما كفه أيدي الظلام فأمر مشهور وقد سمعته أيده الله يقول لعماله لا تظلموا الرعية ويؤكد عليهم في تلك الوصية قال ابن جزى ولو لم يكن من رفق مولانا ايده الله برعيته الا رفعه التضييف الذى كانت عمال الزكاة وولاة البلاد تأخذه من الرعايا لكفى ذلك اثرا في العدل ظاهرا ونورا في الرفق باهرا فكيف وقد رفع من المظالم وبسط من المرافق مالا يحيط به الحصر وقد صدر في أيام تصنيف هذا من أمره الكريم في الرفق بالمسجونين ورفع الوظائف الثقيلة التي كانت تؤخذ منهم ماهو اللائق باحسانه والمعهود من رافته وشمل الامر بذلك جميع الاقطار وكذلك صدر من التنكيل بمن ثبت جوره من القضاة والحكام مافيه زجر الظلمة وردع المعتدين واما فعله في معاونة أهل الاندلس على الجهاد ومحافظته على امداد الثغور بالاموال والاقوات والسلاح وفته في عضد العدو باعداد العدد واظهار القوة فذلك امر شهير لم يغب علمه عن اهل المغرب والمشرق ولا سبق اليه احد من الملوك قال ابن جزى حسب المتشوف الى علم ماعند مولانا ايده الله من سداد القطر للمسلمين ودفاع القوم الكافرين مافعله في فداء مدينة طرابلس افريقية فانها لما استولى العدو عليها ومد يد العدوان اليها ورأى أيده الله ان بعث الجيوش الى نصرتها لايتأتى لبعد الاقطار كتب الى خدامه ببلاد افريقية ان يفدوها بالمال ففديت بخمسين ألف دينار من الذهب العين فلما بلغه خبر ذلك قال الحمد لله الذى استرجعها من ايدي الكفار بهذا النزر اليسير وامر للحين ببعث ذلك العدد الى افريقية وعادت المدينة الى

الاسلام على يده ولم يخطر فى الاوهام ان أحدا تكون عنده خمسة قناطير من الذهب نزرا يسيرا حتى جاء بها مولانا ايده الله مكرمة بعيدة ومأثرة فائقة قل فى الملوك امثالها وعز عليهم مثالها ومما شاع من أفعال مولانا أيده الله في الجهاد انشاؤه الاجفان بجميع السواحل واستكثاره من عدد البحر وهذا في زمان الصلح والمهادنة اعدادا لأيام الغزاة وأخذ بالحزم فى قطع اطماع الكفار وأكد ذلك بتوجهه أيده الله بنفسه الى جبال جاناته فى العام الفارط ليباشر قطع الخشب للانشاء ويظهر قدرماله بذلك من الاعتناء ويتولى بذاته اعمال الجهاد مترجيا ثواب الله تعالى وموقنا بحسن الجزاء (رجع) ومن أعظم حسناته ايده الله عمارة المسجد الجديد بالمدينة البيضاء دار ملكه العلى وهو الذى امتاز بالحسن واتقان البناء واشراق النور وبديع الترتيب وعمارة المدرسة الكبرى بالموضع المعروف بالقصر مما يجاور قصبة فاس ولا نظير لها فى المعمورة اتساعا وحسنا وابداعا وكثرة ماء وحسن وضع ولم أر في مدارس الشام ومصر والعراق وخراسان مايشبهها وعمارة الزاوية العظمي على غدير الحمص خارج المدينة البيضاء فلامثل لها أيضا فى عجب وضعها وبديع صنعها وأبدع زاوية رأيتها بالشرق زاوية سرياقص (سرياقوس) التي بناها الملك الناصر وهذه أبدع منها وأشد إحكاما واتقانا والله سبحانه ينفع مولانا أيده الله بمقاصده الشريفة ويكافى فصائله المنيفة ويديم للاسلام والمسلمين ايامه وينصر ألويته المظفرة واعلامه ولنعد الى ذكر الرحلة فنقول ولما حصلت لى مشاهدة هذا المقام الكريم وعمني فضل احسانه العميم قصدت زيارة قبر الوالدة فوصلت الى بلدة طنجة وزرتها وتوجهت الى مدينة سبتة فاقمت بها اشهرا واصابني بها المرض ثلاثة أشهر ثم عافانى الله فاردت ان يكون لى حظ من الجهاد والرباط فركبت البحر من سبتة فى شطى لأهل اصيلا فوصلت الى بلاد الاندلس حرسها الله تعالى حيث الاجر موفور للساكن والثواب مذخور للمقيم والظاعن وكان ذلك إثر موت طاغية الروم الفونس وحصاره الجبل عشرة أشهر وظنه انه يستولى على ما بقي من بلاد الاندلس للمسلمين فاخذه الله من حيث لم يحتسب ومات بالوباء الذى كان أشد الناس خوفا منه واول بلد شاهدته من البلاد الاندلسية جبل الفتح فلقيت به خطيبه الفاضل أبا زكريا يحيي بن السراج الرندى وقاضيه عيسى البربرى وعنده نزلت وتطوفت معه على الجبل فرأيت عجائب ما بنى به مولانا أبو الحسن رضي الله عنه وأعد فيه من العدد ومازاد على ذلك مولانا أيده الله ووددت أن لوكنت ممن رابط به الى نهاية العمر قال ابن جزى جبل الفتح هو معقل الاسلام المعترض شجي فى حلوق

عبدة الاصنام حسنة مولانا ابي الحسن رضي الله عنه المنسوبة اليه وقربته التى قدمها نورا بين يديه محل عدد الجهاد ومقر آساد الاجناد والثغر الذى افترعن نصر الايمان واذاق أهل الاندلس بعد مرارة الخوف حلاوة الأمان ومنه كان مبدأ الفتح الاكبر وبه نزل طارق بن زياد مولى موسي بن نصير عند جوازه فنسب اليه فيقال له جبل طارق وجبل الفتح لان مبدأه كان منه وبقايا السور الذى بناه ومن معه باقية الى الآن تسمي بسور العرب شاهدتها ايام اقامتى به عند حصار الجزيرة اعادها الله ثم فتحه مولانا أبو الحسن رضوان الله عليه واسترجعه من أيدي الروم بعد تملكهم له عشرين سنة ونيفا وبعث الى حصاره ولده الامير الجليل أبا مالك وأيده بالاموال الطائلة والعساكر الجرارة وكان فتحه بعد حصار ستة أشهر وذلك في عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة ولم يكن حينئذ على ماهو الآن عليه فبني به مولانا أبو الحسن رحمة الله عليه المأثرة العظمي باعلى الحصن وكانت قبل ذلك برجا صغيرا تهدم باحجار المجانيق فبناها مكانه وبني به دار الصناعة ولم يكن به دار صنعة وبني السور الاعظم المحيط بالتربة الحمراء الآخذ من دار الصنعة الى القرمدة ثم جدد مولانا أمير المؤمنين أبو عنان أيده الله عهد تحصينه وتحسينه وزاد بها بناء السور بطرف الفتح وهو أعظم أسواره غناء وأعمها نفعا وبعث اليه العدد الوافرة والاقوات والمرافق العامة وعامل الله تعالى فيه بحسن النية وصدق الاخلاص ولما كان في الاشهر الاخيرة من عام ستة وخمسين وقع بجبل الفتح ماظهر فيه أثر يقين مولانا أيده الله وثمرة توكله في أموره على الله وبان مصداق ماطرد له من السعادة الكافية وذلك ان عامل الجبل الخائن الذي ختم له بالشقاء عيسى بن الحسن بن أبي منديل نزع يده المغلولة عن الطاعة وفارق عصمة الجماعة وأظهر النفاق وجمح في الغدر والشقاق وتعاطى ماليس من رجاله وعمى عن مبدأ حاله السيء وماله وتوهم الناس ان ذلك مبدأ فتنة تنفق على اطفائها كرائم الاموال ويستعد لاتقائها بالفرسان والرجال فحكمت سعادة مولانا ايده الله ببطلان هذا التوهم وقضى صدق يقينه بانخراق العادة في هذه الفتنة فلم تكن الأيام يسيرة وراجع أهل الجبل بصائرهم وثاروا على الثائر وخالفوا الشقي المخالف وقاموا بالواجب من الطاعة وقبضوا عليه وعلى ولده المساعد له في النفاق وأتي بهما مصفدين الى الحضرة العلية فنفذ فيهما حكم الله في المحاربين وارا ح الله من شرهما ولما خمدت نار الفتنة اظهر مولانا أيده الله من العناية ببلاد الاندلس مالم يكن في حساب أهلها وبعث الى جبل الفتح ولده الاسعد المبارك الارشد ابا بكر المدعو من السمات السلطانية بالسعيد اسعده الله تعالى وبعث معه

انجاد الفرسان ووجوه القبائل وكفاة الرجال وأدر عليهم الارزاق ووسع لهم الاقطاع وحرر بلادهم من المغارم وبذل لهم جزيل الاحسان وبلغ من اهتمامه بامور الجبل أن أمر أيده الله ببناء شكل يشبه شكل الجبل المذكور فمثل فيه أشكال اسواره وابراجه وحصنه وابوابه ودار صنعته ومساجده ومخازن عدده وأهرية زرعه وصورة الجبل وما اتصل به من التربة الحمراء فصنع ذلك بالمشور السعيد فكان شكلا عجيبا أتقنه الصناع اتقانا يعرف قدره من شاهد الجبل وشاهد هذا المثال وما ذلك الا لتشوقه أيده الى استطلاع أحواله وتهممه بتحصينه واعداده والله تعالى يجعل نصر الاسلام بالجزيرة الغربية على يديه ويحقق ما يؤمله في فتح بلاد الكفار وشت شمل عباد الصليب وتذكرت حين هذا التقييد قول الاديب البليغ المفلق أبي عبد الله محمد بن غالب الرصافي البلنسي رحمه الله في وصف هذا الجبل المبارك من قصيدته الشهيرة في مدح عبد المؤمن بن علي التي أولها (بسيط)

لو جئت نار الهدى من جانب الطور * قبست ما شئت من علم ومن نور

وفيها يقول في وصف الجبل وهو من البديع الذي لم يسبق اليه بعد وصفه السفن وجوازها

حتى رمت جبل الفتحين من جبل * معظم القدر في الاجبال مذكور
من شامخ الانف في سحنائه طلس * له من الغيم جيب غير مزرور
تمسي النجوم على تكليل مفرقه * في الجو خاتمه مثل الدنانير
فربما مسحته من ذوائبها * بكل فضل على فوديه مجرور
وادرد من ثناياه بما أخذت * منه معاجم أعواد الدهارير
محنك حلب الايام أشطرها * وساقها سوق حادي العير للعير
مقيد الخطو جوال الخواطر في * عجيب امريه من ماض ومنظور
قد واصل الصمت والاطراق مفتكرا * بادي السكينة مغفر الاسارير
كأنه مكمد مما تعبده * خوف الوعيدين من دك وتسيير
اخلق به وجبال الارض راجفة * أن يطمئن غدا من كل محذور

ثم استمر في قصيدته على مدح عبد المؤمن بن علي قال ابن جزي ولنعد الى كلام الشيخ أبي عبد الله قال ثم خرجت من جبل الفتح الى مدينة رندة وهي من أمنع معاقل المسلمين وأجملها وضعا وكان قائدها اذ ذاك الشيخ ابو الربيع سليمان بن داود العسكري وقاضيها ابن عمي الفقيه ابو القاسم محمد بن يحيي بن بطوطه ولقيت بها الفقيه القاضي الاديب أبا الحجاج يوسف بن موسى المنتشاقري واضافني بمنزله ولقيت بها أيضا خطيبها الصالح الحاج الفاضل أبا اسحاق

ابراهيم المعروف بالشندرخ المتوفى بعد ذلك بمدينة سلا من بلاد المغرب ولقيت بها جماعة من الصالحين منهم عبد الله الصغار وسواه وأقمت بها خمسة ايام ثم سافرت منها الى مدينة مربلة والطريق فيما بينهما صعب شديد الوعورة ومربلة بليدة حسنة خصبة ووجدت بها جماعة من الفرسان متوجهين الى مالقة فاردت التوجه فى صحبتهم ثم ان الله تعالى عصمني بفضله فتوجهوا قبلي فاسروا فى الطريق كما سنذكره وخرجت فى اثرهم فلما جاوزت حوز مربلة ودخلت فى حوز سهيل مررت بفرس ميت فى بعض الخنادق ثم مررت بقفة حوت مطروحة بالارض فرابني ذلك وكان امامي برج الناظور فقلت فى نفسي لو ظهر ها هنا عدو لانذر به صاحب البرج ثم تقدمت الى دار هنالك فوجدت عليه فرسا مقتولا فبينما انا هنالك اذ سمعت الصياح من خلفي وكنت قد تقدمت اصحابي فعدت اليهم فوجدت معهم قائد حصن سهيل فاعلمني ان اربعة اجفان للعدو ظهرت هنالك ونزل بعض عمارتها الى البر ولم يكن الناظور بالبرج فمر بهم الفرسان الخارجون من مربلة وكانوا اثني عشر فقتل النصاري أحدهم وفر واحد واسر العشرة وقتل معهم رجل حوات وهو الذى وجدت قفته مطروحة بالارض واشار على ذلك القائد بالمبيت معه فى موضعه ليوصلني منه الى مالقة فبت عنده بحصن الرابط المنسوبة الى سهيل والاجفان المذكورة مرساة عليه وركب معي بالغد فوصلنا الى مدينة مالقة احدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والفواكه رايت العنب يباع في اسواقها بحساب ثمانية ارطال بدرهم صغير ورمانها المرسى الياقوتي لا نظير له فى الدنيا واما التين واللوز فيجلبان منها ومن احوازها الى بلاد المشرق والمغرب قال ابن جزى والى ذلك اشار الخطيب ابو محمد عبد الوهاب بن علي المالقي فى قوله وهو من مليح التجنيس (سريع)

مالقة حييت يا تينها * فالفلك من اجلك ياتينها
نهى طبيبي عنك فى علة * ما لطبيبي عن حياتي نها

وذيلها قاضي الجماعة ابو عبد الله بن عبد الملك بقوله فى قصد المجانسة (سريع)

وحمص لا تنس لها تينها * واذكر مع التين زياتينها

(رجع) وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب منها الى أقاصي البلاد ومسجدها كبير الساحة شهير البركة وصحنه لا نظير له فى الحسن فيه اشجار النارنج البعيدة ولما دخلت مالقة وجدت قاضيها الخطيب الفاضل اباعبد الله ابن خطيبها الفاضل ابي جعفر بن خطيبها ولي الله تعالى ابي عبد الله الطنجالي قاعدا بالجامع الاعظم ومعه الفقهاء ووجوه الناس يجمعون مالا

جرسم فداء الاساري الذى تقدم ذكرهم فقلت له الحمد لله الذي عافاني ولم يجعلني منهم وأخبرته بما اتفق لي بعدهم فعجب من ذلك وبعث الي بالضيافة رحمه الله وأضافني أيضا خطيبها أبو عبد الله الساحلي المعروف بالمعمم ثم سافرت منها الى مدينة بلش وبينهما اربعة وعشرون ميلا وهي مدينة حسنة بها مسجد عجيب وفيها الاعناب والفواكه والتين كمثل ما بما لقة ثم سافرنا منها الى الحمة وهي بلدة صغيرة لها مسجد بديع الوضع عجيب البناء وبها العين الحارة على صفة واديها وبينها وبين البلد ميل أو نحوه وهنالك بيت لاستحمام الرجال وبيت لاستحمام النساء ثم سافرت منها الى مدينة غرناطة قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها وخارجها لا نظير له في بلاد الدنيا وهو مسيرة اربعين ميلا يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الانهار الكثيرة والبساتين والجنان والرياضات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة ومن عجيب مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياض والبساتين لا مثل لها بسواها قال ابن جزى لولا خشيت ان أنسب الى العصبية لاطلت القول في وصف غرناطة فقد وجدت مكانه ولكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لاطالة القول فيه ولله در شيخنا أبي بكر محمد بن أحمد بن شيرين البوسني نزيل غرناطة حيث يقول (طويل)

رعى الله من غرناطة متبوأ * يسر حزينا أو يجير طريدا

تبرم منها صاحبي عندما رأى * مسارحها بالثلج عدن جليدا

هي الثغر صان الله من أهلت به * وما خير ثغر لا يكون برودا

—— رجع ذكر سلطانها ——

وكان ملك غرناطة في عهد دخولي اليها السلطان أبو الحجاج يوسف بن السلطان أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر ولم القه بسبب مرض كان به وبعثت الي والدته الحرة الصالحة الفاضلة بدنانير ذهب ارتفقت بها ولقيت بغرناطة جملة من فضلائها منهم قاضي الجماعة بها الشريف البليغ ابو القاسم محمد بن احمد بن محمد الحسيني السبتي ومنهم فقيهها المدرس الخطيب العالم ابو عبد الله محمد بن ابراهيم البياني ومنهم عالمها ومقرئها الخطيب ابو سعيد فرج بن قاسم الشهير بابن لب ومنهم قاضي الجماعة نادرة العصر وطرفة الدهر ابو البركات محمد بن محمد بن ابراهيم السلمي البلعيعي قدم عليها من المرية في تلك الايام فوقع الاجتماع به في بستان الفقيه ابو القاسم محمد ابن الفقيه الكاتب الجليل ابي عبد الله بن عاصم وأقمنا هنالك يومين وليلة قال ابن جزي كنت معهم في ذلك البستان ومتعنا الشيخ ابو عبد الله باخبار رحلته وقيدت عنه اسماء الاعلام الذين لقيهم فيها واستفدنا منه الفوائد العجيبة وكان معنا جملة من

وجوه أهل غرناطة منهم الشاعر المجيد الغريب الشان أبو جعفر أحمد بن رضوان بن عبد العظيم الجذامي وهذا الفتى أمره عجيب فانه نشا بالبادية ولم يطلب العلم ولا مارس الطلبة ثم انه نبغ بالشعر الجيد الذي يندر وقوعه من كبار البلغاء وصدور الطلبة مثل قوله (رمل)

يامن اختار فؤادي منزلا * بابه العين التي ترمقه
فتح الباب سهادي بعدكم * فابعثوا طيفكم يغلقه

(رجع) ولقيت بغرناطه شيخ الشيوخ والمتصوفين بها الفقيه أبا علي عمر بن الشيخ الصالح الولي ابي عبد الله محمد بن المحروق وأقمت أياما بزاويته التي بخارج غرناطة وأكرمني أشد الاكرام وتوجهت معه الى زيارة الزاوية الشهيرة البركة المعروفة برابطة العقاب والعقاب جبل مطل على خارج غرناطة وبينهما نحو ثمانية أميال وهو مجاور لمدينة التيرة الخربة ولقيت أيضا ابن اخيه الفقيه أبا الحسن علي بن احمد بن المحروق بزاويته المنسوبة للجام باعلى ربض نجد من خارج غرناطة المتصل بجبل السبيكة وهو شيخ المتسببين من الفقراء وبغرناطة جملة من فقراء العجم استوطنوها لشبهها ببلادهم منهم الحاج ابو عبد الله السمرقندي والحاج احمد التبريزي والحاج ابراهيم القونوي والحاج حسين الخراساني والحاجان علي ورشيد الهنديان وسواهم ثم رحلت من غرناطة الى الحمة ثم الى بلش ثم الى مالقة ثم الى حصن ذكوان وهو حصن حسن كثير المياه والاشجار والفواكه ثم سافرت منه الى رندة ثم الى قرية بني رياح فانزلني شيخنا ابو الحسن علي سليمان الرياحي وهو احد كرماء الرجال وفضلاء الاعيان يطعم الصادر والوارد وأضافني ضيافة حسنة ثم سافرت الى جبل الفتح وركبت البحر في الجفن الذي جزت فيه اولا وهو لاهل اصيلا فوصلت الى سبتة وكان قائدها اذ ذاك الشيخ ابو مهدي عيسى بن سليمان بن منصور وقاضيها الفقيه ابو محمد الزجندري ثم سافرت منها الى اصيلا واقمت بها شهورا ثم سافرت منها الى مدينة سلا ثم سافرت من سلا فوصلت الى مدينة مراكش وهي من اجمل المدن فسيحة الارجاء متسعة الاقطار كثيرة الخيرات بها المساجد الضخمة كمسجدها الاعظم المعروف بمسجد الكتبيين وبها الصومعة الهائلة العجيبة صعدتها وظهر لي جميع البلد منها وقد استولى عليه الخراب فما شبهته الا ببغداد الا ان أسواق بغداد احسن وبمراكش المدرسة العجيبة التي تميزت بحسن الوضع واتقان الصنعة وهي من بناء الامام مولانا امير المسلمين ابي الحسن رضوان الله عليه قال ابن جزي في مراكش يقول قاضيها التاريخي ابو عبد الله محمد بن عبد الملك الاوسي (بسيط)

لله مراكش الغراء من بلد * وحبذا اهلها السادات من سكن

ان حلها نازح الاوطان مغترب * أسلوه بالانس عن أهل وعن وطن
بين الحديث بها أو العيان لها * ينشا التحاسد بين العين والاذن

—— رجع —— ثم سافرنا من مراكش صحبة الركاب العلي ركاب مولانا أيده الله فوصلنا الى مدينة سلا ثم الى مدينة مكناسة العجيبة الخضر النضرة ذات البساتين والجنات المحيطة بها بحائر الزيتون من جميع نواحيها ثم وصلنا الى حضرة فاس حرسها الله تعالى فوادعت بها مولانا أيده الله وتوجهت برسم السفر الى بلاد السودان فوصلت الى مدينة سجلماسة وهي من أحسن المدن وبها التمر الكثير الطيب وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر لكن تمر سجلماسة أطيب وصنف ايرار منه لا نظير له في البلاد ونزلت منها عند الفقيه أبي محمد البشرى وهو الذى لقيت أخاه بمدينة قنجنفو من بلاد الصين فيا شذ ما تباعدا فاكرمني غاية الاكرام واشتريت بها الجمال وعلفتها أربعة أشهر ثم سافرت في غرة شهر الله المحرم سنة ثلاث وخمسين في رفقة مقدمها أبو محمد يندكان المسوفي رحمه الله وفيها جماعة من تجار سجلماسة وغيرهم فوصلنا بعد خمسة وعشرين يوما الى تغازى وضبط اسمها (بفتح التاء المثناة والغين المعجم والف وزاي مفتوح) أيضا وهي قرية لا خير فيها ومن عجائبها ان بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح وسقفها من جلود الجمال ولا شجر بها انما هي رمل فيه معدن الملح يحفر عليه في الارض فيوجد منه الواح ضخام متراكبة كأنها قد نحتت ووضعت تحت الارض يحمل الجمل منها لوحين ولا يسكنها الا عبيد مسوفة الذين يحفرون على الملح ويتعيشون بما يجلب اليهم من تمر درعة وسجلماسة ومن لحوم الجمال ومن انلي المجلوب من بلاد السودان ويصل السودان من بلادهم فيحملون منها الملح ويباع الحمل منه بايوالاتن بعشرة مثاقيل الى ثمانية وبمدينة مالى بثلاثين مثقالا الى عشرين وربما انتهي الى أربعين مثقالا وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعا ويتبايعون به وقرية تغازي على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر وأقمنا بها عشرة أيام في جهد لأن ماءها زعاق وهي أكثر المواضع ذبابا ومنها يرفع الماء لدخول الصحراء التي بعدها وهي مسيرة عشرة لا ماء فيها الا في النادر ووجدنا نحن بها ماء كثيرا في غدران أبقاها المطر ولقد وجدنا في بعض الايام غديرا بين تلين من حجارة ماؤه عذب فترويناه منه وغسلنا ثيابنا والكماة بتلك الصحراء كثير ويكثر القمل بها حتى يجعل الناس في اعناقهم خيوطا فيها الزئبق فيقتلها وكنا في تلك الايام نتقدم امام القافلة فاذا وجدنا مكانا يصلح للرعي رعينا الدواب به ولم نزل كذلك حتى ضاع في الصحراء رجل يعرف بابن زيرى فلم أتقدم بعد ذلك ولا تأخرت وكان ابن زيرى وقعت بينه وبين ابن خاله

و يعرف بابن عدى منازعة و مشاتمة فتأخر عن الرفقه فضل فلما نزل الناس لم يظهر له خبر فاشرت على ابن خاله بان يكترى من مسوفة من يقص أثره لعله يجده فابي وانتدب في اليوم الثانى رجل من مسوفة دون أجرة لطلبه فوجد أثره وهو يسلك الجادة طورا و يخرج عنها تارة ولم يقع له على خبر ولقد لقينا قافلة فى طريقنا فاخبرونا ان بعض رجال انقطعوا عنهم فوجدنا أحدهم ميتا تحت شجيرة من أشجار الرمل وعليه ثيابه وفى يده سوط وكان الماء على نحو ميل منه ثم وصلنا الى تاسرهلا (بفتح التاء المثناة والسين المهمل والراء وسكون الهاء) وهي احساء ماء تنزل القوافل عليها و يقيمون ثلاثة أيام فيستريحون و يصلحون سقيتهم ويملؤونها بالماء ويخيطون عليها التلاليس خوف الريح ومن هنالك يبعث التكشيف

— ذكر التكشيف —

والتكشيف اسم لكل رجل من مسوفة يكتريه اهل القافلة فيتقدم الى ايوالاتن بكتب الناس الى اصحابهم بها ليكتروا لهم الدور ويخرجون للقائهم بالماء مسيرة اربع ومن لم يكن له صاحب بايوالاتن كتب الى من شهر بالفضل من التجار بها فيشاركه فى ذلك وربما هلك التكشيف فى هذه الصحراء فلا يعلم اهل ايوالاتن بالقافلة فيهلك اهلها او الكثير منهم وتلك الصحراء كثيرة الشياطين فان كان التكشيف منفردا لعبت به واستهوته حتى يضل عن قصده فيهلك اذلا طريق يظهر بها ولا أثر انما هي رمال تسفيها الريح فترى جبالا من الرمل فى مكان ثم تراها قد انتقلت الى سواه والدليل هنالك من كثر تردده وكان له قلب ذكى ورأيت من العجائب ان الدليل الذى كان لنا هو اعور العين الواحدة مريض الثانية وهو اعرف الناس بالطريق واكترينا التكشيف فى هذه السفرة بمائة مثقال من الذهب وهو من مسوفة وفي ليلة اليوم السابع رأينا نيران الذين خرجوا للقائنا فاستبشرنا بذلك وهذه الصحراء منيرة مشرقة ينشرح الصدر فيها و تطيب النفس وهي آمنة من السراق والبقر الوحشية بها كثيرا تأتي القطيع منها حتى يقرب من الناس فيصطادونه بالكلاب والنشاب لكن لحمها يولد أكله العطش فيتحاماه كثير من الناس لذلك ومن العجائب ان هذه البقر اذا قتلت وجد فى كروشها الماء ولقد رأيت أهل مسوفة يعصرون الكرش منها و يشربون الماء الذى فيه والحيات أيضا بهذه الصحراء كثيرة

— حكاية —

وكان فى القافلة تاجر تلمسانى يعرف بالحاج زيان ومن عادته ان يقبض على الحيات و يعبث بها وكنت أنهاه عن ذلك فلا ينتهي فلما كان ذات يوم أدخل يده فى جحر ضب ليخرجه فوجد مكانه حية فاخذها بيده واراد الركوب فلسعته فى سبابته اليمني واصابه وجع شديد فكويت

يده وزاد ألمه عشى النهار فنحر جملا وأدخل يده فى كرشه وتركها كذلك ليلة ثم تناثر لحم أصبعه فقطعها من الاصل وأخبرنا أهل مسوفة ان تلك الحية كانت قد شربت الماء قبل لسعه ولولم تكن شربت لقتلته ولما وصل الينا الذين استقبلونا بالماء شربت خيلنا ودخلنا صحراء شديدة الحر ليست كالتى عهدنا وكنا نرحل بعد صلاة العصر ونسرى الليل كله وننزل عند الصباح وتاتي الرجال من مسوفة وبردامة وغيرهم باحمال الماء للبيع ثم وصلنا الى مدينة أيوالاتن فى غرة شهر ربيع الاول بعد سفر شهرين كاملين من سجلماسة وهي أول عمالة السودان ونائب السلطان بها فربا حسين وفربا بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الباء الموحدة ومعناه النائب ولما وصلناها جعل التجار امتعتهم فى رحبة وتكفل السودان بحفظها وتوجهوا الى الفربا وهو جالس على بساط في سقيف واعوانه بين يديه بايديهم الرماح والقسي وكبراء مسوفة من ورائه ووقف التجار بين يديه وهو يكلمهم بترجمان على قربهم منه احتقارا لهم فعند ذلك ندمت على قدومى بلادهم لسوء أدبهم واحتقارهم للابيض وقصدت دار ابن بداء وهو رجل فاضل من أهل سلا كنت كتبت له ان يكترى لى دارا ففعل ذلك ثم ان مشرف ايوالاتن ويسمى منشاجوا (بفتح الميم وسكون النون وفتح الشين المعجم والف وجيم مضموم وواو) استدعى من جاء فى القافلة الى ضيافته فابيت من حضور ذلك فعزم الاصحاب على أشد العزم فتوجهت فيمن توجه ثم أتى بالضيافة وهى جريش انلي مخلوطا بيسير عسل وابن قد وضعوه فى نصف قرعة صيروه شبه الجفنة فشرب الحاضرون وانصرفوا فقلت لهم ألهذا دعانا الأسود قالوا نعم وهو الضيافة الكبيرة عندهم فايقنت حينئذ أن لا خير يرتجى منهم واردت ان أسافر مع حجاج ايوالاتن ثم ظهر لى ان اتوجه لمشاهدة حضرة ملكهم وكانت اقامتى بايوالاتن نحو خمسين يوما واكرمني اهلها واضافونى منهم قاضيها محمد بن عبد الله بن ينومر واخوه الفقيه المدرس يحيي وبلدة ايوالاتن شديدة الحر وفيها يسير نخيلات يزدرعون فى ظلالها البطيخ وماؤهم من احساء بها ولحم الضان كثير بها وثياب أهلها حسان مصرية وأكثر السكان بها من مسوفة ولنسائها الجمال الفائق وهي اعظم شانا من الرجال

ذكر مسوفة الساكنين بايوالاتن

وشان هؤلاء القوم عجيب وامرهم غريب فامار جالهم فلا غيرة لديهم ولا ينتسب أحدهم الى أبيه بل ينتسب لخاله ولا يرث الرجل الا أبناء أخته دون بنيه وذلك شيء ما رأيته فى الدنيا الا عند كفار بلاد المليبار من الهنود واما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات

وتعلم الفقه وحفظ القرآن واما نساؤهم فلايحتمشن من الرجال ولا يحتجبن مع مواظبتهن على الصلوات ومن أراد التزوج منهن تزوج لكنهن لا يسافرن مع الزوج ولو أرادت احداهن ذلك لمنعها اهلها والنساء هنالك يكون لهن الأصدقاء والاصحاب من الرجال الاجانب وكذلك للرجال صواحب من النساء الاجنبيات ويدخل أحدهم داره فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك

— حكاية —

دخلت يوما على القاضي بايوالاتن بعد اذنه في الدخول فوجدت عنده امرأة صغيرة السن بديعة الحسن فلما رأيتها ارتبت واردت الرجوع فضحكت مني ولم يدركها خجل وقال لى القاضي لم ترجع انها صاحبتي فعجبت من شانهما فانه من الفقهاء الحجاج واخبرت انه استاذن السلطان فى الحج فى ذلك العام مع صاحبته لا أدرى أهى هذه أم لا فلم ياذن له

— حكاية نحوها —

دخلت يوما على ابي محمد يندكان المسوفي الذى قدمنا فى صحبته فوجدته قاعدا على بساط وفى وسط داره سرير مظلل عليه امرأة معها رجل قاعد وهما يتحدثان فقلت له ماهذه المرأة فقال هى زوجتى فقلت وما الرجل الذي معها فقال هو صاحبها فقلت له أترضى بهذا وانت قد سكنت بلادنا وعرفت امور الشرع فقال لى مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لا تهمة فيها ولسن كنساء بلادكم فعجبت من رعونته وانصرفت عنه فلم اعد اليه بعدها واستدعاني مرات فلم اجبه ولما عزمت على السفر الى مالى وبينها وبين ايوالاتن مسيرة اربعة وعشرين يوما للمجد اكتريت دليلا من مسوفة اذ لا حاجة الى السفر فى رفقة لامن تلك الطريق وخرجت فى ثلاثة من اصحابى وتلك الطريق كثيرة الاشجار وأشجارها عادية ضخمة تستظل القافلة بظل الشجرة منها وبعضها لا اغصان لها ولا ورق ولكن ظل جسدها بحيث يستظل به الانسان وبعض تلك الاشجار قد استاسن داخلها واستنقع فيه ماء المطر فكانها بئر ويشرب الناس من الماء الذى فيها ويكون فى بعضها النحل والعسل فيشتاره الناس منها ولقد مررت بشجرة منها فوجدت فى داخلها رجلا حائكا قد نصب بها مرمته وهو ينسج فعجبت منه قال ابن جزى ببلاد الاندلس شجرتين من شجر القسطل فى جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب احداهما بسند وادي آش والاخرى ببشارة غرناطة (رجع) وفى أشجار هذه الغابة التي بين ايوالاتن ومالى ما يشبه ثمرة الاجاص والتفاح والخوخ والمشمش وليست بها وفيها اشجار تثمر شبه الفقوس فاذا طاب انفلق عن شىء شبه الدقيق فيطبخونه ويا كلونه ويباع بالاسواق ويستخرجون من هذه الارض حبات

كالفول فيقلونها ويأكلونها وطعمها كطعم الحمص المقلو وربما طحنوها وصنعوا منها شبه الاسفنج وقلوه بالغرتي والغرتي (بفتح الغين المعجم وسكون الراء وكسر التاء المثناة) وهو ثمر كالاجاص شديد الحلاوة مضر بالبيضان اذا أكلوه ويدق عظمه فيستخرج منه زيت لهم فيه منافع فمنها انهم يطبخون به ويسرجون السرج ويقلون به هذا الاسفنج ويدهنون به ويخلطونه بتراب عندهم ويسطحون به الدور كما تسطح بالجير وهو عندهم كثير متيسر ويحمل من بلد الى بلد في قرع كبار تسع القرعة منها قدر ما تسعه القلة ببلادنا والقرع ببلاد السودان يعظم ومنه يصنعون الجفان يقطعون القرعة نصفين فيصنعون منها جفنتين وينقشونها نقشا حسنا واذا سافر احدهم يتبعه عبيده وجواريه يحملون فرشه وأوانيه التي يأكل ويشرب فيها وهي من القرع والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زادا ولا اداما ولا دينارا ولا درهما انما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج الذي يسميه الناس النظم وبعض السلع العطرية وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكى وتاسرغنت وهو بخورهم فاذا وصل قرية جاء نساء السودان بانلي واللبن والدجاج ودقيق النبق والارز والفوني وهو كحب الخردل يصنع منه الكسكسو والعصيدة ودقيق اللوبيا فيشتري منهن ما احب من ذلك الا ان الارز يضر أكله بالبيضان والفوني خير منه وبعد مسيرة عشرة ايام من ايوالاتن وصلنا الى قرية زاغرى (وضبطها بفتح الزاي والغين المعجم وكسر الراء) وهي قرية كبيرة يسكنها تجار السودان ويسمون ونجراتة (بفتح الواو وسكون النون وفتح الجيم والراء والف وتاء مثناة وتاء تانيث) ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب الاباضية من الخوارج ويسمون صغنغو (بفتح الصاد المهمل والغين المعجم الاول والنون وضم الغين الثاني وواو) والسنيون المالكيون من البيض يسمون عندهم توري (بضم التاء المثناة وواو وراء مكسورة) ومن هذه القرية يجلب انلي الى ايوالاتن ثم سرنا من زاغري فوصلنا الى النهر الاعظم وهو النيل وعليه بلدة كارسخو (بفتح الكاف وسكون الراء وفتح السين المهمل وضم الخاء المعجم وواو) والنيل ينحدر منها الى كابرة (بفتح الباء الموحدة والراء) ثم الى زاغة (بفتح الزاي والغين المعجم) ولكابرة وزاغة سلطانان يؤديان الطاعة لملك مالي وأهل زاغة قدماء في الاسلام لهم ديانة وطلب للعلم ثم ينحدر النيل من زاغة الى تنبكتو ثم الى كوكو وسنذكرهما ثم الى بلدة مولى (بضم الميم وكسر اللام) من بلاد الليميين وهي آخر عمالة مالي ثم الى يوفى واسمها (بضم الياء آخر الحروف وواو وفاء مكسورة) وهي من اكبر بلاد السودان وسلطانها من اعظم سلاطينهم ولا يدخلها الابيض من الناس لانهم يقتلونه قبل الوصول اليها ثم ينحدر

الى بلاد النوبة وهم على دين النصرانية ثم الى دنقلة وهي اكبر بلادهم (وضبطها بضم الدال والقاف وسكون النون بينهما وفتح اللام) وسلطانها يدعى بابن كنز الدين اسلم على ايام الملك الناصر ثم ينحدر الى جنادل وهي آخر عمالة السودان واول عمالة اسوان من صعيد مصر ورايت التمساح بهذا الموضع من النيل بالقرب من الساحل كانه قارب صغير ولقد نزلت يوما الى النيل لقضاء حاجة فاذا باحد السودان قد جاء ووقف فيما بيني وبين النهر فعجبت من سوء ادبه وقلة حيائه وذكرت ذلك لبعض الناس فقال انما فعل ذلك خوفا عليك من التمساح فحال بينك وبينه ثم سرنا من كارسخو فوصلنا الى نهر صنصرة (بفتح الصادين المهملين والراء وسكون النون) وهو على نحو عشرة اميال من مالى وعادتهم ان يمنع الناس من دخولها الا بالاذن وكنت كتبت قبل ذلك لجماعة البيضان وكبيرهم محمد بن الفقيه الجزولى وشمس الدين بن النقويش المصرى ليكتروا الى دارا فلما وصلت الى النهر المذكور جزت في المعدية ولم يمنعني احد فوصلت الى مدينة مالى حضرة ملك السودان فنزلت عند مقبرتها ووصلت الى محلة البيضان وقصدت محمد بن الفقيه فوجدته قد اكترى لى دارا ازاء داره فتوجهت اليها وجاء صهره الفقيه المقرى عبد الواحد بشمعة وطعام ثم جاء ابن الفقيه الى من الغد وشمس الدين بن النقويش وعلى الزودى المراكشي وهو من الطلبة ولقيت القاضى بمالى عبد الرحمن جاءنى وهو من السودان حاج فاضل له مكارم أخلاق بعث الى ببقرة في ضيافته ولقيت الترجمان دوغا (بضم الدال واو وغين معجم) وهو من أفاضل السودان وكبارهم وبعث الى بثور وبعث الى الفقيه عبد الواحد غرارتين من الفونى وقرعة من الغرتى وبعث الى ابن الفقيه الارز والفونى وبعث الى شمس الدين بضيافة وقاموا بحقي أتم قيام شكر الله حسن افعالهم وكان ابن الفقيه متزوجا ببنت عم السلطان فكانت تتفقدنا بالطعام وغيره وأكلنا بعد عشرة أيام من وصولنا عصيدة تصنع من شيء شبه القلقاس يسمى القافى (بقاف والف وفاء) وهي عندهم مفضلة على سائر الطعام فاصبحنا جميعا مرضى وكنا ستة فمات أحدنا وذهبت انا لصلاة الصبح فغشي على فيها وطلبت من بعض المصريين دواء مسهلا فاتى بشيء يسمي بيدر (بفتح الباء الموحدة وتسكين الياء) آخر الحروف وفتح الدال المهمل وراء وهو عروق نبات وخلطه بالانيسون والسكر ولته بالماء فشربته وتقيات ما أكلته مع صفراء كثيرة وعافاني الله من الهلاك ولكني مرضت شهرين

— ذكر سلطان مالى —

وهو السلطان منسى سليمان ومنسي (بفتح الميم وسكون النون وفتح السين المهمل) ومعناه

السلطان وسليمان اسمه وهو ملك بخيل لا يرجى منه كبير عطاء واتفق انى أقمت هذه المدة ولم أره بسبب مرضى ثم صنع طعاما برسم غداء مولانا ابي الحسن رضى الله عنه واستدعى الامراء والفقهاء والقاضى والخطيب وحضرت معهم فاتوا بالربعات وختم القرآن ودعوا لمولانا أبي الحسن رحمه الله ودعوا لمنسى سليمان ولما فرغ من ذلك تقدمت فسلمت على منسي سليمان واعلمه القاضي والخطيب وابن الفقيه بحالى فاجابهم بلسانهم فقالوا لي يقول لك السلطان اشكر الله فقلت الحمد لله والشكر على كل حال

ذكر ضيافتهم التافهة وتعظيمهم لها

ولما انصرفت بعث الى الضيافة فوجهت الى دار القاضى وبعث القاضى بهامع رجاله الى دار ابن الفقيه فخرج ابن الفقيه من داره مسرعا حافى القدمين فدخل على وقال قم قد جاءك قماش السلطان وهديته فقمت وظننت انها الخلع والاموال فاذاهى ثلاثة اقراص من الخبز وقطعة لحم بقري مقلوبا لغرتي وقرعة فيها لبن رائب فعند ما رايتها ضحكت وطال تعجبى من ضعف عقولهم وتعظيمهم للشىء الحقير

ذكر كلامى للسلطان بعد ذلك واحسانه الى

واقمت بعد بعث هذه الضيافة شهرين لم يصل الى فيهما شىء من قبل السلطان ودخل شهر رمضان وكنت خلال ذلك اتردد الى المشور واسلم عليه وأقعد مع القاضي والخطيب فتكلمت مع دوغا الترجمان فقال تكلم عنده وانا أعبر عنك بما يجب فجلس فى اوائل رمضان وقمت بين يديه وقلت له انى سافرت بلاد الدنيا ولقيت ملوكها ولى ببلادك منذ اربعة أشهر ولم تضفنى ولا أعطيتنى شيا فماذا أقول عنك عند السلاطين فقال انى لم أرك ولا علمت بك فقام القاضي وابن الفقيه فردا عليه وقالا انه قد سلم عليك وبعثت اليه الطعام فامر لى عند ذلك بدار انزل بها ونفقة تجرى على ثم فرق على القاضى والخطيب والفقهاء مالا ليلة سبع وعشرين من رمضان يسمونه الزكاة وأعطانى معهم ثلاثة وثلاثين مثقالا وثلثا واحسن الى عند سفرى بمائة مثقال ذهبا

ذكر جلوسه بقبته

وله قبة مرتفعة بابها بداخل داره يقعد فيها أكثر الاوقات ولها من جهة المشور طيقان ثلاثة من الخشب مغشاة بصفائح الفضة وتحتها ثلاثة مغشاة بصفائح الذهب اوهى فضة مذهبة وعليها ستور ملف فاذا كان يوم جلوسه بالقبة رفعت الستور فعلم انه يجلس فاذا جلس أخرج من شباك احدى الطاقات شرابة حرير قد ربط فيها منديل مصري مرقوم فاذا رأى الناس المنديل ضربت الاطبال والابواق ثم يخرج من باب القصر نحو ثلاثمائة من العبيد

فى أيدي بعضهم القسي وفى أيد بعضهم الرماح الصغار والدرق فيقف أصحاب الرماح منهم ميمنة و ميسرة ويجلس أصحاب القسي كذلك ثم يؤتى بفرسين مسرجين ملجمين ومعهما كبشان يذكرون أنهما ينفعان من العين وعند جلوسه يخرج ثلاثة من عبيده مسرعين فيدعون نائبه قنجا موسى وتاتى الفرارية (بفتح الفاء) وهم الامراء ويأتى الخطيب والفقهاء فيقعدون امام السلحدارية يمنة ويسرة فى المشور ويقف دوغا الترجمان على باب المشور وعليه الثياب الفاخرة من الزردخانة وغيرها وعلى راسه عمامة ذات حواشى لهم في تعميمها صنعة بديعة وهو متقلد سيفا غمده من الذهب وفى رجليه الخف والمهاميز ولا يلبس أحد ذلك اليوم خفا غيره ويكون فى يده رمحان صغير ان أحدهما من ذهب والآخر من فضة واسنتهما من الحديد ويجلس الاجناد والولاة والفتيان ومسوفة وغيرهم خارج المشور فى شارع هنالك متسع فيه أشجار وكل فرارى بين يديه أصحابه بالرماح والقسي والاطبال والابواق وبوقاتهم من أنياب الفيلة والآت الطرب المصنوعة من القصب والقرع وتضرب بالسطاعة ولها صوت عجيب وكل فرارى له كنانة قد علقها بين كتفيه وقوسه بيده وهو راكب فرسه واصحابه بين مشاة وركبان ويكون بداخل المشور تحت الطيقان رجل واقف فمن أراد ان يكلم السلطان كلم دوغا ويكلم دوغا لذلك الواقف ويكلم الواقف السلطان

ذكر جلوسه بالمشور

ويجلس أيضا فى بعض الايام بالمشور هنالك مصطبة تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمونها البنبي (بفتح الباء المعقودة الاولى وكسر الثانية وسكون النون بينهما) وتفرش بالحرير وتجعل المخاد عليها ويرفع الشطر وهو شبه قبة من الحرير وعليه طائر من ذهب على قدر البازى ويخرج السلطان من باب فى ركن القصر وقوسه بيده وكنانته بين كتفيه وعلى رأسه شاشية ذهب مشدودة بعصابة ذهب لها أطراف مثل السكاكين رقاق طولها أزيد من شبر وا كثر لباسه جبة حمراء موبرة من الثياب الرومية التى تسمي المطنفس ويخرج بين يديه المغنون بايديهم قنابر الذهب والفضة وخلفه نحو ثلاثمائة من العبيد أصحاب السلاح ويمشي مشيا رويدا ويكثر التانى وربما وقف ينظر فى الناس ثم يصعد برفق كما يصعد الخطيب المنبر وعند جلوسه تضرب الطبول والابواق والانفار ويخرج ثلاثة من العبيد مسرعين فيدعون النائب والفرارية فيدخلون ويجلسون ويؤتي بالفرسين والكبشين معهما ويقف دوغا على الباب وسائر الناس فى الشارع تحت الاشجار

ذكر تذلل السودان لملكهم وتتريبهم له وغير ذلك من أحوالهم

والسودان اعظم الناس تواضعا لملكهم وأشدهم تذللا له ويحلفون باسمه فيقولون منسى سليمان كى فاذا دعا باحدهم عند جلوسه بالقبة التي ذكرناها نزع المدعو ثيابه ولبس ثيابا خلقة ونزع عمامته وجعل شاشية وسخة ودخل رافعا ثيابه وسراويله الى نصف ساقه وتقدم بذلة ومسكنة وضرب الارض بمرفقيه ضربا شديدا ووقف كالراكع يسمع كلامه واذا كلم أحدهم السلطان فرد عليه جوابه كشف ثيابه عن ظهره ورمي بالتراب على رأسه وظهره كما يفعل المغتسل بالماء وكنت أعجب منهم كيف لا تعمى أعينهم واذا تكلم السلطان في مجلسه بكلام وضع الحاضرون عمائمهم عن رؤسهم وانصتوا للكلام وربما قام أحدهم بين يديه فيذكر أفعاله في خدمته ويقول فعلت كذا يوم كذا وقتلت كذا يوم كذا فيصدقه من علم ذلك وتصديقهم ان ينزع احدهم في وتر قوسه ثم يرسلها كما يفعل اذا رمي فاذا قال له السلطان صدقت او شكره نزع ثيابه وترب وذلك عندهم من الادب قال ابن جزي واخبرني الصاحب العلامة الفقيه ابو القاسم بن رضوان اعزه الله انه لما قدم الحاج موسى الونجراتي رسولا عن منسى سليمان الى مولانا ابى الحسن رضى الله عنه كان اذا دخل المجلس الكريم حمل بعض ناسه معه قفة تراب فيترب مهما قال له مولانا كلاما حسنا كما يفعل ببلاده

— ذكر فعله في صلاة العيد وايامه —

وحضرت بما لى عيد الاضحى والفطر فخرج الناس الى المصلى وهو بمقربة من قصر السلطان وعليهم الثياب البيض الحسان وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان والسودان لا يلبسون الطيلسان الا فى العيد ماعدا القاضى والخطيب والفقهاء فانهم يلبسونه فى سائر الايام وكانوا يوم العيد بين يدى السلطان وهم يهللون ويكبرون وبين يديه العلامات الحمر من الحرير ونصب عند المصلى خباء فدخل السلطان اليها واصلح من شأنه ثم خرج الى المصلى فقضيت الصلاة والخطبة ثم نزل الخطيب وقعد بين يدى السلطان وتكلم بكلام كثير وهنالك رجل بيده رمح يبين للناس بلسانهم كلام الخطيب وذلك وعظ وتذكير وثناء على السلطان وتحريض على لزوم طاعته واداء حقه ويجلس السلطان فى ايام العيدين بعد العصر على البنبي وتأتى السلحدارية بالسلاح العجيب من تراكش الذهب والفضة والسيوف المحلاة بالذهب واغمادها منه ورماح الذهب والفضة ودبابيس البلور ويقف على رأسه أربعة من الامراء يشردون الذباب وفى أيديهم حلية من الفضة تشبه ركاب السرج ويجلس الفرارية والقاضي والخطيب على العادة ويأتي دوغا الترجمان بنسائه الاربع وجواريه وهن نحو مائة عليهن الملابس الحسان وعلى رأسهن عصائب الذهب والفضة فيها تفافيح ذهب

وفضة وينصب لدوغا كرسي يجلس عليه و يضرب الآلة التي هي من قصب وتحتها قريعات و يغني بشعر يمدح السلطان فيه ويذكر غزواته وأفعاله و يغني النساء والجواري معه و يلعبن بالقسي و يكون معهن نحو ثلاثين من غلمانه عليهم جباب الملف والحمر وفي رؤوسهم الشواشي البيض وكل واحد منهم متقلد طبله يضربه ثم يأتي أصحابه من الصبيان فيلعبون و يتقلبون في الهواء كما يفعل السندي ولهم في ذلك رشاقة وخفة بديعة و يلعبون بالسيوف اجمل لعب ويلعب دوغا بالسيف لعبا بديعا وعند ذلك يأمر السلطان له بالاحسان فيأتي بصرة فيها مائتا مثقال من التبر ويذكر له مافيها على رؤوس الناس و تقوم الفرارية فينزعون في قسيهم شكرا للسلطان و بالغد يعطى كل واحد منهم لدوغا عطاء على قدره وفي كل يوم جمعة بعد العصر يفعل دوغا مثل هذا الترتيب الذي ذكرناه

— ذكر الأضحوكة في انشاد الشعراء للسلطان —

واذا كان يوم العيد وأتم دوغا لعبه جاء الشعراء و يسمون الجلا (بضم الجيم) وأحدهم جالى وقد دخل كل واحد منهم في جوف صورة مصنوعة من الريش تشبه الشقشاق وجعل لها رأس من الخشب لها منقار أحمر كأنه رأس الشقشاق و يقفون بين يدي السلطان بتلك الهيئة المضحكة فينشدون أشعارهم وذكر لي ان شعرهم نوع من الوعظ يقولون فيه للسلطان ان هذا البنبي الذي عليه جلس فوقه من الملوك فلان وكان من أحسن أفعاله كذا وفلان وكان من افعاله كذا فافعل انت من الخير مايذكر بعدك ثم يصعد كبير الشعراء على درج البنبي و يضع رأسه في حجر السلطان ثم يصعد الى أعلى البنبي فيضع رأسه على كتف السلطان الايمن ثم على كتفه الايسر وهو يتكلم بلسانهم ثم ينزل وأخبرت ان هذا الفعل لم يزل قديما عندهم قبل الاسلام فاستمروا عليه

— حكاية —

وحضرت مجلس السلطان في بعض الايام فأتي أحد فقهائهم وكان قدم من بلاد بعيدة وقام بين يدي السلطان وتكلم كلاما كثيرا فقام القاضي فصدقه ثم صدقهما السلطان فوضع كل واحد منهما عمامته عن رأسه وترب بين يديه وكان الى جانبي رجل من البيضان فقال لي أتعرف ماقالوه فقلت لا أعرف فقال ان الفقيه أخبر ان الجراد وقع ببلادهم فخرج أحد صلحائهم الى موضع الجراد فهاله أمرها فقال هذا جراد كثير فأجابته جرادة منها وقالت ان البلاد التي يكثر فيها الظلم يبعثنا الله لفساد زرعها فصدقه القاضي والسلطان وقال عند ذلك للامراء اني بريء من الظلم ومن ظلم منكم عاقبته ومن علم بظالم ولم يعلمني به فذنوب ذلك الظالم في عنقه والله حسيبه وسائله ولما قال هذا الكلام وضع الفرارية عمائمهم عن رؤسهم وتبرؤوا من الظلم

— حكاية —

وحضرت الجمعة يوما فقام أحد التجار من طلبة مسوفة ويسمى بابي حفص فقال يا أهل المسجد أشهدكم ان منسي سليمان في دعوتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ذلك خرج اليه جماعة رجال من مقصورة السلطان فقالوا له من ظلمك من أخذ لك شيا فقال منشاجو ايوالاتن يعني مشرفها أخذ مني ما قيمته ستمائة مثقال واراد ان يعطيني في مقابلته مائة مثقال خاصة فبعث السلطان عنه للحين فحضر بعد ايام وصرفهما للقاضي فثبت للتاجر حقه فاخذه وبعد ذلك عزل المشرف عن عمله

— حكاية —

واتفق في أيام اقامتي بمالي ان السلطان غضب على زوجته الكبري بنت عمه المدعوة بقاسا ومعني قاسا عندهم الملكة وهي شريكته في الملك على عادة السودان ويذكر اسمها مع اسمه على المنبر وسجنها عند بعض الفرارية وولى في مكانها زوجته الاخرى بنجو ولم تكن من بنات الملوك فاكثر الناس الكلام في ذلك وانكروا فعله ودخل بنات عمه على بنجو يهنئنها بالملكة فجعلن الرماد على اذرعهن ولم يتربن رؤسهن ثم ان السلطان سرح قاسا من ثقافها فدخل عليها بنات عمه يهنئنها بالسراح وتربن علي العادة فشكت بنجو الي السلطان بذلك فغضب علي بنات عمه فخفن منه واستجرن بالجامع فعفا عنهن واستدعاهن وعادتهن اذا دخلن على السلطان ان يتجردن عن ثيابهن ويدخلن عرايا ففعلن ذلك ورضي عنهن وصرن ياتين باب السلطان غدوا وعشيا مدة سبعة أيام وكذلك يفعل كل من عفا عنه السلطان وسارت قاسا تركب كل يوم في جواريها وعبيدها وعلى رؤسهم التراب وتقف عند المشور متنقبة لا يرى وجهها وأكثر الامراء الكلام في شانها فجمعهم السلطان في المشور وقال لهم دوغا على لسانه انكم قد أكثرتم الكلام في امر قاسا وانها أذنبت ذنبا كبيرا ثم أتي بجارية من جواريها مقيدة مغلولة فقيل لها تكلمي بما عندك فاخبرت ان قاسا بعثتها الى جاطل ابن عم السلطان الهارب عنه الى كنبرني واستدعته ليخلع السلطان عن ملكه وقالت له أنا وجميع العسا كرطوع أمرك فلما سمع الامراء ذلك قالوا ان هذا ذنب كبير وهي تستحق القتل عليه فخافت قاسا من ذلك واستجارت بدار الخطيب وعادتهم ان يستجير واهنالك بالمسجد وان لم يتمكن فبدار الخطيب وكان السودان يكرهون منسى سليمان لبخله وكان قبله منسى مغا وقبل منسى مغا منسي موسي وكان كريما فاضلا يحب البيضان ويحسن اليهم وهو الذي اعطي لابي اسحاق الساحلي في يوم واحد أربعة آلاف مثقال واخبرني بعض الثقات انه أعطى لمدرك بن فقوص ثلاثة آلاف مثقال في يوم واحد وكان جده سارق جاطة أسلم على يدى جد مدرك هذا

— حكاية —

وأخبرني الفقيه مدرك هذا ان رجلا من أهل تلمسان يعرف بابن شيخ اللبن كان قد أحسن الى السلطان منسى موسى فى صغره بسبعة مثاقيل وثلث وهو يومئذ صبي غير معتبر ثم اتفق ان جاء اليه فى خصومة وهو سلطان فعرفه وأدعاه وأدناه منه حتي جلس معه على البنبي ثم قرره على فعله معه وقال للامراء ماجزاء من فعل مافعله من الخير فقالوا له الحسنة بعشر امثالها فاعطه سبعين مثقالا فاعطاه عند ذلك سبعمائة مثقال وكسوة وعبيدا وخدما وامره ان لا ينقطع عنه وأخبرني بهـذه الحكاية أيضا ولد ابن شيخ اللبن المذكور وهو من الطلبة يعلم القرآن بمالى

— ذكر ما استحسنته من افعال السودان وما استقبحته منها —

فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحدا فى شيء منه ومنها شمول الامن فى بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة انما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى ياخذه مستحقه ومنها مواظبتهم للصلوات والتزامهم لها فى الجماعات وضربهم أولادهم عليها واذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد لم يجد أين يصلى لكثرة الزحام ومن عادتهم ان يبعث كل انسان غلامه بسجادته فيبسطها له بموضع يستحقه بها حتي يذهب الى المسجد وسجاداتهم من سعف شجر يشبه النخل ولا ثمر له ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لاحدهم الا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لاولادهم القيود اذا ظهر فى حقهم التقصير فى حفظـه فلا تفك عنهـم حتي يحفظوه ولقد دخلت على القاضى يوم العيـد واولاده مقيدون فقلت له ألا تسرحهم فقال لا أفعل حتى يحفظوا القرآن ومررت يوما بشاب منهم حسن الصورة عليه ثياب فاخرة وفى رجله قيد ثقيل فقلت لمن كان معى مافعل هذا أقتل ففهم عني الشاب وضحك وقيل لى انما قيد حتي يحفظ القرآن ومن مساوى افعالهم كون الخدم والجوارى والبنات الصغار يظهرن للناس عرايا باديات العورات ولقد كنت أرى فى رمضان كثيرا منهن على تلك الصورة فان عادة الفرارية أن يفطروا بدار السلطان ويأتى كل واحد منهم بطعامه تحمله العشرون فما فوقهن من جواريه وهن عرايا ومنها دخول النساء على السلطان عرايا غير مستترات وتعري بناته ولقد رأيت في ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مائة جارية خرجن بالطعام من قصره عرايا ومعهن بنتان له ناهدان ليس عليهما ستر ومنها جعلهم التراب والرماد على رؤسهم تادبا ومنها ماذكرته

من الاضحوكة في انشاد الشعراء ومنها ان كثيرا منهم يا كلون الجيف والكلاب والحمير

— ذكر سفري عن مالي —

وكان دخولي اليها في الرابع عشر لجمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين وخروجي عنها في الثاني والعشرين لمحرم سنة اربع وخمسين ورافقني تاجر يعرف بابي بكر بن يعقوب وقصدنا طريق ميمة وكان لي جمل أركبه لان الخيل غالية الاثمان يساوي أحدها مائة مثقال فوصلنا الى خليج كبير يخرج من النيل لايجاز الا في المراكب وذلك الموضع كثير البعوض فلا يمر أحد به الا بالليل ووصلنا الخليج ثلث الليل والليل مقمر

— ذكر الخيل التي تكون بالنيل —

ولما وصلنا الخليج رأيت على ضفته ست عشر دابة ضخمة الخلقة فعجبت منها وظننتها فيلة لكثرتها هنالك ثم اني رأيتها دخلت في النهر فقلت لابي بكر بن يعقوب ماهذه الدواب فقال هي خيل البحر خرجت ترعي في البر وهي أغلظ من الخيل ولها أعراف وأذناب ورؤسها كرؤس الخيل وأرجلها كارجل الفيلة ورأيت هذه الخيل مرة أخري لما ركبنا النيل من تنبكتو إلى كوكو وهي تعوم في الماء وترفع رأسها وتنفخ وخاف منها أهل المركب فقربوا من البر لئلا تغرقهم ولهم حيلة في صيدها حسنة وذلك ان لهم رماحا مثقوبة قد جعل في ثقبها شرائط وثيقة فيضربون الفرس منها فان صادفت الضربة رجله أو عنقه انفذته وجذبوه بالحبل حتى يصل الى الساحل فيقتلونه ويأكلون لحمه ومن عظامها بالساحل كثير وكان نزولنا عند هذا الخليج بقرية كبيرة عليها حاكم من السودان حاج فاضل يسمى فربا مغا (بفتح الميم والغين المعجم) وهو ممن حج مع السلطان منسى موسى لما حج

— حكاية —

أخبرني فربا مغا ان منسى موسى لما وصل الى هذا الخليج كان معه قاض من البيضان يكني بابي العباس ويعرف بالدكالي فاحسن اليه باربعة آلاف مثقال لنفقته فلما وصلوا الى ميمة شكا الى السلطان بان الاربعة آلاف مثقال سرقت له من داره فاستحضر السلطان امير ميمة وتوعده بالقتل ان لم يحضر من سرقها وطلب الامير السارق فلم يجد أحدا ولا سارق يكون بتلك البلاد فدخل دار القاضي واشتد على خدامه وهددهم فقالت له احدى جواريه ماضاع له شيء وانما دفنها بيده في ذلك الموضع وأشارت له الى الموضع فاخرجها الامير وأتى بها السلطان وعرفه الخبر فغضب على القاضي ونفاه الى بلاد الكفار الذين يأكلون بني آدم فاقام عندهم أربع سنين ثم رده الى بلده وانما لم يأكله الكفار لبياضه لانهم يقولون ان أكل الابيض مضر لانه لم ينضج والاسود هو النضيج بزعمهم

— حكاية —

قدمت على السلطان منسي سليمان جماعة من هؤلاء السودان الذين يأكلون بني آدم معهم أميرهم وعادتهم ان يجعلوا في آذانهم اقراطا كبارا وتكون فتحة القرط منها نصف شبر ويلتحفون في ملاحف الحرير وفي بلادهم يكون معدن الذهب فاكرمهم السلطان وأعطاهم في الضيافة خادما فذبحوها وأكلوها ولطخوا وجوهم وأيديهم بدمها وأتوا السلطان شاكرين وأخبرت ان عادتهم متي ما وفدوا عليه ان يفعلوا ذلك وذكر لي عنهم انهم يقولون ان أطيب ما في لحوم الآدميات الكف والثدي ثم رحلنا من هـذه القرية التي عند الخليج فوصلنا الى بلدة قري منساوقري (بضم القاف وكسر الراء) ومات لي بها الجمل الذي كنت أركبه فاخبرني راعيه بذلك فخرجت لانظر اليه فوجدت السودان قد أكلوه كعادتهم في أكل الجيف فبعثت غلامين كنت استاجرتهما على خدمتي ليشتريا لي جملا بزاغري وهي على مسيرة يومين وأقام معي بعض أصحاب ابي بكر بن يعقوب وتوجه هو لينتظرنا بميمة فأقمت سبعة أيام أضافني فيها بعض الحجاج بهذه البلدة حتى وصل الغلامان بالجمل

— حكاية —

وفي أيام أقامتي بهذه البلدة رأيت ليلة فيما يري النائم كان انسانا يقول لي محمد بن بطوطه لماذا لا يقرأ سورة يس في كل يوم فمن يومئذ ما تركت قراءتها كل يوم في سفر ولا حضر ثم رحلت الى بلدة ميمة (بكسر الميم الاول وفتح الثاني) فنزلنا على آبار بخارجها ثم سافرنا منها الى مدينة تنبكتو (وضبط اسمها بضم التاء المعلوة وسكون النون وضم الباء الموحدة وسكون الكاف وضم التاء المعلوة الثانية وواو) وبينها وبين النيل أربعة اميال واكثر سكانها مسوفة أهل اللثام وحاكمها يسمي فرباموسى حضرت عنده يوما وقد قدم أحد مسوفة أميرا على جماعة فجعل عليه ثوبا وعمامة وسروالا كلها مصبوغة وأجلسه على درقة ورفعه كبراء قبيلته على رؤوسهم وبهذه البلدة قبر الشاعر المفلق أبي اسحاق الساحلي الغرناطي المعروف ببلده بالطويجن وبها قبر سراج الدين بن الكويك أحد كبار التجار من أهل الاسكندرية

— حكاية —

كان السلطان منسي موسي لما حج نزل بروض لسراج الدين هـذا ببركة الحبش خارج مصر وبها ينزل السلطان واحتاج الى مال فتسفه من سراج الدين وتسلف منـه أمراؤه أيضا وبعث معهم سراج الدين وكيله يقتضي المـال فاقام بمالي فتوجه سراج الدين بنفسه لاقتضاء ماله ومعه ابن له فلما وصل تنبكتو أضافه ابو اسحق الساحلي فكان من القدر موته تلك الليلة فتكلم الناس في ذلك واتهموا انه سم فقال لهم ولده اني اكلت معه ذلك الطعام بعينه فلو كان فيه سم لقتلنا جميعا لكنه انقضي اجله ووصل الولد الى مالي واقتضى ماله وانصرف الى ديار مصر ومن تنبكتو ركبت النيـل في مركب صغير منحوت من خشبة

واحدة وكنا ننزل كل ليلة بالقري فنشتري ما نحتاج اليه من الطعام والسمن بالملح وبالعطريات وبحلي الزجاج ثم وصلت الى بلد أنسيت اسمه له أمير فاضل حاج يسمي فربا سليمان مشهور بالشجاعة والشدة لا يتعاطى أحد النزع في قوسه ولم أرفي السودان أطول منه ولا أضخم جسما واحتجت بهذه البلدة الى شيء من الذرة فجئت اليه وذلك يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وسألني عن مقدمي وكان معه فقيه يكتب له فاخذت لوحا كان بين يديه وكتبت فيه يافقيه قل لهذا الامير انا نحتاج الى شيء من الذرة للزاد والسلام وناولت الفقيه اللوح يقرأ ما فيه سرا ويكلم الامير في ذلك بلسانه فقرأه جهرا وفهمه الامير فاخذ بيدي وادخلني الى مشوره وبه سلاح كثير من الدرق والقسي والرماح ووجدت عنده كتاب المدهش لابن الجوزي فجعلت اقرأ فيه ثم أتى بمشروب لهم يسمى الدقنو (بفتح الدال المهمل وسكون القاف وضم النون واو) وهو ماء فيه جريش الذرة مخلوط بيسير عسل او لبن وهم يشربونه عوض الماء لانهم ان شربوا الماء خالصا أضر بهم وان لم يجدوا الذرة خلطوه بالعسل أو اللبن ثم أتى ببطيخ أخضر فاكلنا منه ودخل غلام خماسي فدعاه وقال لي هذا ضيافتك واحفظه لئلا يفر فاخذته وأردت الانصراف فقال أقم حتى يأتي الطعام وجاءت الينا جارية له دمشقية عربية فكلمتني بالعربي فبينما نحن في ذلك اذ سمعنا صراخا بداره فوجه الجارية لتعرف خبر ذلك فعادت اليه فاعلمته ان بنتا له قد توفيت فقال اني لا أحب البكاء فتعال نمشي الى البحر يعني النيل وله على ساحله ديار فاتى بالفرس فقال لي اركب فقلت لا أركبه وأنت ماش فمشينا جميعا ووصلنا الى دياره على النيل وأتى بالطعام فاكلنا وودعته وانصرفت ولم أرفي السودان أكرم منه ولا أفضل والغلام الذى اعطانيه باق عندى الى الآن ثم سرت الى مدينة كوكو وهي مدينة كبيرة على النيل من أحسن مدن السودان وأكبرها واخصبها فيها الارز الكثير واللبن والدجاج والسمك وبها الفقوص العناني الذى لا نظير له وتعامل اهلها في البيع والشراء بالودع وكذلك أهل مالي واقمت بها نحو شهر وأضافني بها محمد بن عمر من أهل مكناسة وكان ظريفا مزاحا فاضلا وتوفي بها بعد خروجي عنه واضافني بها الحاج محمد الوجدي التازي وهو ممن دخل اليمن والفقيه محمد الفيلالي إمام مسجد البيضان ثم سافرت منها برسم تكدا في البر مع قافلة كبيرة للغدامسيين دليلهم ومقدمهم الحاج وجين (بضم الواو وتشديد الجيم المعقودة) ومعناه الذئب بلسان السودان وكان لي جمل لركوبي وناقة لحمل الزاد فلما رحلنا أول مرحلة وقفت الناقة فاخذ الحاج وجين ما كان عليها وقسمه على أصحابه فتوزعوا حمله وكان في الرفقة

مغربي من أهل تادلي فابي أن يرفع من ذلك شيئا كما فعل غيره وعطش غلامي يوما فطلبت منه الماء فلم يسمح به ثم وصلنا الي بلاد بردامة وهي قبيلة من البربر (وضبطها بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الدال المهمل والف وميم مفتوح وتاء تأنيث) ولا تسير القوافل الا في خفارتهم والمرأة عندهم في ذلك أعظم شأنا من الرجل وهم رحالة لا يقيمون وبيوتهم غريبة الشكل يقيمون أعوادا من الخشب ويصنعون عليها الحصر وفوق ذلك أعواد مشتبكة وفوقها الجلود أو ثياب القطن ونساؤهم أتم النساء جمالا وابدعهن صورا مع البياض الناصع والسمن ولم أر في البلاد من يبلغ مبلغهن في السمن وطعامهن حليب البقر وجريش الذرة يشربنه مخلوطا بالماء غير مطبوخ عند المساء والصباح ومن أراد التزوج منهن سكن بهن في أقرب البلاد اليهن ولا يتجاوز بهن كوكو ولا ايوالاتن وأصابني المرض في هذه البلاد لاشتداد الحر وغلبة الصفراء واجتهدنا في السير الى أن وصلنا الى مدينة تكدا (وضبطها بفتح التاء المعلوة والكاف المعقودة والدال المهمل مع تشديده) ونزلت بها في جوار شيخ المغاربة سعيد بن على الجزولي واضافني قاضيها أبو ابراهيم اسحق الجاناتي وهو من الافاضل وأضافني جعفر بن محمد المسوفي وديار تكدا مبنية بالحجارة الحمر وماؤها يجرى على معادن النحاس فيتغير لونه وطعمه بذلك ولا زرع بها الا يسير من القمح يأكله التجار والغرباء ويباع بحساب عشرين مدا من امدادهم بمثقال ذهب ومدهم ثلث المد ببلادنا وتباع الذرة عندهم بحساب تسعين مدا بمثقال ذهب وهي كثيرة العقارب وعقاربها تقتل من كان صبيا لم يبلغ وأما الرجال فقلما تقتلهم ولقد لدغت يوما وانا بها ولدا للشيخ سعيد بن على عند الصبح فمات لحينه وحضرت جنازته ولا شغل لاهل تكدا غير التجارة يسافرون كل عام الى مصر ويجلبون من كل ما بها من حسان الثياب وسواها ولاهلها رفاهية وسعة حال ويتفاخرون بكثرة العبيد والخدم وكذلك أهل مالي وايوالاتن ولا يبيعون المعلمات منهن الا نادرا وبالثمن الكثير

— حكاية —

أردت لما دخلت تكدا شراء خادم معلمة فلم أجدها ثم بعث الى القاضي أبو ابراهيم بخادم لبعض أصحابه فاشتريتها بخمسة وعشرين مثقالا ثم إن صاحبها ندم ورغب في الاقالة فقلت له ان دللتني على سواها أقلتك فدلني على خادم لعلي اغيول وهو المغربي التادلي الذي أبي أن يرفع شيئا من أسبابي حين وقعت ناقتي وابي ان يسقي غلامي الماء حين عطش فاشتريتها منه وكانت خيرا من الاولى وأقلت صاحبي الاول ثم ندم هذا المغربي على بيع الخادم ورغب في الاقالة والح في ذلك فابيت الا أن أجازيه بسوء فعله فكاد أن يجن أو يهلك

أسفاتم أقلته بعد — ذكر معدن النحاس —

ومعدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليه فى الارض ويا تون به الى البلد فيسبكونه فى دورهم يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم فاذا سبكوه نحاسا أحمر صنعوا منه قضبانا فى طول شبر ونصف بعضها رقاق وبعضها غلاظ فتباع الغلاظ منها بحساب أربعمائة قضيب بمثقال ذهب وتباع الرقاق بحساب ستمائة وسبعمائة بمثقال وهى صرفهم يشترون برقاقها اللحم والحطب ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح ويحملون النحاس منها الى مدينة كوبر من بلاد الكفار والى زغاى والى بلاد برنو وهى على مسيرة أربعين يوما من تكدا وأهلها مسلمون لهم ملك اسمه ادريس لا يظهر للناس ولا يكلمهم الا من وراء حجاب ومن هذه البلاد يؤتى بالجوارى الحسان والفتيان وبالثياب المجسدة ويحمل النحاس ايضا منها الى جوجوة وبلاد المورتبين وسواها — ذكر سلطان تكدا —

وفى أيام اقامتي بها توجه القاضي أبوابراهيم والخطيب محمد والمدرس ابوحفص والشيخ سعيد بن على الى سلطان تكدا وهو بربرى يسمي إزار (بكسر الهمزة وزاي والف وراء) وكان على مسيرة يوم منها ووقعت بينه وبين التكركرى وهو من سلاطين البربر أيضا منازعة فذهبوا الى الاصلاح بينهما فاردت ان القاه فاكتريت دليلا وتوجهت اليه وأعلمه المذكورون بقدومي فجاءالى راكبا فرسادون سرج وتلك عادتهم وقد جعل عوض السرج طنفسة حمراء بديعة وعليه ملحفة وسراويل وعمامة كلها زرق ومعه أولاد اخته وهم الذين يرثون ملكه فقمنا اليه وصافحناه وسال عن حالى ومقدمى فاعلم بذلك وأنزلني ببيت من بيوت اليناطبين وهم كالوصفان عندنا وبعث برأس غنم مشوى فى السفود وقعب من حليب البقر وكان فى جوارنا بيت أمه واخته فجاءتا الينا وسلمت علينا وكانت أمه تبعث لنا الحليب بعد العتمة وهو وقت حلبهم ويشربونه ذلك الوقت وبالغدو وأما الطعام فلا ياكلونه ولا يعرفونه وأقمت عندهم ستة أيام وفى كل يوم يبعث بكبشين مشويين عند الصباح والمساء واحسن الى بناقة وعشرة مثاقيل من الذهب وانصرفت عنه وعدت الى تكدا — ذكر وصول الامر الكريم الى —

ولما عدت الى تكدا وصل غلام الحاج محمد بن سعيد السجلماسي بامر مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين آمر الى بالوصول الى حضرته العلية فقبلته وامتثلته على الفور واشتريت جملين لركوبى بسبعة وثلاثين مثقالا وثلث وقصدت السفر الى توات ورفعت زاد سبعين ليلة اذ لا يوجد الطعام فيما بين تكدا وتوات انما يوجد اللحم اللبن والسمن

يشترى بالاثواب وخرجت من تكدا يوم الخميس الحادى عشر لشعبان سنة أربع وخمسين فى رفقة كبيرة فيهم جعفر التواني وهو من الفضلاء ومعنا الفقيه محمد بن عبدالله قاضي تكدا وفى الرفقة نحو ستمائة خادم فوصلنا الى كاهر من بلاد السلطان الكركرى وهي أرض كثيرة الاعشاب يشترى بها الناس من برابرها الغنم ويقددون لحمها ويحمله أهل توات الى بلادهم ودخلنا منها الى برية لا عمارة بها ولا ماء وهى مسيرة ثلاثة أيام ثم سرنا بعد ذلك خمسة عشر يوما فى برية لا عمارة بها الا ان بها الماء ووصلنا الى الموضع الذي يفترق به طريق غات الآخذ الى ديار مصر وطريق توات وهنالك احساء ماء يجرى على الحديد فاذا غسل به الثوب الابيض اسود لونه وسرنا من هنالك عشرة أيام ووصلنا الى بلاد هكار وهم طائفة من البربر ملثمون لا خير عندهم ولقينا أحد كبرائهم فحبس القافلة حتى غرموا له أثوابا وسواها وكان وصولنا الى بلادهم فى شهر رمضان وهم لا يغيرون فيه ولا يعترضون القوافل واذا وجد سراقها المتاع بالطريق فى رمضان لم يعرضوا له وكذلك جميع من بهذه الطريق من البرابر وسرنا فى بلاد هكار شهرا وهي قليلة النبات كثيرة الحجارة طريقها وعر ووصلنا يوم عيد الفطر الى بلاد برابر أهل لثام كهؤلاء فاخبرونا باخبار بلادنا وأعلمونا أن أولاد خراج وابن يغمور خالفوا وسكنوا تسابيت من توات فخاف أهل القافلة من ذلك ثم وصلنا الى بوداد (بضم الباء الموحدة) وهي من أكبر قرى توات وأرضها رمال وسباخ وتمرها كثير ليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسه ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت وانما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب وأكل أهلها التمر والجراد وهو كثير عندهم يختزنونه كما يختزن التمر ويقتاتون به ويخرجون الى صيده قبل طلوع الشمس فانه لا يطير اذذاك لاجل البرد وأقمنا ببودا أياما ثم سافرنا فى قافلة ووصلنا فى أوسط ذى القعدة الى مدينة سجلماسة وخرجت منها في ثانى ذى الحجة وذلك أوان البرد الشديد ونزل بالطريق ثلج كثير ولقد رأيت الطرق الصعبة والثلج الكثير ببخاري وسمرقند وخراسان وبلاد الاتراك فلم أر أصعب من طريق أم جنيبة ووصلنا ليلة عيد الاضحى الى دار الطمع فاقمت هنالك يوم الاضحي ثم خرجت فوصلت الى حضرة فارس حضرة مولانا أمير المؤمنين أيده الله فقبلت يده الكريمة وتيمنت بمشاهدة وجهه المبارك واقمت فى كنف احسانه بعد طول الرحلة والله تعالى يشكر ما أولانيه من جزيل احسانه وسابغ امتنانه ويديم أيامه ويمتع المسلمين بطول بقائه وههنا انتهت الرحلة المسماة تحفة النظار . فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار . وكان الفراغ من تقييدها فى ثالث ذى الحجة عام ستة وخمسين وسبعمائة والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

﴿ قال ابن جزى ﴾

انتهي مالخصته من تقييد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بطوطة أكرمه الله ولا يخفى على ذى عقل أن هذا الشيخ هو رحال العصر ومن قال رحال هذه الملة لم يبعد ولم يجعل بلاد الدنيا للرحلة واتخذ حضرة فاس قرا ومستوطنا بعد طول جولانه الا لما تحقق ان مولانا أيده الله أعظم ملوكها شانا وأعمهم فضائل وأكرمهم احسانا وأشدهم بالواردين عليه عناية وأتمهم بمن ينتمي الى طلب العلم حماية فيجب على مثلى أن يحمد الله تعالى لأن وفقه فى أول حاله وترحاله لاستيطان هذه الحضرة التي اختارها هذا الشيخ بعد رحله خمسة وعشرين عاما انها النعمة لا يقدر قدرها ولا يوفى شكرها والله تعالى يرزقنا الاعانة على خدمة مولانا أمير المؤمنين و يبقى علينا ظل حرمته ورحمته ويجزيه عنا معشر الغرباء المنقطعين اليه أفضل جزاء المحسنين اللهم وكما فضلته على الملوك بفضيلتي العلم والدين . وخصصته بالحلم والعقل الرصين فمد لملكه أسباب التاييد والتمكين وعرفه عوارف النصر العزيز والفتح المبين . واجعل الملك فى عقبه الى يوم الدين . وأره قرة العين فى نفسه و بنيه و ملكه ورعيته ياارحم الراحمين .
و صلى الله على سيدنا و نبينا و مولانا
محمد خاتم النبيين . و امام
المرسلين والحمد لله
رب العالمين .

وكان الفراغ من تاليفها فى شهر صفر عام سبعة وخمسين وسبعمائة ٭

﴿ يقول مصححه الراجى عفو ربه الكريم * ابن الشيخ حسن الفيومى ابراهيم ﴾

حمدا لمن شرح صدور الاجلة الالباء * لاستكشاف مافى الاصقاع من العادات وجميل الانباء * وصلاة وسلاما على من اطلعه الله على ما كان * وارسله الى الثقلين من انس وجان * وبعد فقد تم طبع هذا السفر المشتمل على معرفة عوائد الاقطار المسمي (تحفة النظار * فى غرائب الامصار * وعجائب الاسفار) تاليف الامام ابى عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن بطوطة رحمه الله وذلك ﴿ بالمطبعة الازهرية ﴾ الثابت محل ادارتها بشارع رقعة القمح رقم ٦ بجوار الرياض الازهرية وقد وافق التمام أوائل شهر جمادي الثانية من عام ١٣٤٧ هجرية عليه وعلى آله وأصحابه أتم صلاة وازكى تحية

آمين

﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب رحلة ابن بطوطه ﴾

﴿ تمت فهرست الجزء الاول ﴾

﴿ فهرست الجزء الثاني من كتاب رحلة ابن بطوطة ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت فهرست الجزء الثانى ﴾